انت مجرتي

للكاتبه / فرح صبري

~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

تجميع فيتامين سي

شبكة روايتي الثقافية

~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

انتِ مجرتي

فرح صبري

اهداء لعائلتي الصغيرة

لمجرتي (امي) دوماً وابداً، لعائلتي وصديقاتي.

****

اهداء لعائلتي الكبيرة

مع كل خطوة اخطوها تجاه نجاحي، اجدكم ترافقونني، شكرا لوجودكم في حياتي.

صديقي القارئ عدني أنك ستحتفظ بالسر، لا تحدث به احدا.

(الخوف لا يمنع من الموت، ولكنه يمنع من الحياة)

نجيب محفوظ

البارت الأول

على متن قارب مطاطي، يسبح في بحر ايجه، فارق البر منذ ساعات ليهرب بمن على سحطه لبر اخر يحتضنهم. على متن هذا القارب كنت انا. بآلامي، بذكرياتي، واوجاع جسدي. الوجع الذي لم يغادرني وكأن هناك مطرقة كبيرة تضرب جدران رأسي من الداخل، صداع يمسك بي بقوة يلازمني منذ فترة طويلة يأبى تركي، عيناي ذابلتان وجسدي مرتخي بأكمله، يضرب أسفل عامودي الفقري بقوة، اشعر بتشنجات أحيانا لكنه ينسحب ليترك عضلاتي ترتخي كلها حتى أفقد السيطرة عليها، حرك الهواء البارد شعري ليلثم وجهي بتجاهل تركته. شعرت بأخي الصغير يحتضن ذراعي أكثر

باحثاً عن الدفء بقربي، لكن هيهات فلا وجود له بداخلي ولا في محيطي، أصوات بكاء الأطفال الصغار الذين تحملهم امهاتهم يتعالى شيئا فشيء، مع كل هبة ريح عاتية، مع كل موجة قوية. قارب في عرض البحر يحمل ثلاثون فرداً جميعهم اتفقوا على الهروب من الوطن، قارب بدائي الجميع مدرك اننا قد نغرق بسببه ولكنه الامل او ربما الا يمان الذي سمح لهذا العدد بالوثوق به. نظرت ببرود لجدتي أمامي تمسك بيدها مسبحها وتسبح وبجانبها امي تبكي وتقرأ القران في سرها بينما تتحرك شفتاها بلا صوت، بضيق دسست يدي تحت زاوية ابطي، نظرت لأخي الصغير عندما سألني وهو ينظر لكل شيء بدهشة: هل سنموت؟ طفل يبلغ التاسعة من عمره يتساءل ان كانت حياته ستنتهي على مبنى قارب! أيمكن للحياة ان تكون أبشع من ذلك؟ سؤاله الموجع أعاد الي ذكريات شوهت طفولتي. بقي يحدق بي ينتظر إجابة بينما انا اراقب عيناه اللتان تلمعان برعب، لا ملامح لي ولا يمكنني ان اشعر بشيء، انا لست خائفة مثله ولا حزينة، انا تائهة.

-لا، لن نموت بل سنصل و سنعيش كما يجب ان نعيش.

التفت انا وهو لننظر لأختي التي بادرت بالإجابة، كانت تبتسم وكأنها في عالم غير هذا الواقع الحقير الذي نحن به الان! لم استغرب فهذا هو حالها المعتاد. مسحت على شعر اخي القصير لتقترب وتطبع قبلة على وجنته، ثم رفعت رأسها لتنظر الي بابتسامة دافئة، كانت هذه اخر مرة اشاهدها تبتسم بها او اشاهد ابتسامة على الاطلاق.

كانت الامواج تتلاعب بالقارب بقسوة، ترميه من موجة لأ خرى لنتهاوى نحن ونمسك بقوة خوفاً من السقوط من على سحطه. أمواج تتوالى الواحدة تلو الأخرى وتهيئ لا قترابنا من نهايتنا، تضع بطريقتها خاتمة هذه الحكاية. كنت

أغمض عيناي لأمنعها من رؤية بشاعة ما نتعرض له، اثناء طيراننا على الامواج. الصراخ يزداد والبكاء يلعو بينما صوت انفاسي يطغي على الأصوات جميعها. اصطكت اسناني بحدة فوق بعضها عندما شعرت بشيء قوي يضرب القارب صوته كان عال شيء جعل يدي تفلت وتتحرك، لا ُجرب الطيران للمرة الاولى، لتصبح هذه اول مرة أتحدى الجاذبية للحظات. أجزاء من الثانية انتهيت فيها من التحليق لأسقط سقوطا حرا بداخل شيء بارد، ها هي المياه التي لطالما خفت من السباحة فيها، سقطت اليوم بها شعرت انني على وشك ان ادفن داخلها، حركت يداي بحركة لا ارادية يمنيا ويساراً حتى رفعت جسدي للأعلى لأسمح لرأسي بـ الخروج منه لألتقط انفاسي، بدأت اسعل بقوة وانا اخذ كم كبير من الهواء، انتفخ صدري كله وهو يسحب الهواء لداخله ، كنت أستطيع ان أرى الجميع وهم يصرخون ويحاولون النجاة، رأيت امي كانت بعيدة بعض الشيء تحاول ان تنجو وتصرخ تنادي علينا، حركت يداي لكن جسدي ابى ان يستجيب. ارتخى كله، حاولت الصراخ لأستنجد أحدهم، لكن لساني عجز، عقلي توقف عن العمل! يحاول ان لا يستوعب ما يحدث امامه، لا انه كابوس فقط! هذه ليست نهايتنا. لحظة واحدة في الحياة سنرجو فيها انها ليست حقيقة، وأنه مجرد كابوس، نتمنى ان تكون حلم مزعج نستيقظ منه لنجد اننا ما زلنا نمارس حياتنا كما هي، لكن جميع تمنياتنا لن تحقق.

موجة قوية ضربتني لتصدر صوتا ترك صدى قوي على اذناي. صوت عال صدر ودفعة قوية قذفتني لداخل المياه من جديد لأسقط في الأعماق ويداي ترتخيان للأعلى. لأول واخر مرة أجرب النظر تحت الماء.

هذه نهايتي وهنا انتهت قصتي

بل انتهت قصة ثلاثون شخصا كانوا في طريقهم لأرض قيل ان فيها سلام
قد نذكر في نشرة اخبار المساء، كمجرد رقم، عدد لا أكثر، لن يذكر أحدهم اسماؤنا، او حكايتنا، كيف ولدنا وعشنا ستشرق الشمس، يذهب الطلاب لمدارسهم، وتتزوج احداهن ويذهب الرجال لعملهم. و سنُنسى! لأننا عشنا منسيون، ومتنا منسيون.
نحن قوم عشنا على ارض من المفترض ان اسمها دار السلام.
غنينا للسلام
قلنا عنه الشعر والقصائد
كان اسمه له الحصة الكبيرة من دعاؤنا
تحيتنا سلام
لكننا لم نره يوماً، سمعنا به كأسطورة
الا اننا لم نشعر به
مات بعضنا وهو ينتظره
ومات اخرون بسبب غيابه
سافر الكثيرون بحثا عنه
وهاجرنا نحن في البحر طالبين لقائه
حتى متنا ونحن لم نقابله بعد
سلام على سلام تركنا منذ زمن
سلام على من تمنى السلام
سلام على أرواح عانت بسببه
لا سلام لنا

ظلام طويل لا اعلم كم دام، لكنني الان اشعر بأن هناك نوراً، أصوات مختلفة رغم ذلك أعجز عن تمييزها، فتحت عيني ببطء لأرى سماء زرقاء صافية، حركت رأسي جانبا لأرى عشبا اخضر هو الذي اضع رأسي عليه، بخفة وجدت نفسي انهض، وقفت انظر لنفسي مرتدية فستان ابيض يصل لركبتي، قدماي عاريتان تلامس العشب لكنني في الواقع لا اشعر به، لا وجود لصداعي المزمن او آلام ظهري، لا اشعر بأي شيء. نظرت لما يحيط بي، مساحة كبيرة من الشعب الأخضر ومبنى يشبه الكوخ الذي كنت اراه في التلفاز في طفولتي، كبير جدا لونه بني، به شرفات واسعة. رأيت بعض الناس يجلسون فيها واخرون يتجولون في الانحاء، لكن الجميع لا يراني! ولا انا! لا يمكنني تمييز ملامحهم، اراهم وكأنهم متشابهين لا يحملون ملامح ولا اختلافات، عبارة عن هيئات شيء اشبه بالخيالات. حملني جسدي الخفيف لأسير بينهم، لأسير وانا نكرة انظر لكل شيء بدهشة. ما هذا المكان! ولم انا به! إقتربت من هذا المنزل الكبير لأدخل بخفة هل كانت بواباته مفتوحة ام انني مررت من عبرها؟ توقفت لألتفت وانظر للباب الخشبي الكبير كان مغلقا! تلفت حولي لأجد شيء اشبه بالردهة لكن المكان بسيط جداً طاولة خشبية عالية يقف خلفها رجل هيئته بيضاء، يرحب بالوافدين وكأنه موظف استقبال، نوافذ كبيرة خشبية تسمح بمرور اشعة الشمس للنفاذ للداخل، ارض خشبية تعزف النساء عليها صوتا مميزا بخطواتهن بتلك الكعوب العالية، سرت وانا اراقب المكان لتأخذني خطواتي لسلم خشبي يتوسطه سجاد احمر لا اعلم أي سرعة او خفة تلك التي جعلتني اصعد بها للطابق الثاني، وجدتني

وسط ممر طويل به سجاد احمر في المنتصف، على الجانبي غرف منتشرة علق على أبوابها ارقام. سرت في الممر حتى توقفت امام باب مفتوح، دخلت لداخل الغرفة، كانت غرفة متوسطة الحجم بها نافذة واحدة وستارة بيضاء شفافة تتطاير استجابة للهواء المنبعث من النافذة، سرير خشبي بسيط فردي. التفت لأري جانبا كان هناك أحدهم، رجل يجلس امام مكتب يوليني ظهره، مكتب وجهته على الجدار وبجانبه مدفئة كبيرة علق اعلاها لوحة غير مفهومة، باب صغير أخر بجانب المكتب الصغير وغرفة يغلفها ورق جدار ذهبي مزخرف باهت، بينما كانت عيناي تدوران في الا رجاء أفزعني صوت: من انتِ؟

رأيت الرجل يقف امام المكتب لكنني أستطيع ان اميز ملامحه! كان شاباً ربما في أواخر العشرين، ابيض وشعره اسود مموجه، لديه شعر ذقن مرتب، يرتدي نظارة ذات إطار اسود عريض، طويل بعض الشيء. نظرت له وانا مصدومة، هل يتحدث معي! أيمكنه رؤيتي حتى؟ كرر سؤاله وهو يعقد حاجبيه بتوتر: من انتِ، كيف دخلتِ الى هنا؟

مددت يدي مشيرة ببلاهة تجاه الباب نظرت للباب كان مغلقا! اقترب وهو ينظر لي بغضب ليقول بفضاضة: اخرجي من هنا.

مد يده ليمسك بيدي ويجرني للخارج لكن تعلقت يده في الهواء، رفعت نظري له ثم عاودت النظر ليده ويدي! انا لا اشعر بشيء وهو قد لمس الهواء! ابتعد خطوة للخلف برعب كان فاهه مفتوحا من الصدمة، بقي ثوان ينظر الي يحاول ان يستوعب ما يحدث حتى انطلق بسرعة تجاه الباب فتحه بقوة ليصرخ لأحدهم، بقيت انا انظر أحاول تفسير ما يحدث. لقد مت لكن لم انا هنا؟ اليس من المفترض ان أكون في مكان اخر، لم تحديدا هو يراني؟ عاد

ليدخل الغرفة وهو يصرخ وخلفه رجل بدا من هيئته انه أحد عاملي الفندق لكنني لم اميز ملامحه. توقف امامي وصرخ قائلا: كيف دخلت هذه الانسة الصغيرة الى غرفتي؟ لم أستطع رؤية ملامح الرجل لكنه بدا كأنه ينظر الي، أعاد النظر له قائلا: أي انسة؟

أشار الشاب تجاهي وهو يؤكد: هذه، امامك.

اجابه العامل: لا أرى أحد في هذا المكان سوانا.

اتسعت عينا الشاب وهو ينظر الي، نظر للأسفل ليغمض عينيه، اخذ نفسا عميقا ثم طلب من العامل الانصراف.

رحل العامل بعد ان اغلق الباب خلفه، سار وهو مازال يتجاهلني تجاه مكتبه والتقط هاتفه من عليه ليعلق بينه وبين نفسه: هي ليست موجودة انت متعب فقط ستتأكد ا لان.

رفع هاتفه كأنه يهم بالتقاط صورة لي، صدر صوت التقاط صورة من هاتفه، نظر لهاتفه وهو يبتسم كأنه على و شك الا نتصار لكن تغيرت ملامحه ليصدم بشيء شاهده، ليسقط من يده الهاتف. سرت مقتربة منه فانحنيت لأرى الهاتف الذي سقط على الأرض، نظرت للصورة كانت فارغة! نفس المكان الذي كنت أقف به لكنني غير موجودة! انا فعلا ميتة ؟ بقيت مدهو شة لم انا هنا، اليس من المفترض ان أحظى بحياة برزخ؟ ان احا سب على حياتي!

دخل هو للحمام وتوقف امام الحوض فتح صنبور المياه وبدأ يغسل وجهه بقوة، غسل رأسه بأكمله. خرج من الحمام وهو ينظر الي بغضب والمياه تتساقط من على شعره الى وجهه، كانت عيناه بنيتان له رموش كثيفة، بقيت أحدق بوجهه وانا في حيرة لم يمكنني رؤية ملامحه!

أغمض عينيه بقوة وضرب بكفه وجهه ليوليني ظهره قائلا بصوت مرتفع: لا انا اهلوس، انا بخير، هي ليست موجودة.

سار ليجلس على الكرسي الذي يقابل مكتبه ابتسم ليقل:
انه ضغط فقط، كل شيء على ما يرام.
اقتربت منه وانا حائرة الشخص الوحيد الذي يراني ويمكنه مساعدتي قد جن! ببرود علقت: انا أيضا لا أستطيع فهم ما يحدث.
وضع يداه على اذناه وأغمض عينيه، نهض من مكانه بسرعة ودفع الكرسي بقوة ليسقط ارضا اغمضت عيني تبا أكره الاصطدامات، رفع نبرة صوته ليسألني: هيييي ما لذي تريدينه مني، توقفي عن هذا.
- ليتني أستطيع.
ساد الصمت في المكان الا أنفاسه السريعة، اقترب مني وهو متردد مد يده ليلمس كتفي ولكن أيضا علقت يده في الهواء، وانا لم اشعر بشيء، زم شفتيه واخذ نفسا عميقا ليكلم نفسه: لقد جننت، انا اتوهم.
قلت له: سبق وان اخبرتك أنك لست كذلك، انا أيضا، بقيت صامتة لثواني حتى أكملت: أستطيع، رؤيتك.
رفع أحد حاجبيه و سأل بدهشة: أأنتِ شبح؟ ام جن؟ ملاك؟
رفعت كتفي لأجيب: انا، اعتقد، انني، ميتة.
ابتسم بسخرية وهو لم يقتنع بعد بما قلته، دار حول نفسه وهو يتحدث بصوت مسموع: لا، لا يمكن لهذا ان يحدث، ماذا هل ستصدق ان هذه روح فتاة! هيييي هل جننت، بل هل ستصدق ان لهذه الأشياء وجود!
بقيت اراقبه وانا صامتة، المثير للسخرية انني حتى عندما اموت لا أجد لنفسي مكان في عالم الأموات، صمت هو لدقائق وانا فعلت المثل. أكثر شيء اجدته عندما كنت على قيد الحياة هو الصمت. اقترب مني وقال وقد لمعت بداخل رأسه فكرة واقتدت عيناه حماسا ليقل: هذا رائع، ان كنت سأصبح مجنون برؤيتي لكِ فمرحبا بهذا الجنون.

نظرت له ببلاهة ليكمل هو: سأكتب قصتكِ، اشار بيداه وحاول اقناع نفسه، وان كنتِ وهم او هلوسات اصابتني فعلي الاستفادة منها، عاود النظر الي مستطردً اووه مثلا لم اعرفكً بنفسي.

اعتدل بوقفته ليسترسل بحماس: انا الكاتب محمد القيسي ، بالطبع سمعتي عني.

حركت رأسي نافية، رفع حاجباه وقال بفخر: يبدو انكِ لا تقرئين فلو كنتِ كذلك كنتِ قد عرفتني فورا.

اشرت بإيجاب، اعتقد انني اكتشفت انني عشت ومت ولم اقرأ كتابا! قال مقترحا: لدي عرض لكِ

أيضا لم أبدي أي رد فعل فأكمل هو بحماس: سألتني ما هو و سأجيبكِ، العرض هو ان تحكي لي قصتكِ و سأساعدكِ في أي شيء تريدينه.

قلت في حيرة: انا ارغب، فقط بمعرفة لم انا هنا، أعني لم روحي هنا اليس من المفترض ان أكون في عالم الأموات؟

سألني بدهشة: انتِ لم تظهري هنا بإرادتكِ؟

حركت رأسي نافية، سألته: اين نحن؟

اجابني باستغراب: في إسطنبول، أعني في ضواحيها، أحد المنتجعات الهادئة.

علقت قائلة بشرود: لكنني غرقت في بودروم، أعني كنا هناك.

- سأحاول ان ابحث عن حادثة غرق كهذه مسح وجهه بكفه وهو يزفر، اقترب خطوة مني أكثر وهو يلوح في الهواء قائلا: لذلك انتِ تحتاجين مساعدتي، وانا احتاجكِ

- من اجل؟

- كتابة قصتكِ

قلت ببرود: لا أحد يرغب بسماع قصتي، صدقني هي ليست مشوقة.

قال مصراً: انا متشوق، احكي لي.
سار مسرعا تجاه مكتبه والتقط ورقة وقلم سحب الكرسي الخشبي وأشار الي، نظرت له أي انه لا يمكنني، فهم هو مقصدي فجلس هو و سألني بحماس: مهلا في البداية أخبريني ما اسمكِ؟
لم اجبه، بقيت صامتة، هل علي ان اخبره بإسمي الحقيقي، ذاك الاسم الذي كانوا يدعونني به الجميع عندما كنت حية!
قبل ان انطق سألني قائلا: جوى!
!!
أشار بيده علي ليقول: هناك سلسلة تتعلق برقبتكِ عليها اسم جوى، هل كنت تضعينها قبل ان تتوفي؟
اجبت وانا اطرق برأسي. قال بابتهاج: ما رأيك ان أطلق عليكِ اسماً اخر غير اسمكِ الحقيقي؟
اجبته ببرود: موافقة.
فرك ذقنه وهو يفكر بينما تدور عيناي في المكان، لقد مات الجميع جدتي، امي، ابي، اخي، اختي والجميع لكن لماذا علقت روحي هنا بمفردي! هل ستلازمني الوحدة حتى بعد موتي! قطع تفكيري صوته وهو يقول وبدا كأنه وجد اسما ينا سبني: روح، سأسميك روح.
رفع كتفيه ليُكمل: لا اعتقد انكِ ستجدين اسما ينا سبكِ أكثر منه.

جوى

٨ ابريل ٢٠١٥

يقولون ان لكل شخص يحمل نصيبا من اسمه، وانا حقا تنطبق هذه المقولة علي، انا المولود الاول الذي وضعته امي، كنت سأقول انني الفرحة الاولى ولكنني لست كذلك، لقد كنت عبارة عن خيبة امل للجميع، نعم منذ ولادتي وانا افعل عكس توقعاتهم. ارادت جدتي (ام ابي) وابي مولودا ذكر و شاء الله ان يخلقني من رحم امي التي كانت تدعوه ان يكون ذكرا خوفا من كلام (الناس)، حتى عندما ولدت امي القابلة عبست في وجهها حتى ظنت ان الطفل قد فارق الحياة ولكن الحروف تسربت من بين شفتاها العابستان لتقول: انها فتاة.

جدتي والدة ابي حمدت الله ان امي قد انجبتني في المنزل والا ما كان يلزم ان اولد في مشفى وفي النهاية سيكون المولود فتاة!

تهرب ابي من تسميتي كما ارادت امي ان تسميني على اسم والدة ابي (سعدية) لكن والد امي (جدي نعيم) حبيبي الاول بدلا من ابي، هو من سماني جوى لحسن الحظ انه فعل كذلك والا كنت سأكون سعدية.

و شاء القدر أيضا بعد سنتان ان تلد امي فتاة وتولى أيضا جدي نعيم تسميتها سماها (نجمة) اسمها كان رائعاً، حينها قد حرضت جدتي والدي على الزواج بأخرى لأن امي لم تنجب سوى فتيات، لكن كالعادة تصدى له جدي نعمان واقتلع تلك الفكرة الفاسدة من عقله، جدي نعمان كان مؤمن ان الفتيات ما هن الا أبواب جنة يرزق الله لمن يحبه من الإباء وكلما كثرت بناته كثرت أبواب جنته، وتؤمن جدتي سعدية اننا لسنا الا عار وعبئ لن ينفذ ابي منه الا بزواجنا او موتنا. شتان ما بين الاثنين!

منذ طفولتي وانا كنت متمردة، لم أكن عادية لا اشبه الفتيات العاديات، لم تكن تجذبني العرائس الألعاب ولا العاب المطابخ على عكس السيارات والعاب الصبيان، لطالما فضلت اللعب في الشارع، اللعب على الدراجات الهوائية بالطبع كنت اتلقى عقابا قاسيا بسبب أفعالي هذه لكنني بعد كل ضربة كنت اعود اقوى بإرادة أكبر، الضرب لم يكن يعلمني سوى العصيان أكثر لا الخضوع، يضربون الأطفال ليتعلمون واضرب انا لأتمرد عليهم أكثر وها انا اليوم في نظر الجميع متمردة.

ولأنني كذلك فلم يكن سيليق بي سوى رجل مثله هو، ليس كمثله رجل ولا بعد سيأتي رجل مثله، هو ذاك الشخص الذي عندما تلتقيه تلعن كل تلك الايام والسنوات التي ضاعت وهو لم يكن فيها، هو الرجل الذي تهبه عمرا بأكمله.

كلانا كوكبان معتمان في فضاء واسع، كوكبان باردان بعيدان عن ضجة المجرات، لنا عالمنا الخاص بعيدا عن الواقع بلا منطق ولا قوانين، معه اتحرر من أي قيود وأصبح طيرا حرا. عشقه هو العشق الذي يستحق ان تنتظره طويلا ً، كالمطر بعد فصل الصيف. معه أكون طفلة لا اخت كبيرة عليها تحمل المسؤولية، معه أكون انثى مثيرة، حبيبة مجنونة، صديقة وفية، معه أكون جوى حقا.

كنت قد غفوت في احدى المرات التي أزوره فيها على السرير، منزله يشبهه جدا، كل شيء يطل على الاخر لا وجود للجدران، سرير واسع اسود جانبا امامه شاشة تلفاز كبيرة، مطبخ في الجهة الأخرى صغير، بار، ومكتبه الذي يعج بالفوضى.

استيقظت وشعري مبعثر ابتسمت بنعاس وانا انظر اليه يجلس امام مكتبه ويضع تلك السماعات الكبيرة الدائرية

على اذناه، ولكن صوت الروك الصاخب قد استطاع ان يضع بصمته على الارجاء لأستمع اليه، نهضت وانا مرتدية قميصه الواسع الذي وصل لأعلي ركبتي، سرت تجاهه حتى احتضنته من خلف الكرسي ازلت السماعات وطبعت قبلة على وجنته فرك بيده الكبيرة شعري المموج البني ليبتسم قائلا: دعيني اريكِ شيئاً.

سألته بفضول: ماذا؟

جرني ليجلسني على أحد فخذيه ويشير الى حاسوبه المحمول، للصور الظاهرة عليه، قال وهو يريني اياها: ما رأيكِ؟

كانت صوري وانا نائمة، صورة وانا احتضن الوسادة و شعري يغطي وجهي، صورة أخرى بزاوية منخفضة قد صورت من قدماي حيث تظهران بوضوح ويظهر بقية جسدي مشوش، صورة وانا اقبض يدي كطفلة. أغلق الصور وقال: هذا يكفي. مددت يدي أحاول فتح الملف الذي به الصور فأمسك بيدي ليعضها عضة خفيفة صرخت: اااه، هييي انت متوحش.

ابتسم ليقول: طعمكِ كالسكر

ابتسمت وانا اقبل وجنته قائلة: وانت طعمك كالملح بالنسبة لي، كل شيء سيبدو بدونك بلا طعم.

علق ساخرا: أتقولين ذلك لأنك تحبين الملح كذلك.

سألته بالمقابل: لم قلت كالسكر وانت لا تضع سكر في قهوتك او شايك حتى.

ابتسم ليقول وهو يحاول النهوض: طعمه رائع لكنني اعلم جيداً انه مضر، بالرغم من انني اشتهي وضعه في كل شيء لكنني أحاول قدر الإمكان عدم الاقتراب منه، وهكذا انتِ ارغب بكِ بقوة لكنني لا يجب ان اقترب منكِ أكثر من ذلك.

بالمناسبة هو عكسي تماماً يهتم بطعامه، يحرص على

تناول ما يفيده، عدا المشروب انه شيء استثنائي لديه، الا انه يتبع جميع المظاهر الصحية في الطعام والحياة.
نهض فاحتضنته من الخلف لأضع جبهتي على ظهره وابتسم وامرر يدي على صدره ذاك الكنز القوي الذي يخبئ قلبه الذي لي به مكان أكثر منه هو.
ان تشعر المرأة بأن لديها رجل، لا ذكر في حياتها، رجل تستند عليه عندما تنحني، رجل تضع رأسها على كتفه ليتساقط منها همها، وبلمسة منه تتأجج وصالها ومشاعرها ، رجل يجعلها ملكة تشاركه في حكمه، رجل يصنع لها عالماً لا يضع عوالم بينهما، كل ما تريده المرأة هو رجل، لا ذكور بوعود مراهقين، بأحلام كاذبة.

روح

٢٠ مارس ٢٠٠٣

لأنك عراقي فالطبع لا يمكنك نسيان هذا التاريخ المعتم وذاك اليوم الأسود، لا اعلم ان كان يجب على ان أقول على ا لايام او الساعات انها سوداء فلطالما نهتني جدتي امل أفضل جدة في العالم على نقيض جدتي سعدية، منعتني عن تلقيب الايام بذلك وان جميع الايام هي لله وكل شيء قدره وقضاه هو خير، أي خير يا جدتي هو الذي ناله العراق بعد ذلك؟ أي خير شهدناه في الحرب؟ حرب اندلعت بيننا وبين دولة اسمها أمريكا لم أكن اعلم بشيء أكثر من هذا،

لا اذكر جيداً ولكنني حينها كنت طفلة وصدقني ان الأطفال العراقيين قد ينسون كل الا ذكريات الحرب كيف لا وهل يرى الأطفال العاديون أشياء كهذه كل يوم؟ اعتقد انه بدأ الفجر، لأستمع للمرة الاولى لأبشع صوت يدخل اذني، واعتقد ان الجميع يتفق معي ان صوت (الغارة) هو الابشع ، بل مرعبة هي كأنما تنذرنا ان النهاية اقتربت، بأننا على وشك الموت. بدت الأصوات مرتفعة جدا ومخيفة للغاية، كل شيء يهتز من حولنا، امي وجدتي امل تقرأن القران، اختي صامتة تبكي بصمت حينها اخي لم يكن قد ولد بعد، بينما ابي منزوي بمفرده، بكائي لم يكن عاديا بل كنت ارتعش، ابكي وانظر لمن حولي عل أحدهم يطمئنني، يخبرني اننا بخير وأننا لن نموت! هل شاهدتهم هذا المشهد من قبل؟ من طفل سألني نفس السؤال؟ انه اخي.
كانت امي تضع الكثير من القطن على اذني وكأنها ستمنع وصول الصوت لطبلتي. ذات مرة قد هدأت الأصوات فزاغت عينا اختي نحو التلفاز الذي كان يعرض أفلام تخص الحرب أيضا، تركت القران يستقر على جحرها، وفجأة عادت أصوات المدافع من جديد لتفزع اختي وتبدأ بتقليب صفحات القران وهي تحاول ان تتذكر ماذا كانت تقرأ من قبل. على ذكر الأفلام التي تخص الحرب أتذكر فيلمين وهما (الأرض) و (ما زالت الرصاصة في جيبي)، بالمناسبة بعد ان كبرت كلما كانوا يذيعون على القنوات المصرية أحدها كنت اتجنب مشاهدتها، الأفلام أيضا ترياق تحيي الذكريات داخلنا. اختي كانت تحب مشاهدتها في تلك الفترة، تلهيها عنما يحدث في الخارج. مدينتنا التي لم أتمكن من رؤية ازدهارها واكتشاف ينابيع جمالها كانت تصرخ مستنجدة، كانت تُضرب، تحاول الصمود.
مضى أسبوع على بدأ الحرب ولكنها كانت تزداد سوءً حتى

قررنا ان نترك منزلنا في بغداد والذهاب الى أحد المحافظات الهادئة قليلا ً، ذهبنا الى (ديالى) استأجرنا منزلا قديماً جدا. قبل الولوج اليه هناك ردهة لمحلات مغلقة وفي الداخل باب صغيرة تؤدي للمنزل حيث به باحة كبيرة، جميع افراد عائلة امي وابي اجتمع فيه، بحيث قسمنا المنزل علينا بل ضاق أكثر مما نظن. هناك الوضع اختلف لأ ننا كثيرون هذا يملك موضوعا للتحدث عنه وهذه تخبرنا بقصص حتى كدنا ان ننسى الحرب، ولكن الحرب لم تنسنا، وعاد القصف يقترب منا فخرجنا في تلك الليالي التي كان يشتد بها فنبيت في ردهة المحلات بعد ان نغلقها من الخارج، الجميع كان ينام على فراش نفرشه على الأرض. كانت جدتي امل تحاول ان تنسينا قلقنا واصوات القنابل، حكت لنا حكايات عن سندباد وبغداد التي لم نرها مزدهرة، وعلي بابا والاربعون حرامي على الأقل في ذاك التاريخ كانوا أربعين فقط، اعتقد انهم ازدادوا الان وأصبح اعدادهم بالآلاف، الغريب انني لا املك أي ذكرى عن بلادي قبل الحرب ، صماء كانت قبل ذاك التاريخ وبدأت بتدوين الذكريات العصيبة من بعدها. قد ننسى كل شيء الا لحظات شعرنا بها ان هذه نهايتنا، ننسى العسل ولا يبقى لنا سوى المر لنتذكره.

جدي نعيم هو أكثر شخص كان في هذا الكون الذي اجده معه راحتي وفي كلامه متعتي، من خلال ذكرياته كنت أرى بلادي في ازمان مختلفة، عن زمن كنا فيه في المكان الاول حيث ننتمي، في زمن كنا وجهة للسلام لا للحرب، ولم يكن يذكر فيها اسم مدينتنا الا في تلك الاخبار التي تبث التقدم والحضارة، في الواقع جميع من في بلدي يعيشون على كلمة (كنا) هي من تصبرهم وتقويهم، الماضي الجميل هو الذي يبقيهم، في حين ان الجميع ينادي المجد للمستقبل

ونحن ننادي المجد للماضي الذي لم نخضه من الأساس بل سمعنا عنه.
كانت من ضمن المتع ايضاً هو وجود دكان، يبيع أكياس رقائق البطاطا التي طبع عليها صور للاعبي كرة القدم، لم أكن افهمها ولم أكن مهتمة في فريق معين، الا انني كنت اشتريهم واقص الصور واجمعهم، كنا نتفاخر بأعداد الصور التي نملكها.
جدتي امل كانت تحضر لنا ايضاً (نستلة) هي تسميها كذلك، اختراع منزلي رائع يغنينا كان عن جميع الحلويات التي كنا نطالب بها، طبقة من البسكوت تصطف في قعر صحن مقعر ليغطيها طبقة من الشوكولا، ويترك ليجمد، فنأكله ليلا ً ونسى الصواريخ، نلعق ملاعقنا لنترك لهم العالم ونطارد طعم بقايا الشوكولا.
اذكر يوم سقوط مدينتي، يوم ظنه البعض انه الخلاص، السبيل للخروج من القبو، لكنهم وجدوا ان القبو يسلك طريقاً نحو المجاري. كان المنزل في ذاك اليوم منقسم قسمين، ما زلت اذكر تجمع البعض امام شاشة التلفاز التي نقلت انباء سقوط بغداد تحت الاحتلال الأمريكي، نقلوا صور لتمثال صدام وهو ينحني لهم، هتف ذاك الطرف من المنزل، لأسير منطلقة للجهة الأخرى حيث كان الصمت سيد الموقف، كانوا هادئين، في اعينهم خيبة وانكسار، في عينيهم حب ودمار، في عينهم امل قد تبخر وطار
بعد ذاك اليوم قد آن الاوان لنعود لبغداد، ولأننا كثر فا ستأجروا حافلة تقل الجميع، جلست على فخذ جدتي بجانب النافذة، راقبت الطريق بهدوء، رأيت مركبات روعتني للمرة الاولى، كانت مركباتهم ودباباتهم قد انتشرت كالمرض على جسد بغداد والطرق المؤدية اليها، وصلنا اخيراً بعد طريق طويل لمنزلنا في الكرادة، كانت نوافذ المنزل

محطمة بأكملها، المنزل قد تلحف بالغبار، يبكي ويشكو الينا وحدته، يسرد لنا تفاصيل معاناته، بقدر الإمكان بدأنا حملة للتنظيف لنساعد امي، قبل حلول الليل، لأن الكهرباء حينها لم تكن قد عادت لوضعها الطبيعي بعد، كانت منقطعة بشكل تام. عدنا لمنزلنا ولم يعد حينها شيء على حاله، لا نحن ولا ارضنا.

عبدالله

٩ فبراير ١٩٨٥

هذا تاريخ يوم مولدي اللعين، يوم خرجت فيه الى هذا العالم القذر، وجودي ربما ازاده قذارة، أكره هذا اليوم وأكره اسمي، ما معنى ان يختار لي والدي اسم لا ارغب به، بل حتى انني لا أؤمن به، عبد، لا انا لست عبداً لأحد هذا ما ارغب ان يتقبله الجميع، انا رجل يراني المجتمع فاسد ويجلس رجال الدين على منابرهم ليلعنوني، ختموني بختم الترحيل لجنهم وأنها مصيري، فماذا اذن؟ ان كان مصيري واحد لم لا اعبث في هذا العالم ان كنت سأخلد غدا في نار يظنونها حقيقية، رجل يمتلئ جلده بالوشوم، وشوم لا أحد يفهمها، فقط يلعنونها، رجل يعشق الدخان والكحول بل انها تجري في أوردته أكثر من دمه. رجل صعب الطباع و المعاشرة، لا ضوء في عالمي مجرد ظلام دامس اعتادت عليه عيناي، امسيات معتمة لا نجوم في سمائي ولا قمر، الا

نجمة واحدة قد زينت لياليي، نجمة اسمها جوى، تفاحتي المحرمة، المرأة التي رغبتي تفوق أي رغبة، امرأة استثنائية لا عطر يشبه عطرها ولا ملمس لأنواع الحرير يشبه ملمسها الناعم، القي بكل ما بي من شهوة في أجساد غريبة لأ تخلص بما بي من دنس بعيدا عنها كي لا تتسخ بما اكنه لها من شبق.

لأنها تحب جميع الأعياد حتى الرسمية منها والغير رسمية كانت تحب ان تحتفل بيوم ميلادي بالرغم من معرفتها انني امقته، ما المذهل في ان سنوات عمري تزداد وانا عالق هنا على هذه الأرض انتظر حتفي. في ذاك المساء عدت للمنزل فتحت الباب لأدخل كان المكان مظلما كالعادة، أغلقت الباب خلفي لتفتح فجأة الأضواء لا لم اتفاجأ ثم ان عطرها قد حلق في المكان بأكمله وملأه، التفت لأراها تقف عند ازرار الإضاءة بجانب الحائط لتقول بمرح: انه يوم ميلا اااااادك.

خمنت قيامها بشيء كهذا، سرت لأرمي بمفاتيحي على الكرسي القريب من الباب، اقتربت منها حتى بقيت أقف امامها، كان ظهرها يلامس الجدار تبتسم ابتسامة واسعة وعيناها تشعان حيوية ولهفة. اقتربت أكثر حتى أسندت نفسي على راحة يدي التي استقرت بجانب رأسها، اقتربت منحنيا برأسي تجاهها وانا ارغب بتلقين هذه الصغيرة درساً، ثنت ذراعيها لصدرها لتسأل وهي تضييق عيناها ضاحكة: ماذا؟

ببطء امتدت يدي الثانية لتداعب خصلات شعرها المموج، قدر المستطاع أحاول ان اسجن قريني السيء، ارجوه ان لا يتهور ويلتهم بشهوته كل شيء، اقتربت هي مني لترفع نفسها مقتربة مني كانت ستهم بتقبيلي وهذا جل ما اتمناه لكن ليس الان وليست هذه الليلة بالذات، لم تكن قبلتنا الا

اولى ولكن قبلة هذه الليلة تعتبر تهديدا بالنسبة لي ولها فكل شيء بي منتصب متأهب لسلوك طريق يصعب عليها هي سلوكه، كل شيء اشعر به الان قد يجعلها تهوى في ع الم من العتمة. لذلك قاومت وابتعدت لآخذ نفسا قائل: ماذا الم تحضري أشياء (خرابيط) كالعادة في مثل هذه المناسبات؟

صفقت بيداها وهي تجري تجاه المطبخ: بالطبع انتظر سرت لأخلع معطفي لأرميه على الاريكة واجلس عليها بكامل ثقلي لألتقط من امامي الكيس الصغير لأبدأ بلف سيجارتي بطريقتي، زاغت عيني ولساني يلحس طرف الورقة ناظرا لتفاحتي وهي في المطبخ منشغلة في حركتها السريعة للتحضير، راقبت جسدها الذي يفتك بي كل يوم، وهي مرتدية تحديدا هذه الليلة هذا الفستان الأ سود الذي يصل لفخذها، خصرها المنحني المرسوم بعناية، شعرها الطويل المموج، ذاك اللون الأحمر قاتم الذي لونت به شفتاها، كل شيء بها انثوي يطمع برجولتي، الا انني هنا عاجز مكتفي بالمراقبة، اراقب قطعة حلوى لاذعة الطعم يسيل لعابي عليها كلما اقتربت مني، افقت من شرودي وصراعي مع شيطاني على صوتها وهي تغني لي حاملة كعكة بها شموع ابتسمت رغما عني لأعتدل بجلستي، وضعت الكعكة امامي لتقترب مني وتنحني طابعة قبلة قوية على وجنتي لتمد بيدها بالسكين.

- اقطع بالمقلوب وتمنى امنية.

علقت ساخرا: من المفترض ان تحقق؟

ضربت كتفي بخفة مازحة: تمنى فحسب ربما تحقق.

تنهدت لأغمض عيني واقل بصوت مسموع: أتمنى ان اهجر هذه الأرض، ان لا اعود وابدأ من مكان اخر

نفخت الشموع لألتفت ناظرا اليها، كانت عيناها خائفتان

حدقتاها ترتعش، ابتسمت بسخرية لأقرص وجنتها قائلا: لا تخافي لن تتحقق على أي حال، اطمئني فمصيري ان اموت هنا.
دفعتني بغضب لتجلس بجانبي قائلة: اكرهك.
جررتها لأجعل رأسها يستقر على صدري لأضحك: احبك.
قبلت رقبتي هي مبتسمة: أتمنى ان لا نفترق ابدا.
لكن النجوم في تلك الليلة لم تكن عادلة لأنها تحيزت لأ منيتي وقررت ان تحققها لي، واهملت امنيتها.

الفصل الثاني

روح

الحاضر

توقفت عن الكلام وتوقف هو عن الكتابة، نظرت للأ وراق التي يكتب عليها ظننت انه قد بدأ بكتابة قصة متكاملة لكنها لم تكن الا عبارة عن ملاحظات سجلها،
اثار فضولي فسألته: لِمَ لمْ تكتب القصة، أعني انها مجرد ملاحظات.
ابتسم وهو ينهض ليجيبني وهو يشير بقلمه تجاهي: انتِ ذكية بالمناسبة، بالطبع لن اكتب قصة كاملة امامكِ، أولا انا اكتب قصصي على حاسوبي المحمول واحتاج وقت طويل ريثما أجد الأسلوب الذي سأبدأ به.
سار تجاه مكتبه ووضع الدفتر و

القلم ليلتف الي مسترسلا: انا ادون اهم ما قلته ومن خلا
له سأكتب القصة.
سرت تجاهه وانا أعلق بنفاذ صبر: متى ستساعدني؟
ابتسم ابتسامة خفيفة ثم رفع كتفيه و سألني: الستِ متحم
سة لأنك عدتِ للحياة مرة أخرى؟
علقت ببرود: انا لم اعد.
قال بتفهم وهو يثني ذراعيه لصدره: فعليا ربما،
ولكن روحكِ مازالت معلقة في الحياة،
صمت لثواني بعدها عاود النظر الي من جديد،
ثم شيء غريب من المفترض ان لا تبقى روحكِ هنا.
بقيت اراقبه نعم بالفعل هناك شيء غريب،
سار ليجلس على حافة سريره المفرد وبقي يجول بعينيه ف
ي المكان اثناء تفكيره، اقتربت منه لأقف امامه،
وجهه مألوف علي، ملا
محه و شيء به يخبرني انني قد رأيته من قبل لكنني لا
اذكر
أيقظني من التحديق في وجهه صوته فسألني: لم تحدقين
بي هكذا؟
اجبته وانا اضيق عيناي ناظرة اليه: اعتقد انني رأيتك من قب
ل لكنني لا اذكر اين ومتى.
ابتسم بسخرية وأجاب: لا اظنه انا، لأ
ني قد هاجرت مع اسرتي منذ خمس عشر سنة تقريبا،
حينها كنتِ مراهقا اعتقد ذلك.
لا، شيء يخبرني انه هو لكن ذاكرتي تخونني،
سألني: ربما عندما كنت مراهقا في العراق؟ هل رأيتني؟
حركت رأسي نافية لأجيبه: لا بل وانت هكذا،
كبير بهذه الهيئة،
اغمضت عيني بقوة لأفتحها، اردفت: لا، لا يمكنني التذكر

جوى

٢١ ديسمبر ٢٠١٤

كنت قد ذهبت الى منزله بعد انتهائي من الجامعة، بـ
الطبع كذبت واخبرت امي انني ذاهبة عند صديقتي،
انا لست مع الكذب واكرهه ولكن عائلتي بـ
الذات يستحقون ان يُكذب عليهم لا يحبون الصراحة،
ليس هم فقط بل مجتمعي بأكمله،
يمجدون الكاذبين ويدوسون على الصادقين، لأ
نهم يعلمون ان بـ
الصدق يرون انفسهم على حقيقتهم وان الصدق يعيبهم،
لو اخبرتهم انني اذهب لمنزله سيقيمون علي القصاص و
سأتهم بالزنا بالطبع، وهم لم يسمعوا ولم يروا ما نفعله، لا

ا يعلمون انه لم يلمسني قط، لا
يعلمون ان لقاءاتنا عذرية اكثر من أولئك الذين يتضاجعون
كل ليلة في منزلهم عبر سماعات الهاتف،
نلتقي في منزله لأن العيون تلتهمنا في أي مكان،
تنبذنا وتأكل لحمنا وهم لي يتعرفوا حتى على اسمائنا.
عندما دخلت لمنزله بنسخة مفتاحي بـ
الطبع وكأنني زوجة. كان هو يجلس على الا
ريكة البيضاء ذات الوسادات السوداء الكبيرة والغير مرتبة،
يجلس امامه على الطاولة الكبيرة المربعة حاسوبه المحمو
ل وكاميرته بجانبه، و
السيجارة بين شفتاه اللذيذتان. رفع ذراعه التي تمتلئ بـ
الوشوم يحيني دون ان ينطق بحرف، ابتسمت واقتربت لأ
نحني واقبل وجنته. رميت بجسدي على الاريكة بتعب لأ
شاهده وهو يقوم ببعض التعديلات
على صور احداهن من جلسات التصوير التي يجريها،
اعتدلت بجلستي وانا انحني قليلا للأ
مام وأركز على صورة الفتاة ذات الشعر الأ
شقر الطويل هي جميلة.
علقت وانا اشعر بـ
الغيرة بداخلي لكنني تظاهرت انني بخير: انها جميلة.
نفث دخانه ليقول وهو مازال مستغرقا في عمله: الصورة؟
نهضت من مكاني مجيبة: لا، الفتاة.
سرت تجاه السرير وانا العنه بداخلي، تبا له ولعمله هذا،
ماذا الى متى سيبقى يصور الجميلات والاعلانات لهن،
ويلمس احداهن ويخرج برفقتهن لأ
ماكن أعجز انا عن الخروج معه فيها.
رميت بجسدي على سريره المبعثر،
حاولت ان اهدئ من نفسي لأ

أغمض عيني واتنفس فحسب،
اعتقد انه لم يكن قرارا صائبا عندما تنفست،
كان هناك عطر نسائي على الفراش بـ
الطبع هو ليس عطري. اعتدلت وانا افتح عيني بصدمة،
جززت على اسناني لأناديه: حبيبي.
- مممممم.
اجابني ببرود وهو يعمل، نهضت لأ
قترب منه وانحني اليه متسائلة: ضاجعت من في الامس؟
رفع رأسه ونظر لي بصدمة،
ابتسمت بسخرية معلقة: اجل عطرها قد بقي على سريرك
ولكنه نوع رخيص.
نهض وتوقف امامي وهو يتأفف: الن تتوقفي عن هذه الهلـ
ـوسات، انه عطرك.
اشرت بسبابتي تجاه نفسي لأعلق ونبرة صوتي ترتفع: لا
ليس عطري.
رفع كتفيه بتجاهل: اذن اعتقد انك توهمت.
ضربت صدره بقبضتي لأصرخ: لست كذلك،
انت تعلم ان ما أقوله صحيح.
امسك بمعصمي وهو يجز على اسنانه ليقول: اجل فعلتها
يكفي.
جررت ذراعي من قبضته لأبتعد خطوة للوراء،
أكمل هو بصوت مرتفع: ماذا تريدينني ان افعل؟
أبقى قديسا من اجلك، انا رجل ولدي احتياجات،
انا لست بيوسف.
صرخت قائلة: وانا لست بمريم،
انت تريدني ان أكون كذلك وانت حتى لا
تستطيع ان تكون مثلي،
تطلب مني ان اصون نفسي وانت مباح للجميع.

ككل رجل يتظاهر انه متفتح ولكن عند موقف معين يعود لجذوره: انا رجل هييي.
قلت با شمئزاز: انت مقرف، جميعكم مقرفين.
دفعته واقتربت من الاريكة لأ
لتقط حقيبتي فلمحت صورة الفتاة التي كان يعمل عليها
سألته: هذه هي أليست كذلك؟ اخبرتني بالأ
مس ان لديك جلسة تصوير وأنك مشغول.
صرخ بي: لم اكذب بالفعل كنا نعمل وبعدها.
انحنيت لأحمل جهازه وارميه بقوة على الأ
رض ليتحطم بينما هو بقي ينظر الى بصدمة،
حملت حقيبتي وانا اشعر انني لم اشفي غليلي توجهت ت
جاه الباب قائلة بصوت مرتفع: كان عليكما اجراء جلسة تص
وير وانتما في الفراش.
أغلقت الباب خلفي بقوة وانطلقت خارجة وانا أحاول التقا
ط انفاسي، اخذت فورا سيارة اجرة واتجهت للمنزل،
كنت أحاول منع دموعي بصعوبة وانا اراقب نظرات السائ
ق الذي يسددها لي عبر المرآة وهو يحاول ملاطفتي،
تبا لكم جميعا. وصلت للمنزل بسرعة قصوى انعزلت في
غرفتي لأبكي، وكأن هناك بركان انفجر بداخلي،
أغمض عيني بقوة واحاول منع دموعي كفي يا فتاة كفي
عن ذلك، أهي المرة الاولى التي يكسر بها قلبك؟
من المفترض ان تكوني قد اعتدتِ على الوجع. صوت بداخ
لي أجابني لكنني تعب منه، في كل مرة اعتقد ان حجم الأ
لم سيتضاءل مع كل جرح الا انه لا يفعل، الجرح لا
يكف عن النزيف والدموع لا
تنفذ ابدا. دخلت اختي نجمة للغرفة فتوقفت عند الباب تن
ظر الي بحزن، لقد اعتادت على رؤيتي وانا ابكي،
وانا منكسرة في أحضان هذه الغرفة،

حاولت مسح دموعي بقوة لأ
نهض من على السرير وانا ابتسم امامها قائلة: انا بخير،
انا على ما يرام.
في الواقع لا اعتقد انني كنت أقول لها هذا بل لنفسي،
أحاول اقناع نفسي انني بخير، دخلت للحمام لآ
خذ حماما منعشاً وبعدها اتصلت بصديقة لي اخبرها انني ا
رغب بالخروج فوراً، لا لن انزوي بين هذه الجدران،
المي سيبقى يؤلمني أينما كنت،
وانا افضل ان يؤلمني وانا ارتدي ثياب جميلة واتبضع في ا
لمركز التجاري.
قمت بوضع (الماكياج) وضعت بالتحديد احمر شفاه أحمر،
ارتديت حذاء بكعب عالي لا اعلم أي علا
قة تلك بين كعب حذائي العالي وبين شعوري بأنني قوية
عند ارتدائي له. اخذت صورة لنفسي وانا ابتسم ابتسامة م
زيفة واضعها على (الفيس بوك)، لا
لن أقوم بنشر اغنية حزينة او كلام
يبين ما اشعر به. خرجت برفقة صديقتي يا سمين،
هاتفي لم يتوقف عن الرنين لكنني مع كل رنة كنت ابتسم
فيها بنصر، اسفة لأنني خيبت ظنه ولم أسقط.
سمعت صوت رنين يعلن عن وصول رسالة الي فتحتها لأ
جده قد كتب لي (انتِ مصيبة)،
كتبت له (بل انا لعنة حلت عليك اليوم)،
بقي يبعث الي برسائل يتساءل فيها عن مكاني لكنني تجا
هلته. جلست مع يا سمين في أحد المطاعم،
فتحت قائمة الطعام قائلة: أرغب بطلب الكثيييير من الطع
ام.
لا
انا كاذبة وانا لست بخير واقسم انني في أي لحظة قد اض

ع
رأسي على الطاولة وافضح نفسي بنحيب في هذا المكان
لكنني متماسكة لدرجة السقوط.
ق
الت يا سمين مقترحة: دعينا ننتظر علي سيأتي بعد قليل لن
أكل معاً.
لا ارجوكِ لا اطيق وجود أحد إضافي الان، لا
وقت لجلوس حبيبكِ معنا ليسألني عنه، لأ
جيبه انه مشغول بخيانتي مع احداهن كعادته. كنت مستغ
رقة بتصفح قائمة الطعام حتى سمعت صوت علي وهو يح
ينا، رفعت رأسي لأ
راه يقف معه! ابتسم حبيبي الخائن الي بنصر واقترب ليس
حب الكرسي الذي بجانبي، جززت على اسناني لأ
حكم قبضة يدي بقوة. سألني علي: كيف حالكِ جوى.
بلعت ريقي وأجبت بابتسامة مزيفة: بأفضل حال.
علق هو ليجيب علي: الا تراها انها في أفضل حالاتها،
حتى انها قد وضعت احمر شفاه احمر، هي رائعة.
التفت اليه وانا امسك سكين الطعام واهدده قائلة: اياك ان
تتحدث معي.
قهقه بصوت مرتفع ليقول: افعليها.
حاولت يا سمين التدخل قائلة: هييي اهدئا،
نحن وسط الناس يمكننا حل الموضوع بالتفاهم.
قلت وانا اتظاهر الهدوء ساخرة: اووه تفاهم، رائع لأن
حبيبي قد خانني كالعادة مع احداهن.
بعجز سألتني: ربما اسئتِ الفهم.
اشرت تجاهه: لقد اعترف.
صمتت لأنها تعلم ان موقفه سيئ جدا. علق هو: انتِ لا
تفهمين انها ليست خيانة،

عندما تدخل غيركِ امرأة لحياتي اعتبريها كذلك.
صفقت لأ
ضحك: واو ما هذا المبدأ جسدك للعاهرات وقلبك لي! كم ا
نت عظيم.
نهضت لأحمل حقيبتي وانا اضيف بغضب: شكرا يا سمين
لأنكِ اخبرته عن مكاني.
حاولت ان تناديني لكنني خرجت فورا،
تبعني هو للخارج حتى استطاع اللحاق بي والا
مساك بذراعي، كنت اقاومه لكنه ق
ال لينهي الموضوع: حسنا اعتذر انا اسف.
هدأت حركتي لأ
علق ساخرة: في كل مرة تعتذر وتكرر فعلتك.
حاول الهجوم علي متحججاً: وانتِ لا تملين دوما من عتابي،
تعجزين عن فهمي.
قلت له: عليك ان تفرح عندما اعتابك، لأن
بعتابي لك ارغب ببقائك، بسماع كذبة وعذر منك،
ان لم اعاتبك يوما فتأكد أنك حينها لم تعد تعني لي شيئا
من الأساس.
امسك يداي ورفع احداهما لشفتيه قائلا: انا اسف، عاتبيني
، اغضبي حسنا موافق، ان كنتِ ترغبين بالابتعاد لأيام، لكن
لا يمكنك انهاء أي شيء بيننا هكذا.
بقيت انظر لعيناه، سحقا عيناه دوامة ضياعي، عيناه لا
تكذبان اعلم انه ليس ملاك لكنه صادق. جوى اصمدي أكثر،
دعيه يلم نفسه أكثر، دعيه يُعذب بالابتعاد عنكِ أكثر،
دعيه يتألم كما تألمتِ،
لكن قلبي اللعين سيؤلمني ان تألم هو،
المه لن يشفيني بل يمرضني.
قلت له وانا أحاول ان أبدو متماسكة: حسناً،

لكنني بحاجة للتفكير واخذ وقتي،
أعني انني غاضبة منك سأهدأ لاحقا.
أشار بكفاه يحاول تهدئتي: مذهل، اهدئي وخذي وقتك،
المهم اننا معا.
هذه هي الحقيقة التي لا
يمكننا انكارها هي اننا معا دوما رغم ما يبدر منه،
وان حاولت انكار هذه الحقيقة فكأنني أنكر أحد تلك الحقائ
ق التي تخص الكون،
وهي ان الشمس ليست كروية مثلا. سنفترق عندما تنطف
ئ الشمس وتصبح كتلة من الجليد لا من نار

روح

٣ مارس ٢٠٠٥

أكره مدرستي لا اعلم هل كل الأ
طفال يكنون هذه المشاعر تجاه المدرسة ام انني الوحيدة؟
ام لأن مدرستي بائسة فهي الوحيدة التي كذلك؟
بل أكره التعليم برمته، طرقهم، كتبهم، صفوفهم القديمة،
واروقتهم المزدحمة.
أضف الى ذلك الطابور الصباحي ذاك الذي يجعلنا نتراقص
مرتعشين من البرد ونحن نستمع لخطبة كتبتها معلمة لأ
نها أوامر أمليت عليها ليستمع اليها طلاب
قد تركوا اذهانهم في المنزل قرب المدفئة.
لم أكن اشعر انني عادية حينها، لأنني لم أكن أرضى بـ
الصمت،
في ذاك الوقت لم يكن الخضوع قد سلك طريقه معي. كانـ
ـت
معلمة الدين قد انتهت من الشرح وتركتنا لنفعل ما نشاء،
حينها كنت احمل في حقيبتي الزهرية دفتر للتلوين لسندر
يلا، بدأت ألون صفحة احدى الصفحات التي تحمل رسمة الأ
ميرة ترقص مع سندريلا. اقتربت مني احدى صديقاتي لتلقـ
ـي نظرة على الدفتر،
لتفتح ثغرها الصغير بأعجاب قائلة: انه رائع،
هل لي بألقاء نظرة عليه؟
ابتسمت لأسمح لها بتصفحه،
لم انتبه للمعلمة وهي تقترب لتقف امام مقعدينا،
امسكت بعنف بالدفتر قائلة بصوت مرتفع: ما هذا؟
اجابت صديقتي وهي تنحني ببصرها للأسفل: انه لها.
أشارت بإصبعها الصغير تجاهي،
بلعت ريقي لم أكن مخطئة، اين الجريمة التي ارتكبتها؟
اقتربت مني وهي تنظر لي بعينين متقدتين لتصرخ بي متـ

سائلة: ما قلة الادب هذه؟ كيف تقتنين هذه الأشياء؟
انها شياطين، الله سيدخلك في النار
رفعت رأسي لأنظر لها بتعجب، لم قد يدخلني الله
النار وانا لم افعل شيء سوى انني لونت؟
ام ان الحياة هكذا تعاقب من يلونون،
من يضعون شيئا مختلفا،
من يُحَسنون من تلك اللوحة القبيحة؟
قلت ببراءة وانا اشعر بإحراج لأن
الجميع كان ينظر تجاهي: لكنني لم اخطئ،
انها ليست حرام.
صفعة قوية ادارت من رأسي تلقتها وجنتي، قـ
ـالت وهي تصرخ: انا من احدد، ستعاقبين.
جعلتني انهض واقف في الزاوية بجانب سلة المهملات
هكذا اخبرتني انه المكان الذي استحقه. وقفت وانا أرى تلـ
ـك العيون التي تشمت فيمن يقف هنا،
هكذا علمونا ان من يخالف رأي المعلم يعاقب ويستحق الـ
ـسخرية، لمجرد ان له رأي مختلف،
وان كان محقا. ومن هنا تتربى الأ
جيال على ان من يختلف عنا هو شخص منبوذ،
شخص سيئ، لا نحاوره ولا نسمعه،
نشتمه ونقذف به خارج علمنا، لا نصحح من المخطئين ولا
نحاول ان نفهم لم اختلف تفكيرهم عنا.
رأيت حينها ابتسامات واستهزاء،
هم من قسمونا من هنا بدأت امراضنا على الكراسي الدرا
سية، من هنا بدأت الفجوة، عندما كانوا يفرقون بيننا،
من كان جيدا في الدراسة يستحق المقدمة ويستحق ان يُ
فصل عن أولئك الفشلة، حتى صنعوا لهم طبقات.
لم يخبروننا ان استيعابنا مختلف، ظروفنا مختلفة،

حياتنا ومقدار درا ستنا.
صادفت على مر السنوات لا سيما في المرحلة الا
بتدائية فتيات لم يكن مرتبات،
لكنهن أصبحن محط سخرية للمعلمة قبل الفتيات،
كانت بعض المعلمات تسخر منهن ومن شكلهن امام الص
ف بأكمله لتتعالى الضحكات، لأ
راهن وحيدات في الفسحة تجد كل واحدة زاوية تحت ظل
لتختفي فيها وتراقب العالم بصمت وحسرة.
لم يتساءل أحد لم هي كذلك؟ هل لديها من يعتني بها؟
هل أمها على قيد الحياة؟
ما الظروف التي جعلتها منسية حتى في منزلها؟
المهم ان بعد تلك الصفعة في يومها عدت للمنزل اخبرت ا
مي عنما حدث، سألتني امي بقلق: ما الذي اقترفته؟
حكمت علي انني اقترفت شيئا قبل ان تسمع الحكاية،
اجبتها بحزن: لم افعل شيئا، لكنها طلبت رؤيتك.
نهضت امي من مكانها لتذهب للمطبخ وهي تحدث نفسها
بصوت ء
ال غاضبة: يا إلهي لقت تعبت من هذه المشاكل اليومية،
(هم البنات يبقى للممات).
وضعت يدي على وجنتي امسحها هي لم تقبل ذاك المكان
الذي المني، لم تسألني عن الوجع ولا
عن السخرية التي حظيت بها، هي لم تفعل شيئا.
في اليوم التالي ذهبت معي للمدرسة وهي طوال الطريق
ممسكة بيدي توبخني.
- الى متى سأظل اتحمل مشاكلك ومشاكل اختك،
ليتكما كبيرتان لأزوجكما وارتاح من هذا الهم، اه يا اللّٰهي.
وصلنا للمدرسة بعد ان امتلأت
اذاني وثمل عقلي من التوبيخ،

كنت برفقة امي عندما تحدث مع المعلمة،
حاولت امي ان تلاطفها قائلة: نحن نعتذر،
ما كان بيدها مجرد دفتر رسوم للأ
طفال وانا بنفسي اشتريته لها.
ابتسمت لأن امي قد دافعت عني للمرة الاولى،
لكن ما صدمني هو ما ق
الته المعلمة وهي باردة: مشكلتي لم تكن مع الدفتر، بل لأ
نها كانت تلعب به اثناء الدرس وانا اشرح،
وعندما طلبت منها ان تتوقف جادلتني تخيلي!
عفوا اليس من المفترض انها تعلمنا الدين؟
هل في الدين كذب؟ اليس الكذابين في النار؟
بقيت انظر اليها بصدمة،
بينما اذناي تجاهلتا عتاب امي وتوبيخها الي امام المعلمة،
نعم لقد قللت من شأني امامها ووعدتها انني سأعاقب أيـ
ـضا في المنزل. لم أنسى ذاك اليوم ولم انس شكلها هي أيـ
ـضاً، ولا حتى امي وانا في أمس الحاجة لتنصرني.

روح

الحاضر

ابتسم هو بحزن ورفع كتفاه بعد ان انتهيت من السرد ليقل معلقاً: اعتقد ان الجميع قد عانى على تلك الأرض.
بقيت انظر اليه ببرود وكأنها ليست قصتي ولا تعنيني، وكأنني لم اعشها. قلت وانا انظر للأرض بشرود: لحسن الحظ انني مت وتخلصت من هذ العالم.
قال وهو ينهض من مكانه ويفتح ذراعيه مشيراً: الا تحلمين بعالم أفضل؟ تصنعينه انتِ، لا يملى عليكِ شيئا.
سرت تجاهه وانا أعلق بصوت منخفض: لم احلم وانا حية، هل سأحلم وانا ميتة؟
أصبحت أواجهه سألته: متى ستساعدني؟
ترك دفتره وقلمه على الطاولة وقال وكأنه مستعد لشيء: حسنا لنبحث أولا في الاخبار أي شيء يخبرنا انكِ غرقتي.
قلت له وانا اشير الى نفسي: أليست هذه روحي! ماذا أكثر ؟
سار تجاه حاسوبه المحمول وجلس على حافة السرير ليفتحه قائلا: لا، اشك ان هناك شيئا اخر،
رفع رأسه ونظر الي مباشرة،
هناك فليماً قد شاهدته البطلة تتعرض به لحادث فتنام في

غيبوبة لتظهر روحها، أعني انه.
صمت وهو يدور ببصره باحثا عن كلمات تمكنه من الشرح
لي: ان كنتِ قد متِ فلا يجب ان أرى روحكِ ولا
يجب ان تتواجدي هنا،
بينما ان كنتِ في غيبوبة او شيء ما شابه ذلك قد يفسر
ما يحدث.
قلت وانا اعقد حاجباي: حاول فقط البحث عن مركب قد غر
ق منذ فترة.
بدأ يعبث، يتأفف مرة ويتنهد مرة أخرى،
وضع حا سوبه جانبا ليستقر على السرير وانحنى للأ
مام يفرك يداه ببعضهما نظر لي بتركيز ليقل: هناك قارب غر
ق في بودروم، تمكنوا من انقاذ أربعة اشخاص،
وتمكنوا من إيجاد أربع جثث،
لكن هناك أكثر من عشرون فرداً لم يتمكنوا من إيجاد جثثه
م حتى.
قلت بصدمة: ربما وجدوا جثتي.
نهض من مكانه والاف الأشياء تدور في ذهنه،
ضيق عيناه وهو ينظر الي ويبتسم ليقل: وربما تكونين أح
د الأربعة الناجين.
نظرت له بخيبة لأعلق: لا اريد ان أكون من بينهم.
بدهشة وحاجباه يرتفعان في جبينه علق: الستِ سعيدة؟
فكرة ان تكوني على قيد الحياة فكرة عظيمة.
ببرود رفعت كتفي قائلة:
لا. ما الرائع في ان تكون على قيد الحياة وانت وحيداً؟
بل ما الرائع في ان تكون جزءً من هذا العالم الموحش؟
اقترب مني خطوة وكأنه يأمرني: المشكلة انهم لم يذكروا م
ا
جنسهم او أعمارهم او أي شيء يخصهم لكن يجب ان اتق

صى عن الامر رفع كتفاه ليكمل،
لذلك سأحاول اقناعكِ ان الحياة تستحق خلال
هذه الفترة ستكملين سرد تفاصيل حياتكِ لأكتبها، اتفقنا؟
بقيت أفكر لدقائق،
ماذا ان كنت على قيد الحياة وهو اخر شيء اتمناه؟ لا
رغبة لي بخوض الحياة مرة أخرى،
ارغب بأن تفنى روحي وتتلا
شى لترحل الي أي مكان موقنة انه سيكون أفضل من هذا
العالم، أشار لي بيده ليعلق: لا
اعتقد انكِ قد خضتي تجربة من قبل،
جربي ماذا ستخسرين أكثر من كونكِ روحا؟
قلت وانا اطفو بعيدا في عالم الذكريات: خسرت الكثير
- اذن يجب ان تجربي.
سألته بقلق: ماذا ان لم أكن على قيد الحياة؟
عاد ليجلس على حافة السرير ويعود بظهره للخلف ليستند
على يداه التي استقرتا على الفراش: انا واثق انكِ على قيد
الحياة، ان لم تكوني فأصاب بالجنون حينها.
اقتربت منه لأقل بتردد: حسنا، مواف...
لكن ظلام باغتني، لم أستطع اكمال كلامي لأ
غيب عن هذا العالم مرة أخرى.

عبدالله

٣٠ يوليو ٢٠١٥

منذ الليلة الماضية وانا اتصل بجوى لكنها لا تجيب،
لم يحدث بيننا شيء والقلق ينخر جسدي بقوة للمرة الا
ولى اشعر بشيء غير طبيعي. اتصلت بصديقاتها لكنهن مث
لي لم يسمعن صوتها حتى ولم تذهب للجامعة،
حاولت ان امارس عملي ويومي بشكل طبيعي لأ
طرد أي وساوس بداخلي وأنها بخير وانني وقعت في شرك
مزاجها المتقلب،
حتى انتهى اليوم وقاربت العقارب على ان تقف عند منت
صف الليل وهي لم تظهر،
نظرت امامي لزجاجة الكحول عشيقتي الثانية كانت تستقر
على الطاولة تدعوني لأ
فرغ ما بداخلها بي لكن هذه المرة محاولتها فشلت. نهضت
حاملا هاتفي ومعطفي وخرجت من منزلي متجها للسيارة،
لا ثم شيء غير طبيعي بها،
اتجهت فورا الى منزلها أوقفت سيارتي امامه اخذت نفسا
عميقا وانا اراقب ذاك السجن الذي تحبس به، الجحيم الذي
لا يمكنني إخراجها منه،
ماذا علي ان افعل للقائها أأطرق الباب واخبرهم انني قلق
عليها.. سيسألونني من انت؟ ماصلتك بها؟
أأخبرهم انها تعني العالم بأكمله؟ الجميع يرانا غرباء ولا
أحد سوانا قادر على تقدير مدى ترابطنا،
كمحاولة أخيرة يائسة بعثت لها رسالة (انا امام منزلك اخر
جي والا سأفعل شيء مجنون واقتحمه).
امهلتها دقائق ومنحت لعقلي فرصة للتأني وإيجاد حل،
راقبت باب المنزل تفتح لتظهر هي وتراقب الجوار بحذر،
خرجت وهي تضع على رأسها شال يلثمها،
سارت بحذر مقتربة تجاهي فبدأت ضربات قلبي تزداد مع
كل خطوة تخطيها، فتحت الباب وجلست بجانبي لأ

أدفع كل ما بداخلي من ثوران لأوبخها: اين انتِ؟ لم لا تجبينني؟
كانت هادئة على غير العادة مما دفعني لأ
مسك بمرفقها بقوة واديرها لتواجهني ناظراً لوجهها،
وهنا كانت الصدمة، وجهها متورم،
عيناها منتفختان شحوب وتتلون وجنتيها باللون الأزرق والا حمر،
اتسعت عيناي ليقف كل ما بي وكل ما يحيط بنا. مدد يدي وهي ترتعش تجاهه وجهها ولكنها عادت للوراء حيث تدور عيناها في الفضاء الذي لا يشملني،
سألت بعجز: من فعل هذا؟
ابتسمت وهي تدير وجهها ناحية المنزل القذر ذاك لتعلق: م ن غيره، ابي.
همت بفتح الباب لتترجل قائلة: علي الذهاب.
تركتها تتلاشى من امامي وانا صامت، ضعيف بل جبان،
رأيت ظلها يمحى من على الأ
رض لتترك صدمة بي. أسندت يداي على المقود ووضعت جبهتي على يداي،
الى متى سأراقب ذاك الرجل وهو يبغي عليها؟ لم لا املك صلاحية اقتحام المنزل والوقوف امامها لأ
حذره عن مس شعرة منها؟
لم انا جبان مع أكثر امرأة أحبها في هذا العالم؟
جبان عن امتلاكها، جبان عن الدفاع عنها،
فقط أقف مكبل اليدين لا حول لي ولا قوة، اعتدلت لأ
حرك السيارة وابتعد عن هذه المنطقة التي تحنقني واعود لوكري. عدت للمنزل أغلقت الباب بقدمي ورميت مفاتيحي ارضاً، بدأت اخلع معطفي ثم تبعه قميصي،
توالت قطع ثيابي تقلد بعضها وتهبط ارضا حتى أصبحت

عاريا اسير في مملكتي التي أكون فيها كما اشاء. سرت تجـ
ـاه البار الذي تصطف عليه عشيقاتي،
التقت احداهما وانا انظر اليها بشهوة بدأت اشربها لأ
رتوي بعشيقتي من ظمأ حبيبتي،
مسكينة افرغت كل ما بها بداخلي لأ
خونها مع اختها التي لم تفتح بعد،
وهكذا جلسن فارغات ينظرن الي بحيرة بعد ان عجزن عن
اسكاري، سرت وانا اتخبط قليلا بين الا
رائك أحاول الوصول لهاتفي اللعين، بحثت في قائمة الأ
سماء التي تكثر في هاتفي عن احداهن. عن بديلة تحل مكا
نها على سريري كما افعل دوماً،
أحاول اخماد ما بي بأخريات،
لكنني اتناسى دوما أن ماء البحر لا
يشبع الظمئان كذلك هي. اتصلت بإحداهن وطلبت حضور
ها، جلست ارضاً وانا ممسك بزجاجة جديدة،
مع كل رشفة كنت العن فيها نفسي، و
العن الساعة التي دخلت فيها هي حياتي،
لتجعلني عاجز عن كل شيء، عن تركي لهذا البلد القاتل،
عن اقترابي من امرأة اشتهيها، عن دفاعي عنها،
عن الشعور بأنني قذر لتركها هكذا،
أتذكر ذات مرة سخرت مني متسائلة: لم تخاف فعلها معي
، علقت ساخرة، لا تخبرني أنك تخاف الله؟
حاولت ان اسألها متهربا من الإجابة: لكنك تخافينه لذلك لا
ترغبين بي.
هي ذكية أصرت على المطالبة بإجابة فكذبت عليها قائلا: حـ
ـبيبتي، انتِ تفتقرين للخبرة.
رفعت حاجبيها لتقل بدهشة: خبرة!
اشرت لنفسي موضحا: انا في سن لا

ا يمكنني ان اعلم فتاة من البداية كل شيء،
برأيك لم يترك الرجال زوجاتهم ويلجؤون لعاهرات؟
ثنت ذراعيها لصدرها تنتظر الإجابة، أكملت: لأ
نهن ينقصن للخبرة، لا
يمكن للزوج توضيح كل ما يرغب هو به،
او شرح ما يريدها ان تفعل،
هههه سيكون حينها محاضرة لل.
ضربتني بمخدة قائلة: سخيييف، اذن لم يتزوج من الأ
ساس؟
جررتها لأضمها لصدري: يتزوجون لأنهم يرغبون بالا ستقرار،
ا ستقرار مظهري امام الناس، زوجة جميلة وفية تربي الاولاد
جيدا وتصون سمعته.
حاولت ان تقنعني: لا، بل يتزوجون لأ
نهم يرغبون بإمضاء عمرهما معا.
سخرت: هذه كذبة أيضاً، لهذا انا لن اتزوج ابدا،
نحن لن نتزوج، لأنك حينها ستكونين عادية بالنسبة الي،
ستفقدين بريقك
تابعت كلا
مي وانا أدخن ببرود: ستكونين مملة وانت تنتظرينني يومياً
، تنامين بجواري كل ليلة.
ابتسمت هي بسخرية حاولت ان تخفي حزنها،
لكنني كذبت حينها في كل شيء قلته، لن اتمل منها ابداً،
لن ارتوي مهما شربت منها.
عدت من ذكرياتي على صوت طرق الباب رميت تلك البائس
ة الفارغة من يدي ارضا ونهضت لأ
فتحه الدوار يراقص رأسي،
ضيقت نظري وانا أراها احداهن لكنني حتى لا اذكر ا سمها،
ابتسمت لتقترب وتطبع قبلة على شفتي،

أغلقت الباب خلفها بينما هي سارت متجهة للمكان الذي تن
تمي اليه، لوثت جسدي مجددا ومرارا بجسد غيرها،
وامارس ما منعه إلاهها والعن نفسي على عجزي، والعنها،
والعن اسمي وهذه الأرض التي تمد من جُبني.

الفصل الثالث

جوى
٣١ يوليو ٢٠١٥

ندمت كثيراً، اجل ندمت لأ
نني اخبرته ان ابي ضربني لكن كيف كنت سأضع مسما لا
وحة التي رسمت على وجهي؟ لم يكن امامي خيارا لكنني
الان ادرك مدى خطئي،
بأن اخبر اهم رجل في حياتي ان ابي ضربني، بدلا
من ان يخاف من تلك اليد التي ستعاقبه مستقبلا
ان مسني بسوء امتدت يد والدي لتضربني انا،
ليمنح شريك حياتي بحق التعنيف،
ان فعلها فلن اصدم واخبره انها المرة الا
ولى التي تلمس شعرة مني بسوء لأ
نه يعلم ان ابي مارس هذا العنف مراراً،
اهانني اول رجل في حياتي قبل الغريب،
على مرار سنوات حاول صقل مني امرأة سلبية يتسع وج
ها وجسدها للكمات واهانات سواء منه او من زوجي،
يحاول ان يعلمني الصمت والخضوع منذ صغري،

كما امي هي اليوم، سلبية وبائسة.
تذكرت قبل يومان،
كنت في غرفتي متنفسي الوحيد في هذا المنزل،
حتى سمعت صوت صراخ امي وبكائها المنكسر وصوت اب
ي الظالم وهو يمارس ظلمه علينا،
قفزت من سريري مسرعة لأخرج لغرفة المعيشة، دخلت لأ
رى نجمة تقف جانبا تبكي بصمت خائفة بينما امي على الأ
رض ينهال ابي عليها ضربا ويترك صوته ليزعج كل جدران ال
منزل،
اندفعت بينهما وانا اصرخ أحاول ابعاد يداه القذرتين عنها،
صرخت في وجهه: كف عن هذا.
لكنه أنهى كلامي بصفعة قوية ساخنة على وجهي،
بيد ثانية جر شعر امي وهو يجز اسنانه: هذه تربيتكِ أترين
يا.....؟
دفعته بيديي بقوة لأبعده عنها وانا ما زلت اصرخ عليه،
حتى شعرت بلكمة قوية ضربت وجهي شعرت ان عظم و
جنتي تكاد ان تتحطم،
لحظات حتى شعرت بجذور شعري تتمسك بفروته لأ
نه امسك بشعري بقوة يكاد ان يخلعه من مكانه وهو يشتم
ني بأقذر الالفاظ ليرميني ارضاً، رفع سبابته ليهدد ك
العادة وهو ينظر الي بمقت: ان تدخلتِ مرة أخرى سترين م
ا سأفعله بكِ
تهديده لم يردعني لأ
قل وانا اشعر بشيء لزج يسيل من انفي الى شفتي قلت
بحقد: اكرهك.
ركلة قوية بقدمه تجاه بطني لأ
شعر ان احشائي قد تقلصت وإنحشرت في مكان وكأنها ا
صطدمت بجدار ظهري من الداخل،

وضعت ذراعي على بطني لأ
نكمش على نفسي وانا اصارع صوتي في التصريح عن الأ
لم،
رأيت اقدامه تغادران المكان ثم صوت الباب وهو يغلق بقو
ة ليخرج ويبدأ البيت بالتنفس.
عقدت حاجبي بغضب وانا أرى امي تحاولان
تلملم نفسها بعد ان قد ثوبها بقوة وعشرها الذي أصبح ا ش
عثاً. اقتربت مني وهي تحاول انهاضي وطرح المبررات لطغ
يانه: لم تدخلتِ؟ كان غاضبا لا بأس.
ابتعدت عنها وانا أحاول النهوض: كان علي ان اتركك تضربي
ن اليس كذلك؟
ابتسمت بحزن معلقة: لا
بأس هو هكذا عندما يغضب ولكنه طيب.
صرخت بها حتى شعرت ان حبالي الصوتية ترجوني لأ
صمت: كفيييييييي عن هذاااا، كفي عن التبرير له،
لقد اكتفينا منه.
هممت بـ
الخروج بعد ان مررت من جانب اختي التي تشبك يداها بـ
القوب من وجهها وتبكي، التفت لأمي لأ
بصق الدماء التي تجمعت في فمي أيضا ارضاً: اكرهكِ بقد
ر كرهي له، أكره ظلمه، وأكره ضعفكِ
دخلت غرفتي لأ
رمي نفسي على السرير وانا احتضن بطني وأقرب ركبتاي ل
صدري واتلوى الما، اولم يقولوا انه لا
يدخل أحد الجنة ان لم يسامحه شخص اساء اليه! سأقف
حينها في طريقه في حال دخلوه الجنة، ان كنت بابا للجنة لأ
بي فسأكون انا بابه المقفل، لن اسامحه على كل إهانة،
على كل ضربة تركت بي اثراً.

دخلت نجمة الغرفة وأغلقت الباب بهدوء لتقترب وتجلس على حافة سرير، مدت يدها لتمسح الدماء من على وجهي، بضعف ابتسمت لها: انا، بخير، هههه لقد اعتدنا اليس كذلك ؟

قالت بحزن: انتِ لستِ كذلك.

علمت انني اكذب امسكت بيدها اللطيفة وقبلتها: سأكون بـ خير، اعدكِ

عدت من ذكرياتي وانا أقف امام مرآتي،

ابتسمت بحزن وانا اشغل اغنية (اليسا – يا مرايتي) بدأت اضع مساحيق التجميل، لا أحد يعرفني كمراتي، لا أحد شاهد انكساري ونشأتي مثلها،

مرآتي رأتني عندما بكيت امامها،

وواستني عندما قررت المواجهة،

صبرتني وارتني كيف يجب ان أكون، مرآتي عكست ملا محي البائسة ورسمت على وجهي ابتسامة قوة مزيفة، راقبتني وانا اضع الأقنعة كل صباح واخرج لأواجه العالم،

مرآتي يا مرآتي أخبريني هل أبدو لهم انني بخير؟

وضعت كعادتي قناع اكثرت من المكياج لإ خفاء ما على وجهي، لأ ننني سيئة فأنني استغل أوقات دوامي في الجامعة بـ الذهاب لرؤيته،

طرقت الباب ففحته هو بقي ينظر الي بصمت بحزن، ابتسمت لأحتضنه واضع رأسي على قلبه، دلفنا للداخل لأ بتعد عنه واحاول التظاهر انني بخير: انا جائعة للغاية، هل نطلب لنا شيئا نأكله؟ ام ماذا ترغب بأن اعد الطعام انا ؟

كنت سأنطلق متجهة للمطبخ ولكنه امسك بيدي وادارني ا ليه امسك بيده يدي الثانية،

بقي ينظر في عيني وعيناه تلمعان بلع ريقه وهو يقول: انا اسف.
اقتربت منه لأضع يداي على ذقنه: انا بخير.
ابتسم بعدم تصديق لينحني ويفاجئني وهو يحملني بين ذ
راعيه قائلا : اليوم ستكونين اميرة تأمرين فقط.
وضعني على السرير لأ
تربع واقل وانا اقهقه كأنه لم يزر قلبي هما يوما: لنطلب الط
عام اذن.
انحنى وهو يضع ركبته على السريري ويقبل شفتي بلطف:
حاضر سمو الاميرة.
استلقيت على السرير على ظهري لأ
راقب السقف الذي رسم عليه لوحة لجميع دول العالم،
جميعها كانت ملونة الا العراق كان لونه اسود، عبد الله
رسمها بنفسه، علقت وانا احملق بـ
اللوحة: يوما ما سألون تلك الخريطة.
اقترب هو فور انتهائه من المكالمة واستلقي بجانبي ليلص
ق رأسي برأسه كلانا ننظر للوحة، علق: تستحق هذه البلاد
اللون الأسود، لو كنا على ارض غير هذه كنتِ ستقاضين و
الدكِ، كنتِ ستبلغين الشرطة عنه.
ادرت رأسي تجاهه: لكل مكان جانب مظلم، الأ
رض بأكملها تظلم من جهة ليشرق النور من جهة أخرى،
لو كنت في مكان اخر كنت سأعاني بطريقة ما.
زفر: لما كنا هكذا تعساء.
ابتسمت وانا امسك يده: من قال انني تعيسة!
اقترب وقبل ارنبة انفي ليبتسم: احبكِ لأ
نك اقوى تعيسة شاهدتها.
شبكت اصابعنا بين بعضها واشرت بيدي الا
خرى تجاه الخريطة، علقت: قد ترى انت انها سوداء معتمة،

هذه المشاكل وما يقابلنا من مصاعب،
لكن وسط تلك العتمة توجد نجوم لامعة مضيئة،
تنير وتزين هذه العتمة، انت كذلك بالنسبة لي،
انت نجمة تزين ليلتي المعتمة.
شد أصابعه على يدي وانا اراقبه يبتسم ثم عاودت النظر لا
سقف لأكمل: انت نجمة، اختي نجمة، جدي نعيم نجمة،
جدتي،
اخي وكل النعم التي تحيط بي نجوم تؤنس وحشتي.

الفصل الرابع

روح

الحاضر

بعد انقطاع لا
اعلم اين ذهبت او ماذا فعلت لكنني فجأة أجد نفسي الان
في حديقة لم يسبق لي رؤيتها، مكان واسع به أشجار لا
صوت في الارجاء سوى قرير الماء وتغريد العصافير،
رفعت رأسي للسماء لأ
ري الشمس كان نورها مختلف تماما دافئ ونقي،
سرت بقدمي العاريتان على العشب حتى رأيت امامي منـ
ـزل صغير امام بابه شرفة من الحجز وتنتشر بها اوعية للنبات

ات، امام المنزل كانت هناك اريكة خشبية مطلية باللون الأ
بيض،
اقتربت وانا المح أحدا يجلس عليها بعد ان اقتربت أكثر أد
ركت من يستقر عليها،
جدي نعيم! قلتها بتعجب رفع رأسه ونظر الي وعلى وجهه
ابتسامة عذبة،
فتح ذراعاه لي سرت بخطوات سريعة تجاهه لكنه اوقفني
وهو يضع كفه لأتوقف على مسافة تبعد عنه، ق
ال لي بهدوء والابتسامة لم تفارقه: ابقي في مكانك.
نظرت له بدهشة لم لا يريد الاقتراب مني، ركزت النظر على
ملامحه لم يكن يرتدي نظارات طبية كما كان،
ثم ان وجهه بدى صافيا ابيض، عيناه تلمعان بـ
الحياة وتعكسان لون الحديقة الخضراء من حولي،
سألته بحزن: لم لا تريدني ان اقترب؟
- احذري من الاقتراب، تمسكِ في المكان الذي هناك.
رمشت عدة مرات لم افهم مقصده،
تلفت حولي وانا اسأله وأخبره ما يدور في رأسي: هل هذا
يعني انني في الجنة؟
التفت اليه مجددا لكنني لم اره! وأصبح المكان الذي كان يق
ف به ظلاما وكأن الظلام
بدأ يأكل المكان ليصبح فضاء معتم.
ظلام
دامس وهدوء مريب دام لفترة فقد بت أعجز عن أدراك الو
قت والمكان، حتى سمعت صوت رنين وكأنه رنين ساعة، ت
لاشى الظلام لأنظر لشيء لونه ابيض عليه مروحة،
نهضت فأصبحت في وضع الجلوس لأ
تلفت حولي وجدتني على ارض خشبية في غرفة سبق وا
ن رأيتها من قبل، نهضت لأ

أقف على قدمي هي ذاتها غرفة ذاك الكاتب وذات الفندق. ن
ظرت للسرير كان فارغاً،
سمعت صوت جري المياه من الحمام بقيت أقف انتظر خر
وجه لم عدت مجددا هنا وأين كنت؟
فتحت باب الحمام خرج هو يجفف وجهه بمنشفة بيضاء
صغيرة ازالها ثم توقف ينظر الي بصدمة عاد للوراء اغلق با
ب الحمام مجددا وفتحها خرج بخطوة للأ
مام ثم خاطب نفسه قائلا : عدت لأتوهم من جديد!
اقتربت منه حتى بت أقف امامه: اتعلم ما الذي حدث لي؟
رفع رأسه للأ
على وهو يأخذ نفسا عميقا ثم عاد ينظر الي مبتسماً: ههه ا
قد اختفيتِ يا انسة روح او شبح، او أي شيء كنتِ
لا أتذكر أين رحلت او أي شيء سوى انني رأيت جدي،
وضع يده على خصره و سأل بفضول: هل وجدتِ مثواكِ؟
حركت رأسي نافية بلا،
سار تجاه مكتبه ليلتقط هاتفه متسائلا: وما الذي تنوين فع
له؟
لا اعلم اشعر ان رأسي فارغ تمام لا
فكرة لدي حول أي شيء، اقترب مني ليقل بجدية: الا
ينتابكِ فضول في البحث عن الحقيقة؟
في خوض هذه التجربة بين الموت والحياة؟
هل تجدين ما يحدث معكِ عاديا لتتركيه هكذا؟
سألته ببرود: ما الفائدة؟
حاول ان يشرح لي: ستتعلمين الفائدة فور خوضكِ للتجربة
،
التجربة نفسها تعود بفائدة وان كانت فاشلة فقد تكون اك
سبتكِ خبرة.
ازحت نظري عنه لأنظر للأسفل: الأموات لن يُفيد شيء،

ارغب بالعودة لذاك المكان الذي رأيته مع جدي.
حرك يده امام وجهي ليجعلني اترك تحديقي في الفراغ واذ
ظر تجاهه: رأيتِ جدكِ؟
اجبته: اجل.
ضيق عيناه ليسألني: وهل جدكِ متوفِ؟
حركت رأسي ببطء. سار خطوات امامي ليفكر بصوت ع
ال: يقولون انه قد التقى بشخص ميت في حلمه وأخبره ا
ه سيصبح معه او يمسك بيده فأنه سيموت،
توقف في المنتصف و سألني بدهشة: هل امسكتِ بيده؟
اجبته: لا، لم يسمح لي طلب مني التوقف.
صفق بيده وهو يبتسم بنصر: رائع، اذن ما فكرت به صحيح.
سار تجاه خزانة ثيابه واخرج معطفه ليكمل: هيا نخرج لنتح
دث في الخارج.
خرجنا من الغرفة معا لننزل للأسفل ق
ال لي اثناء سيرنا: ستكملين سرد قصتكِ لي.
سألته وانا انظر اليه: ما الذي استنتجته؟
غطى وجهه بكفيه بخجل ليقل: لا تكلميني،
الجميع يراني أحدث نفسي وكأنني مجنون.
لم أكن أستطيع رؤية ملامحه،
كيفية نظرت له او استنكارهم منه، مجرد ظلال
بدون أصوات او تعابير خرجنا للخارج بدأنا في السير متج
هان الى مكان يشبه الغافة تتزاحم فيه الأشجار ق
ال وهو يسير بجانبي: فكرت انكِ في غيبوبة لذلك ربما منع
كِ جدكِ من الاقتراب منه بمعنى انكِ ستموتين ان اقتربتِ
سألته: الم تتحقق من هوية المفقودين؟
رفع كتفيه ليجب: بلى، ثلاثة رجال،
لكن هناك فتاة في المشفى المركزي لاسطنبول في غيبوبة
، لا يعرفون عنها أي شيء.

- هل هذه انا؟
ابتسم بحماس ليجيبني: انا اشعر انها انتِ سترين.
تساءلت: وان لم أكن؟
ابتسم وهو يحاول ان يطمئنني: ستكونين انتِ انا واثق، وا
لان أكملي لي قصتكِ فأنا متشوق.

الفصل الخامس

روح

٢١ ابريل ٢٠٠٥

في منزل جدي نعيم تكمن الراحة فقط هناك كنت اشعر انن
ي في منزلي لا
ذاك الجحيم الذي يسمى بيتي مع ابي وامي،
بيت جدي هادئ دافئ به حديقة كبيرة في مقدمة المنزل تأ
كل من مساحته بها نخلتان شامختان تقفان لتحرسان المنز
ل
و شجرة زيتون تجلس بينهما يخبرانها عن ما يرياه من هذا ا
لارتفاع،
ارجوحة بيضاء لطالما كانت تأخدني في احضانها وتطير بي
ليداعب الهواء شعري وبشقاوة منه يرفع فستاني للأعلي،
جدي وجدتي امل يعيشان في زمن بعيد عن زحمة الحاض
ر، بين اثاثهما القديم وتلك الصور التي تفتقر للأ
لوان ولكنها تشع بالحياة، يجلس دوما في مكتبه المزدحم ب
الكتب القيمة التي بعد وفاته وموتي انني كنت غبية لم اك

حل عيني بحبرها،
على كرسيان تقفان امام النافذة التي تستر النافذة ستارة بيضاء شفافة،
نجلس في كل مرة عليهما نشرب شاي صنعته جدتي بطعم الهيل.
في ذاك اليوم سألني جدي عن احلامي،
اخبرته بفرح حينها: ارغب بأن أصبح رائدة فضاء.
مد يده ليقرص وجنتي: حينها ستأخذيني لأي كوكب؟
وضعت يدي على ذقني أفكر ثم اجبته: مممم زحل.
امسك بيدي واخذني لأ
جلس على فخذه ليسأل: لم زحل تحديدا؟
- لأنني سمعت ان به أقمار عديدة، اليس كذلك؟
اجابني مؤكدا: بالطبع.
قلت وانا أزم شفتي: هناك لن يغيب القمر، لن أخاف.
مسح براحة كفه على وجهي: لا داع للخوف،
لقمر وان غاب يظهر مجددا.
اسكنت رأسي على كتفه لأعلق: لكنه يتأخر
مسح على شعري: وان تأخر فلا بد من ظهروه،
وان لم يظهر فهناك نجوم تزين عتمتك.
حينها كان القمر يطل كل ليلة الى ان بدأ في الا
ختفاء شيئا فشيء حتى باتت ليالنا بدون قمرا معتمة.
احلامنا متضادة مع اعمارنا، احلا
منا كبيرة ونحن أطفال تصغر كلما كبرنا حتى نصل لمرحلة
نفقد فيها القدرة على التطلع للمستقبل،
كان حلمي حينها في الطيران للفضاء،
بعدها كبرت وحلمت ان أكون رسامة، مصممة أزياء،
ثم مراسلة، ثم صفعة من ابي.

جوى

٤ أغسطس ٢٠١١

هل يمكن للأحلام ان تُعدم؟
أليست هي الشيء الوحيد الذي نحصل عليه بالمجان؟
لم حاربونا حتى في الاحلام في التطلع للا ُفق،
صفعة قوية تلقتها وجنتي من كف اعتادت على البطش،
لكن هذه الصفعة لم تؤلمني بل صفعته عندما صرخ بي: ا
علام! أي اعلام هذا الذي ترغبين بدراسته؟
مجنونة انتِ الستِ كذلك؟
حاولت جاهدة ان أقنعه،
حينها توسلت له علي غير عادتي: ارجوك،
دعني ادرس ما احب.
قاطعتني امي وهي تقف خلف ابي قائلة: حققتِ هذه النسبة العالية لتدرسي في النهاية هذا الشيء.

امي أي شيء؟ هل احلا
مي أصبحت رخيصة ليقال على ما احبه (شيء)،
هل طموحي بأن أكون شخصية إعلا
مية قوية ناجحة احقق ذاتي يعتبر (شيء)! اذن لمن سأعط
ي المسميات بعد ذلك ان كانت الاحلام لا تستحقها؟
سار ابي تجاه الا
ريكة وجلس عليها ليفرد ظهره على ظهرها ويخرج من جلبا
ه علبة سجائره، احرق طرف السيجارة كما يفعل بمستقبلي
، نفث الدخان في الهواء ليقل: لا اسمح لأ
بنتي ان تخوض في هذا المجال وتكون عرضة للجميع.
أكمل وهو يشير بيده التي تتحكم بلفافة التبغ: ستختارين ا
لتخصص الذي اريده انا، سترفعين اسمي،
ستدرسين الطب او الهندسة.
اعترضت بجزع: لكنني لا أحبهما، لا اريد ان أدرسهما.
هددني و
الشرار يتطاير من عيناه ليصل الي ويقتلني: ستفعلين، لا
يمكنك تجاوز اوامري.
بقيت اقف امامه مقيدة عاجزة، تارة انظر لأ
مي المطيعة له وتارة أرى اختي نجمة تقف خلف الباب ملا
محها حزينة تراقبني والخذلان في عيناها،
تركته واتجهت لغرفتي لأ
سمعه يلقي خطاب على امي لسوء تربيتها لي،
انعزلت في غرفتي حينها لأيام افكر بين الخضوع والتمرد،
بين المجازفة والتحدي، افكر بما علي فعله تجاه نفسي أو
لا لا احد غيري، انا استحق ان أكون سعيدة،
نفسي عليها حق قبل الجميع،
ان كنت سأنجح يوما فسأكون من اجلي انا لا من اجل احد،
لن انصر سعادة احد وادع سعادتي تبكي مهزومة،

طريقي هو ملكي انا سأسلكه بنفسي واشقه لنفسي لا لأ
حد.
لم انم لأيام، صليت كثيرا ودعوت الله
ناجيته وطلبت منه ان يقف بجانبي،
ان يلهمني الصبر ويمد من عزيمتي،
ومرت أسابيع وحان وقت التقديم للجامعات ومن هناك س
لكت طريق العصيان لأخطو تجاه تحقيق نفسي،
ان كان العصيان من يجعل من احلا
مي حقيقة فسأكون عاصية،
اخذ ابي ما يستحق من الحياة لن امنحه حياتي ومستقبل
ي ليكونا عجينا في يداه يشكله كيفما يشاء،
ذهبت حينها واخترت من خلال الخيارات تخصص الاعلا
م. اثناء خروجي من المقر الرئيسي صادفت جارنا سائق اج
رة لأ
نني حينها كنت في الثامنة عشر فقد عرض علي توصيلي،
شجعني ونحن في الطريق بل اخبرني انني اليق بأن أكون
مذيعة او صحفية،
كان ابي للتو عائدا من السوق يحمل كيسان ليدخل شارعنا فأوقف السيارة ليحي ابي،
صدم ابي عندما رأني وتجمدت الدماء في اوعيتي،
ترجلت من السيارة بينما كان هو يتحدث معه، قال لأ
بي مباركا: صادفت جوى وهي خارجة وعرضت عليها ان او
صلها. مبارك لك ستصبح إعلامية رائعة.
ادار ابي رأسه تجاهي ليجز على اسنانه ويسألني: إعلامية!
قبضت يدي بخوف أحاول منعها من الارتعاش،
جوى لقد سلكتِ طريقاً الان لا بأس من المواجهة،
كان سيعلم عاجلا ام اجلا
؟ قلت بصوت خائف: اخترت تخصص الاعلام.

فور انهائي لجملتي تلك تساقط الكيسان اللذان كان يحملهما ابي أرضاً، تدحرجت كرات البرتقال و
التفاح واقترب هو مني، بلعت ريقي برعب فور رؤيتي لملامحه،
مد يده القذرة ليمسك ويقبض على شعري من المقدمة من الفروة، لأصرخ بصوت عال، جرني من شعري لأ
سير معه وانا اصرخ بينما اسمع صوت جارنا يحاول ان يهدئه ويتدخل، لم اره لأنني كنت أغمض عيني بقوة من قوة الألم، صرخ ابي به يمنعه من التدخل لأ
جر كبهيمة يسوقها للذبح،
لينظر كل من في الشارع للراعي وتلك البهيمة التي تصرخ الماً، اهاناتنا في المنزل كانت سرا طوال حياتنا، اما الان فأصبحت علنية مصرحة، دفعني لداخل البيت لأ
توازن وابدأ بـ
الجري تجاه غرفتي .. جريت حتى اصطدمت بنجمة لنسقط معا أرضاً. اقترب مني ليهم بضربي ولكن نجمة احتضنتني تمنعه من ذلك، كانت حينها صغيرة مراهقة للتو،
صرخ بها وجرني انا وهي للغرفة ليرمينا ارضا قائلا: تتخطينني! تخالفين رأيي!
مد يداه بسرعة لحزامه يحاول خلعه،
فانتصبت شعيرات جسدي جميعاً،
وانا اسمع امي تقف خلفه ترجوه ليتركني وانني طفلة واخطأت، لكن وقع حزامه كان اسرع من توسلاتها،
ليحرق جسدي ذاك الحزام، كانت تلك المرة الاولى التي يذق جلدي فيها طعم جلود الاحزمة،
كانت نجمة تصرخ وهي بعيدة اكثر من كلما هوى علي الحزام، ضربات لم اعدها لأنها كانت ثقيلة وحارقة نسيت من خلا

الها علم الحساب الذي تعلمته في حياتي / خرج من الغرفة وتركني لأيام مسجونة بها،
خيرني ما بين طاعتي له وما بين البقاء خادمة في المنزل دون شهادة، كان بي حينها رمق من الإ
صرار لم انم لليال متألمة ومتأملة. حتى تلك الليلة التي أت ت امي فيها بعد ان نام الجميع الا
جفناي المتعبان. دخلت غرفتنا لتقترب من سريري بهدوء خشية ان توقظ نجمة،
جلست على طرفه وهي تنظر لي وعيناها تلمعان،
قلت بغضب: لم لا تتركيه، تطلقي منه لقد جزعنا.
قالت وقد ازداد عيناها بالبريق: انتِ ما زلتِ صغيرة لا تفهمين شيئاً.
قهقهت ساخرة: هههه لست كذلك.
مدت يدها لتمسك بيدي الباردة وتمسحها بلطف: عندما تك برين وتصبحين اما ستفهين ان الرحيل سيكون كالموت بـ النسبة لكِ، سيشتتكِ ويشتت اطفالكِ، والطلاق سيكون كابوس يطاردكِ تخشيه خشية الموت.
دافعت عن رأيي: العيش مع رجل كهذا هو الموت بحد ذاته والطلاق هو الحياة.
حاولت ان توضح لي أكثر: كيف لي ان اتطلق واعيش بمفر دي وانا لدي ثلاث أطفال، بل لدي ابنتان ناضجتان،
ما الذي سيقوله الناس عنا؟
اعدت رأسي للوراء بضجر: ما شأننا بهم؟
- نحن نعيش بينهم، ملزمون بالاستماع لكلامهم،
ثم تخيلي ان يطرق أحدهم بابنا ويطلبكِ للزواج،
هل سيوافق ان سمع ان امكِ مطلقة.
ضحكت من فكرتها تلك وقلت بإقتناع: لا اتزوج رجلا يفكر هكذا من الأساس.

اخذت نفسا عميقا ثم طردته من صدرها لتقل: انتِ تعيشين في مجتمع ينصر الرجل ويدوس على المرأة، ولا سيما المطلقة والارملة.
اعتدلت بجلستي وقد بدأ الغضب يزداد داخل صدري: المجتمع! أي مجتمع هذا؟
انا وانتِ هو المجتمع ان لم تتغيرين انتِ وان لم اتغير انا لن يتغير أحد.
التفت هي لسرير اختي بعد ان انهيت كلامي الذي بدت نبرته مرتفعة لتتأكد انها ما زالت نائمة، قالت بهم: أتعلمين ما قاله عنكِ الجيران؟ انكِ عاق لا تستمعين لكلام ابيكِ
صمتت لثواني وبقيت انا ببرود صامتة لتكمل: جوى، انتِ دائما تجلبين لنا الكلام
السيء ابيكِ يغضب وانتِ تزيدين الوضع سوءً.
نهضت من على السرير وتجاهلتني بيأس لتخرج من الغرفة وتتركني لأشباح اليأس ترعبني طوال الليل.
حتى تخليت عن حلمي حينها،
وقررت ان ادرس ما يرغب هو به ليكون اسمي طالبة جامعية اضيع وقتي كله في الخروج مع حبيبي، ودراسة أشياء أكرهها،
اجهضت حلمي الصغير ودفنته بداخلي لأزور قبره كلما شاهدت أحدهم يخطو تجاه حلمه ويناله.
ارتدت الجامعة التكنلوجية لأدرس هندسة مدني، شيء يفخر به ابي، لكنني لم اكن احب هذا التخصص، من الأساس لا اجد الشغف في الأرقام والحساب، لكنني مضطرة،
عاهدت نفسي انني سأختار الجامعة التي اريدها و التخصص الذي يعجبني عندما استقل عنهم،

بذلك سيصبح لي شهادتين عوضاً عن واحدة.

الفصل السادس

عبدالله
١١ أكتوبر ٢٠١٥

عدت لمنزلي العصر بعد ان انهيت عملي في احدى جلسا
ت التصوير، دخلت للداخل لأرى حذاء جوى بـ
القرب من الباب لمحت سرير حيث احتضن جسدها المغري
، ابتسمت وانا اضع اغراضي على الأ
رض واقترب من السرير لأ
راها عليه تنام على بطنها وتفتح ذراعيها ليستلقيا بجانب رأ
سها، شعرها المموج مفروش على الو سادة،
كانت ترتدي أحد بيجاماتي لكنها لم ترتدي السروال بل اكت
فت بالقميص فقط لأنها طويل،
تثني احدى ساقيها وتمد أخرى،
فخذاها كانا ظاهران يدعواني بجمالهما الفاحش،
اغمضت عيني لأتنفس بقوة،
تبا لكِ ما الذي تسببينه لي ولرجولتي. كيف اصمد امام ص
رح معالمها ومفاتنها؟
اقتربت من السرير وألف شيطان يجرني من ياقتي نحوها
وتقد الملا
ئكة قميصي من دبر وانا اتخبط بينهم. جلست بجانب ساقي
ها لأمد سبابتي نحو كاحلها بحذر كأنني على و شك ملا
مسة شمعة، بيدي قبضت على الفراش ا شد عليه لأقوى لأ

أمسد زمام الامور، لأمنع نفسي من نفسي،
رفعت صوتي قليلا لأجعلها تصحو وترجم شياطيني معي،
ناديتها لتفتح عينياها وترمش حتى تتضح رؤيتها،
ابتسمت واستلقت على ظهرها لتقل: انتظرتك حتى غفو
ت.
امسكت بقدمها ووضعتها على جحري لأ
عزف بأصابعي على كاحلها و ساقها،
اغمضت عيناها وهي تبتسم بعذوبة مستمتعة بهذا الإ
حساس.
- كفي عن ارتداء ثيابي.
فتحت عيناها لتقل بغنج: لكنني أحبها مريحة.
ارتفعت اصابعي لركبتها لأ
قل: لكنك تتركين عطرك وملمسك داخلها،
تتركين أثر لمفاتنك داخلها لأ
بدو كمراهق اشتهي امرأة من عطرها فقط.
اشارت الي لتقل كأنها امسكت بي: اذن تعترف ان عطري يـ
ثيرك.
قهقهت قائلا: كان يجب ان يُحرم عطرك انتِ فقط، لا
على جميع النساء.
نهضت لوضع الجلوس وتقترب بوجهها امام وجهي لتقل بج
راءة: عطرك أيضا كان يجب ان يُحرم كالخمر لأ
نه مسكر أيضاً.
امتدت يدي لألا
مس وجهها الناعم واقترب بشفتي المتلهفة تجاه شفتيها ل
نغرق في قبلة محمومة،
قبلتها فقط تستحق ان تسمى قبلة وتستحق ان تكون لي
قبلة، هي لا تعلم انني عندما اخونها مع اخريات لا
اقبلهن وانني الوث جسدي بالكامل عدا شفتاي،

اعتقد انها الشيء الوحيد في العلا
قة الذي يخلو من أي قذارة شيء يجب ان يكون مخصصا لل
حب. هي لغة من لغات الحب،
زجاجات (بيرة) كاملة غير قادرة على اسكاري كشفتيها وكأ
نها خلقت من العنب لتعتق سنوات طويلة تسقيني بطعم
كالسكر غير موجود بالخمور وتأثير اقوى،
اقتربت هي مني أكثر راحة يدها تمسح عنقي من الخلق و
رأسي الأملس، فتحت عيني لأ
دوس على ما بداخلي وابتعد لألتقط انفاسي،
ازلت يداها من علي ونهضت لأقل: سأحضر لك القهوة.
برعشة امتدت يدي لتضغط على رز جهاز تحضير القهوة،
بدأت انفاسي تنتظر وكل شيء في جسدي يعود لمكانه اق
تربت هي لتقفز وتجلس على الطاولة التي تستقر عليها الة
صنع القهوة. قالت بمرح: حلمت انني حامل منك.
نظرت اليها لأ
جد ابتسامة واسعة تظهر اسنانها واضعة يدها على بطنها،
أكملت: ارغب بأولاد يشبهونك.
التقط الكوب الذي احتضن القهوة الساخنة بين جدرانه ناولت
ها إياها لأقل بخبث: هيا اذن لنفعلها.
قهقهت لتضرب صدري: هيييييي تبا لك هههههه.
ارتشفت هي قليلا اخبرتها بجدية: لا تحلمي حتى بذلك،
لن أصبح يوما زوجاً او اب.
لمعت عيناها وابتلعت ريقها أكملت بقسوة: ما دمت هنا ل
ن أفكر في مستقبل، لن أنجب أولاد
في هذا الوطن يعانون منه ليقتلهم هو في النهاية او يكبتو
ن قدراتهم، لن افعل.
بقيت صامتة تنظر الي، حتى رفعت كوبها لتكمل قهوتها،
نزلت للأ

أسفل وضعته على الطاولة ورفعت كتفيها قائلة: لقد كان
مجرد حلم لا أكثر، هههه متى تحققت احلامي من الأساس؟
راقبتها وهي تسير تجاه مشغل الموسيقى لتشغل اغنية و
تبدأ بـ
الرقص بساقيها العاريتان بدت خفيفة كفراشة تتمايل بين ا
لزهور،
خصرها يتحرك بانسياب كل شيء بها كامل على اتم وجه
كل شيء بها أتقن صنعه وخلقه،
لم تكن ترقص من السعادة بل ترقص وجعاً ترقص لتنف
ض همومها من فوق جسدها،
سرت تجاهها حتى بت اتوقف امامها وادير ظهرها تجاه ص
دري لأ
حكم بذراعي على خصرها انحنيت برأسي تجاه اذنيها لأ
همس بأنفاس ساخنة: انا اسف.
بقيت هي هادئة بين ذراعي. أكملت وجسدي يحترك بروية يـ
مينا ويسارا كبندول ساعة مع جسدها: انتِ لا
يليق بكِ ان تكوني زوجة لي فقط، ولا
حتى يمكنني ان اراكِ ام لأطفالي، انت تعنين العالم بأسره
بالنسبة لي.
علقت بهدوء: تكره العالم الذي نعيش به،
لكني انا وانت نستطيع خلق عالم بل امة بمفردنا.
طبعت قبلة على رأسها وانا ابتسم بحزن، لأ
نها تطمئن نفسها بهذا الكلام لست انا،
بيني وبين فكرة تكوين عائلة حاجز لا يمكن اختراقه مطلقا.

الفصل السابع

روح

١٤ نوفمبر ٢٠١٢

كنت حينها مراهقة للتو أحاول اكتشاف العالم انقب عن م
شاعر جديدة، أحاول ان الفت انتباه احدهم،
مدرستي حينها كانت بجانب مدرسة للبنين عند دخولنا و
خروجنا منها نراقبهم وتراقبنا اعينهم بمتعة وهم مقبلين ع
لى التعرف على جنس جديد لطيف يختلف عنهم،
كنت عند دخولي صباحا ارى دوما ان هناك صبي يقف عند
باب المدرسة ينتظر الى حين وصولي،
اعتقد انه كان يكبرني بعامين كان جميلا
شعره اسود ابيض وعيناه بنيتان وقد بدأت شاربيه ب
النمو قليلا
ً، اعتدت على رؤية وجهه صباحا لم يكن يكتمل يومي دو
ن ان اراه،
كان هناك شعور جديد ومختلف يكبر كل يوم في صدري،
شعور غريب لأ
ول مرة اجربه عندها تزداد نبضات قلبي لتسرع اكثر تحاول
الطرق على صدري من الداخل تخاطبني ان هذا الصبي مخ
تلف، رغم خوفي وتحفظي حينها الا
انني لم اكن استطيع السيطرة على شفتاي فور رؤيتي لإ
بتسامته،
في ظهيرة وعند خروجي من المدرسة وقد بدأت قدماي تق
وداني عائدة للمنزل سيراً، شعرت ان هناك احداً خلفي،
التفت لأ

أراه يسير على بعد مسافة يتبعني و شفتاه تبتسمان ك
العادة، توقفت لأ
لتفت واقل وانا اقضب حاجباي: لم تتبعني؟
سألني: ما اسمكِ؟
-لا شأن لك، لم تجبني لم تتبعني.
سار مقتربا الي فعادت احدى قدماي خطوة للوراء،
رفع يداه ليقل: لا تخافي مني، مد لي ورقة صغيرة ق
ال لي: هذا بريدي الالكتروني.
التقطته منه وهرولت للمنزل خائفة و سعيدة بشيء اكاد ان
اقبل عليه،
لم انوي ان اخبر أحداً لكنني لم أستطع كتم هذا الحدث الرا
ئع الذي أصاب حياتي للمرة الاولى، اخبرت جدي نعيم أولا
ً.
سألني كصديق بعد ان سردت له ما حدث: وانتِ ماذا تشعر
ين؟
رفعت كتفاي لأعلق: لا اعلم، لكنني خائفة.
مد يده ليمسك بيدي بلطف ضغط عليها قليلا
ليقل: هذه المشاعر خاصة جميلة احتفظي بها،
ما رأيكِ ان تصبحي انتِ وهو أصدقاء، لا
تستعجلي وتطلقي على ما تشعرين به حب.
ركز نظراته علي ليكمل: لم تجربي من قبل ان يدخل أحده
م من الجنس الاخر حياتكِ، لذلك لا تتسرعي في الحكم،
وايضاً امنحي مشاعرك فرصة.
ابتسمت اليه وانا اشعر باطمئنان لا يوجد بعده،
وجود جدي نعيم في حياتي كوجود القمر في الليالي المعت
مة من خلاله أرى الأشياء وافسرها بوضوح، ارتاح له ومعه،
أجد نفسي كالماء العذب صافية انا بدون مخاوف،
بدون هواجس او تحفظ.

حينها ولأ
ننني فتاة عادية اشبه الكثيرات قررت ان اطلع صديقاتي في المدرسة على ما حدث،
اريتهن الورقة التي كتب عليها بريده الا
لكتروني ففرحن وبدأن يبين امامي قصورا ويحيكن قصص
ن من نسيخ الخيال،
أيام تلذذت وانا اراه يوميا يقف يبادلني النظرات لتتضخم ف
كرة اضافته وبدأ الحديث معه.
كنت ج
السة في الصف في احدى الدروس الشاغرة التي أتت فيها مدرسة أخرى تراقبنا من خلالها، كنت ج
السة اتحدث مع صديقاتي حتى أتت مجموعة من الفتيات في نفس الصف توقفت احداهن لتسألني بمكر: اذن ما اس
م حبيبك.
صدمت أي حبيب! التفت لصديقاتي لأ
جدهن صامتات ضيقت عيناي لأقرأ ملامحهن، وجهت كلا
مي الجاف للفتيات: انا ليس لدي حبيب.
قالت بإصرار: انا اعلم جيدا قصتك معه، هيا أخبرينا.
نهضت من على الكرسي بغضب لأقل: ما شأنك انت؟
اقتربت لتقل باستفزاز: أتخافين ان يحبني انا ويتركك؟
دفعتها لأقل: انت سخيفة.
فدفعتني احدى صديقاتها لأسقط،
ثم بدأنا بمشاجرة عنيفة وصراخ وصل للممرات حتى انتهى بنا المطاف في مكتب المديرة جميعنا.
ارتعدت اوصالي اثناء ضرب المديرة مكتبها وهي تصرخ بنا، سألتنا بتهجم: ما سبب الشجار ومن بدأه؟
قبل ان افكر بشيء وجدت جميع الأ
صابع قد اتهموني ودارت نحوي، صدمت! لأ

أنني رأيت من بين تلك الأصابع،
صديقاتي وقد وقفن ضدي حتى! ق
الت الفتاة التي بدأت في المشكلة: لقد بدأت تسرد لنا هي
حكاياتها مع حبيبها وتقنعنا ان ما تفعله صواب وعندما اخبـ
رناها انها لا يجب ان تكلم صبي هاجمتنا.
!!!.. كانت جميع علامات الاستفهام و
التعجب مرسومة على وجهي،
و شهدت صديقاتي مؤكدات لكلامها،
كم الظلم بشع لكنه ان اتى من المقربين يصبح أقذر،
بقيت أقف مصدومة عاجزة او مذهولة، حتى انني لا
اعلم بم اصدم بقدراتهم على تأليف وتلفيق كلا
م! او بما فعلته صديقاتي!
كانت جميع تلك التساؤلات تدور في ذهني تمنعني من الا
ستماع لتوبيخ المديرة ولم استمع لها ق
الته وهي ترفع الهاتف وتتحدث عبره بل بقيت متوقفة لفتر
ة عاجزة عن الإحساس بأي مؤثر خارجي،
حتي رأيتها من بعيد تدلف للمدرسة وتقتحم بوابة الإدارة
والشرار يتطاير من عيناها،
انها امي! هل اتصلت بها المديرة؟
لم أكن سريعة في التفكير لأ
نها وقفت امامي وصفعتني لتجعلني افيق مما انا عليه،
كانت دموعي تتساقط دون صوت بحرارة تحريق طريقها اث
ناء جريانها على وجنتاي،
كلمات خرجت من افواه كاذبة جعلت مني ما انا عليه في
موقفي هذا لأسمع كلام توبيخ امي والمديرة معاً، لأنصت
لأمي وهي تتوعدني امام المديرة انها ستعيد تربيتي،
جرتني من ذراعي بقوة وهي تسحبني لنخرج وتتوعد انها
ستخبر ابي بكل شيء، حاولت قدماي غرز جذورها في الأ

أرض لأقف واتوسل اليها: ارجوكِ لا تخبريه، اتوسل اليكِ، صدقيني لم افعل شيئاً، كاذبات صدقيني اقسم لكِ صفعتني صفعة أخرى لتجعلني اصمت وهي تقول: لقد وضعتني بموقف محرج، ستعاقبين على فعلتكِ هذه.
قضيت طريقي كله وانا اقسم بجميع أسماء الله الحسنى انني لم افعل انني بريئة مظلومة، لكن لا حياة لمن تنادي، وصلنا للمنزل لأجري لغرفتي خائفة من ابي استلقيت على سريري وغطيت جسدي لأرجف أسفل فراشي وانا اقنع نفسي انني في امان هنا، دقائق ربما مرت كأنها ساعات وصوت انفاسي الساخنة تعلو في الا رجاء حتى شعرت فجأة ان الغطاء قد ازيل من علي لأنتفض برعب وارى ابي يقف عند سريري عيناه تقتد بغضب وامي خلفه كتابعة بعد ان وشت واخربته بكل شيء، اقترب منحنيا ليصل الي ويجرني من ذراعي ليقل: تحدثين أحدهم! تحاولين فضحنا!
أنهى جملته بصفعة لأنفجر باكية اطلب منه الانصات الي، رأيت اختي قد عادت للتو من الخارج لترمي حقيبتها وتندفع نحوي تحاول حمايتي، لكنها ضربت معي يومها وحبس كلانا في هذه الزنزانة.
من يومها وانا أكره شيء يسمى صداقة، لم اتخذ أي صديقات في بقية مراحلي الدراسية، لم اسمح حينها لأحد بالاقتراب مني، المشكلة انني بت مشوهة في نظر الجميع وانا لم اقترف أي خطأ.
كرهت أيضاً امي حينها، لم تسترني، بل عرتني أكثر، كان عليها تصديقي، بل مساندتي وان كنت مخطئة،

وجدت متعة بتسليمي لقبضة والدي.

الفصل الثامن

جوى

٢٤ ديسمبر ٢٠١٥

كنت اقف امام النافذة التي تطل على الحديقة الخارجية، تجمعت قطرات المطر على عليها فبدأت تمنع الرؤية بع ض الشيء صوت الأغاني التي يفضلها alternative rock)) مذاع في المكان كانت لأحدى فرق وسط البلد المصرية، اغمضت عيني بهدوء ودعوت الله
دعوت له ثم له ونسيت ان ادعو لنفسي،
صوت انفا سي كانت ع
الية اعلى من وقع قطرات المطر على النافذة،
حاولت ان ابتسم لأ
قترب بفمي من الزجاج وانفث فيه بخار فمي لأ
مد سبابتي وارسم نجمة، علاقتي ب
النجوم مختلفة ربما هي مصدر الهام لي،
شعرت بوقع خطواته وهو يقترب خلفي حتى التصق ظهر
ي بصدرك، سألني بهدوء: بم تفكرين؟
اجبته وانا ما زلت امد النظر فيما هو موجود امامي: ادعو الله لك.
علق ساخرا: بم دعوتي؟
التفت لأقل بمزاح: سر

وقف جانبي حتى لامست ذراعه كتفي قال وهو ينظر للأ
مام: وكأنه سيجيب دعواتكِ او دعوات أحد.
قلت بتأكيد: سيفعل.
التفت الي ليقل: انتِ متناقضة، تدعين انكِ قريبة من الله
وانتِ تعصيه اليس كذلك؟
رفعت كتفاي لأبرر: انا بشر، اعصي ربي واعود له لأن لا
ملجأ لي سواه.
سخر مني مقهقها: هههه من قال انه سيغفر لكِ،
أتعرفين كم جرما ترتكبين وانتِ معي؟
بقيت صامتة فثنيت ذراعي لصدري انتظره ان يكمل فا ستـ
ـطرد: اليس لمسي لكِ يعتبر زنا وان لم يحدث بيننا شيء
صريح! أكملت: اليس مجالسة شخص يشرب الكحول يعتبـ
ـر ملعون؟ الجميع يدعي ان بينه وبين الله
شيئا خاصا وهو يعصيه.
اعتدلت اثناء وقوفي امامه لأبدأ بـ
التبرير اليه: انا اعلم انني لست ملا
كاً وانا اسبح في بركة مليئة بـ
المعاصي لكنني أيضا مؤمنة انني في يوم سأترك كل شي
ء، سيهديني الله،
ثم انني حقا متأكدة ان هناك شيئا خاصة بيني وبين الله.
صمت لثوانٍ احاول ان اعبر ثم أكملت مشيرة: مثلا
شعوري الدائم انه معي،
وجوده في قلبي وانه سيجعلني سعيدة في يوم ما، الله
هو الامل.
ابتسم بسخرية و سار تجاه الا
ريكة ليلقي بجسده عليها واستلقي مسندا رأسه على يده
قائلا ً: هراء مجرد هراء، ان كان كذلك لم يفعل هذا بنا، لا
اقصد نفسي لأنني عاصٍ ولا اتبع أي دين، بل مثلا جدكِ

شعرت بوخزة حزن تملكتني عندما ذكره امامي ورغم ذلك
أكمل قائلا : الم يمت بشكل مروع؟ ماذا عنك الا
تصلين له ورغم ذلك يتركك تعانين من والدك؟
اقتربت لأجلس على ذراع الاريكة لأ
جب: هذه الحياة بها شيء الحزن والفرح، ثم ان الله
يبتلي المؤمن ليمتحن صبره وايمانه.
بقي صامت لم يعلق لأ
نه لم اقتنع بشيء.. اقتربت حتى جلست بجانبه على الطر
ف لأمد يدي لأمسح ذقنه: لدي يقين ان الله
سيهديك ويهديني،
اعلم ان دعائي لن يكون عبثا وانه سيستجيب لي يوما.
بقي صامتا ينظر الي ببرود،
اعلم انني عاصية جدا لله ورغم ذلك فهو دائما يمنحني الف
رص يخبرني من خلالها انه ينتظرني لأعود له فأستغفر تائبة
، هو لن يقذفني بعيدا عنه لأ
نني عاصية وان سمعت وان فتى الجميع بحقي وبحق افع
الي فذاك النور الذي بصدري يخبرني انني قريبة منه وانه قر
يب مني.
اعتدل هو قليلا ليقل امرا: اجلسي بجانبي لأضع رأسي.
جلست بجانبه فعاد ليستلقي ويريح رأسه على فخذاي،
امتدت يدي لتداعب شعرات ذقنه،
نظر الي بتركيز ليقل: الدين لا يجلب لمن هنا سوى الخراب،
باسم الدين يقتلون وباسمه يبيحون ما يشاؤون.
زفر لينظر بعيدا بعينيه: تخيلي انه لا يوجد لنا دين هنا،
لم يكن ليقتل أحدهم بسبب خلاف ديني او طائفي،
كنت سأعيش اليوم بين عائلة وانجب من رحمك أطفال.
اعدت رأسي للوراء بهم اعلم جيدا لم يكره أي معتقد ديني،
اعلم ان خسارته اسم الدين و

الطائفية لن تعوض وانني غير قادرة على فعل شيء حتى.
أيقظني من طوفاني بعالم التساؤلات
بيده التي امتدت لوجهي فأخفضت رأسي لأ
نظر اليه وابتسم قال لي مداعباً: ما رأيك ان تسافري معي،
نترك كل هذه القذارة ونرحل.
ضحكت بسخرية: اووه هيا لأحزم حقائبي اذن.
اعتدل ليجلس ويقل بجدية: تعلمين جيدا انك السبب الوح
يد الذي يجعلني مستمرا في العيش هنا، لنرحل.
اقتربت منه لأضع رأسي على كتفه لأقل: لا أستطيع،
انا شجرة لا يمكنها ان تبقى بلا جذور او تربة.
- تربة فاسدة، ما الفائدة منها؟
وهنا أيضا مشكلة أخرى لن يفهمها،
انني حقاً وبرغم ما يدور في هذا البلد الا
ان هناك شيء يربطني به، جذوري مزروعة بداخل ارضه،
دمي خلق من نهريه وتلون جلدي بلون شمسه،
يمكنني تصور انني اسير في شوارع غير هذه وان كانت با
لية وان غطت ارصفته القمامة،
في النهاية هذه الشوائب التي ظهرت على سطحه فهي م
ن افعالنا لا افعاله،
هو لم يسئ الينا بس نحن كدنا ان نخنقه بكل ما اوتينا من
جشع،
ثم رابط بيننا شيء يجعل تفقد دمي يزداد كلما ذكر اسمه
او حدثني احدهم عن تاريخه، لا يمكن لأ
حد ان يفسر سر هذه الأرض، ان يعيش الموت والحياة كلا
هما عليها! ان تسمع فيروز صباحا على ضفة نهرها ويشيع
الناس جثمان أحدهم مساءً. ان تطلق الأ
لعاب النارية من منطقة ويطلق الرصاص من جهة أخرى،
ارضه غريبة و سرها اغرب،

تجذب البعيد عنها وتقتل القريب منها.
قلت لعبد الله
بعد تفكير طويل: ان رأيت كل شيء معتم من حولك،
ضع نجوم لتصبح هذه العتمة لوحة.
ابتسم الي وقد فهم ما ارمي اليه، لهذا انا أحب النجوم، لأ
نها تزين كل شيء مظلم.

الفصل التاسع

روح

١٣ يناير ٢٠٠٦

كنت صباحا قد ارتديت ثيابي المدرسة وارتديت معطف س
ميك يقيني من برد هذا الشهر،
وقفت في الحديقة أحدق بها احب منظرها في هذه الساء
ة المبكرة حيث تتجمع قطرات الندى على أوراق الورود و
المزروعات. كانت اختي لم تكمل فطورها الى الان
فبقيت انتظرها لنخرج معا كالعادة. نفخت في الهواء لأ
رى انفاسي امامي تتطاير فأبتسم،
كان كل شيء كامل. أصوات السيارات المتجهة للمدارس و
العمل، صوت فيروز الذي ينبعث من هنا وهناك، الا
صوت واحد عكر صفو هذه الصبيحة،
صوت صراخ يصدر من منزل جيراننا، اندفعت للخارج لأ
فتح الباب لأ
قف مصدومة أرى جارتنا ام ماري المسيحية تصرخ وتبكي

في الشارع مع بناتها،
رأيت امي وابي يخرجان من خلفي وجميع الجيران يجتمعون حولها، اقتربنا منها لنفهم ما المصيبة التي حلت بهم، قالت وهي تحاول ان تلتقط أنفاسها من بين نحيبها المستمر: لقد، خُطف.
ارتعب الجميع بينما توقفت خلايا جلدي خوفاً، قالت ان ابنها قد خُطف اثناء ذهابه للمدرسة. رأيتها و النساء حولها يحاولون تهدئتها واخوات الصبي يبكين وقد تلونت بشرتهن البيضاء باللون الأحمر تماما،
طلبت امي منا انا واختي بالدخول للداخل، بقيت جالسة مرتعبة أفكر بما سيحدث له،
هو أكبر مني لكنني يمكنني الشعور بخوفه اتخيل انهم قد عصبوا عينيه الزرقاء، يجد نفسه الان تائه وحيد وبعيد عن عالمه، يفكر في كل لحظة ان موته يقترب منه او قد يعذبوه ، يشعر بالبرد يصلي ويدعو ان ينقذه أحدهم، يفكر بالفترة التي سيقضيها ويتمنى ان يكون هذا كابوس يفيق منه بعد قليل ليذهب لمدرسته. بقيت انا واختي ننتظر عودة امي لتسرد لنا تفاصيل الحكاية المخيفة،
فور سماعنا لصوت باب المنزل انطلقنا لنستقبلها وننثر علىيها اسئلتنا،
انتظرت هي لتجلس وتقل: الحمد لله انهم خطفوه هو ولم يخطفوا احدى اخواته.
سألتها وانا مستغربة لقولها هذا: لم؟
اجابت اختي: لأنهم قد يفعلوا لها شيئا.
لم افهم حينها ما الممكن ان يفعلوه ان خطفوا فتاة؟
كانت مجرد فكرة الا
ختطاف تعني الرعب او ان يحبس أحدهم في غرفة وحيدا باردة، لم تذهب اخواته للمدرسة لأ

أيام ولم يغادروا منزلهم بل زرعوا بجانب هاتفهم ينتظرون
مكالمة من الخاطفين، كانت الأ
حاديث في المدرسة تتمحور أيضا في فضاء الخطف أيضاً،
فقد كانت وكأنها موضة الإرهاب حينها، ف
العراقيين يعلمون جيدا اننا في كل فترة نواجه موضة جدي
دة للإرهاب،
اخبرتني احدى صديقاتي ان هناك فتاة تكبرنا بعدة أعوام خُ
طفت فلما قرروا الخاطفين ان يتفاوضوا مع و
الد الفتاة أخبرهم انه لا يرغب بها.
تساءلت لم هل يفعل اب شيئا كهذا؟ يتركهم ليقتلوها؟
لكنها اخبرتني انه لا يضمن ان كانوا قد اغتصبوا ام لا
بعد اعطائهم النقود وبالتالي ستجلب له العار سيكون موت
ها أفضل من هذه الفضيحة،
هذه المعلومة ضاعفت تركيز الرعب بداخلي،
لم أكن أستطيع ان انام حينها وانا اتخيل انني قد أخطف و
يتخلى ابي عني! وينتهي بي المطاف كجثة ملقاة بجانب ال
قمامة في احدى الشوارع،
كما كان يحدث يومياً كما نسمع عن اشخاص مجهولين قد
تم العثور على جثثهم في القمامة.
اضطرت عائلة ام ماري لبيع بعض املا
كهم ليغطوا المبلغ الذي اتفقوا عليه مع العصابة عليه،
وعاد ابنهم لأحضانهم وذهبنا حاملين بعض الهدايا لنحمد
الله لعودته، جلسنا جميعنا وهو بين أحضان و
الديه يجلس مرعوبا خسرت بعض الكيلو غرامات من وزنه،
تلونت اسفل عيناه بالسواد لقلة النوم،
اخبرنا انه اشتاق للنور لم يكد يراه في تلك الا
يام بل نسي حتى كيفية الابصار، نسى الأ
لوان فقد طغى اللون الأسود على كل محيطه،

ضاع منه الوقت وضاعت الايام،
عاد لكنه لم يعد كما كان ولم اعد انا كما كنت،
تغيرنا وفقدنا الأمان الذي كان مزروعا بداخلنا،
بأننا ما دمنا بين أحضان والدينا قد نخطف،
بأننا جميعا دون استثناء معرضين لهذا.
فترة بسيطة واتت ام ماري لتودعنا مع فتياتها،
اخبرتنا انهم سيتركون البلاد برغم ان حياتهم كلها كانت هنا
، وان منزلهم هذا قد توارثوه من اجدادهم الا
ان ما حدث قد يتكرر مراراً،
ورحلوا وتركوا منزلهم يبكي وحيدا بعد ان بقي نوره لعقود
مضاء،
وانطفأت الشمعة التي كانت تقف امامي لوحة العذراء ف
ي منزلهم، و سكنت أصوات صلاتهم.

الفصل العاشر

عبدالله

٨ ابريل ٢٠٠٦

قبل هذا التاريخ كنت حقا (عبد الله) كنت رجلا عادياً،
أعيش مع اسرتي ولا
افكر بشيء سوى اقبالي على الحياة الجامعية وحماسي ت
جاهها،
لم أكن حينها انظر للحياة بهذه الطريقة كانت طموحي محد

ودة وهو ان ادرس واتخرج لأعمل وا ساعد والدي،
كان اخي حينها يعمل عملان في الصباح والمساء محاولا جمع المال ليتزوج،
لم يكن لي صديق مثله ولم يكن لي صندوق ا سرار كما كا ن هو،
اخي يشبه ابي رجل عادي يؤدي يومه بروتين سقف أحلا مه منخفض لا يطلب شيئا من الله سوى الستر والعافية، فقط. قررنا في ذاك اليوم ان نخرج نحن الثلاث كرجال بيننا، كان ابي يحاول ان يكون صديق لي ولأ خي يهبط بمستواه ليلقي دعابات أيامنا تلك،
يعلق ساخرا على بعض المصطلحات الجديدة التي بدأت ت تفشى، يخبرنا اننا محظوظان وانه محظوظ بنا لأ نه لم يملك اخ او اخت وانه بوجودنا بات يملك اخوان رائعي ن. ذهبنا لأحد المقاهي التي تنتشر على ضفة نهر دجلة، الهواء كان عليلا
يخترق صدورنا رويدا رويدا. تعشينا ونحن نتسامر ونتناق ش بحفاوة،
قضينا ليلة رائعة حتى ان ابي أخبرنا انه يجب ان نجعل مث ل هذه الليالي روتينً أسبوعياً،
عدنا في سيارة اخي التي ا شتراها منذ فترة عله يبهر بها خ طيبته، كان الليل قد غطى بغداد داخل بعباءته السوداء، في طريقنا توقف اخي عن الضحك ليصمت لثواني ثم يلت فت الينا قائلا : هناك مجموعة تقطع طريقنا.
ركزت النظر تجاههم كانوا ملثمين يحملون أسلحة ويصوبون ها تجاهنا لنوقف السيارة، قلت له برعب: لا تتوقف.
لكنه أوقف السيارة بسذاجة ليهرع اثنان ويفتحا بابه وباب ا لجهة التي يسكن بها أبي، ترجلت انا أيضا معهم، حاول اخي ان يفهم منهم ما يريدونه فطلب منا أحدهم ان

نخرج هوايتنا،
رمقنا ابي بنظرة لنفعل ما يرغبون فاصفحنا عنها ليتجمعو
ا هم حول الذي بات يدقق بها وينظر الينا، ق
ال أحدهم وهو يصوب سلا
حه ضدنا: ماذا ننتظر معروف ماهي طائفتهم.
أنهى جملته ليندفع الرصاص ويخترق اجسادنا،
ثوان كانت سريعة لم تمهلني فرصة التفكير او إدراك ما ح
دث للتو، ليسقط جسدي ارضا وارتطم بالأسفلت،
لم اسمع شيئا غير صوت الرصاص ورائحته،
لم أرى امامي سوى سماء سوداء معتمة لا نجوم فيها،
ثم عتمة لم أستطع الاستيقاظ بعدها الا
على صفعة تلقيتها من الحياة.
فتحت عيني عيناها لأجد سقف ابيض به انوار دائرية،
صوت رنين يصدر من جهاز وخدر يسيطر على انامليي كلها،
رمشت مرات عدة وانا أفكر اين انا؟ هذه ليست غرفتي،
فجأة تذكرت ابي وأخي، التفت لأ
رى امي تجلس على كرسي ترتدي السواد ووجهها ملجم،
امسكت بقوة بـ
الفراش أحاول النهوض فانتبهت هي لحركتي لتنهض بلهفة
تجاهي وهي تبكي،
بقيت انظر لها لعيناها اسألها دون ان انطق اين هما؟
مددت يدي تجاهه لتتلقاها وتمسحها بهدوء، قالت و
الدموع تتناثر من عيناها: الحمد الله أنك بخير
حاولت تحريك لساني بصعوبة وانا لأسأل: أأأ..بي، أأخي.
لثمت وجهها بحجابها الأسود لتزداد نحيبـً، لا لا لا
يمكن حدوث هذا! كان في الامس معي، كم مضى وانا هنا
؟ كنا نضحك وقد امضينا أمسية رائعة معا! اين ذهبا؟
لم لم ارحل برفقتهما؟

لم ما زلت على قيد الحياة لم الحياة تمسكت بي بهذه الق
وة بينما تركت يدي اخي الذي كان سيبني عليها منزلا
وا سرة.
وجدت دموعي تتدحرج دون إدراك مني لتسقي و سادتي لأ
ترك يد امي واحاول النهوض وانا اجز على ا سناني بقوة،
نهضت قليلا لأ
درك اني عاري الصدر وقد لف حول بطني بلفافات طبية عن
د تحركي كانت تمزقني من الألم،
لكنني تجاهلتها وانا اكذب ما يحدث حلو وادوس على كل
شيء لأنهض، حاولت هي منعي بينما لا
مست قدماي العاريتان الأرض الباردة لأ
سير بخطوات متهاوية لأ
سقط ارضا وتأتي الممرضات وهن يحاولن انهاضي بينما ت
صرخ احداهن بالا ُخرى ان جرح المريض قد بدأ ينزف،
أخيرا نطق لساني اللعين لأصرخ مناديا ابي واخي،
ناديتهما ولكن لم يجبني أحد سوى صوت بكاء امي الذي ار
تفع اكثر. علمت بعد ذلك من خلال
زيارات أصدقائي لي في المشفى انني بقيت ا سبوعان في
غيبوبة لحسن الحظ من جهة نظرهم ان الرصاصة قد اختر
ق
بطني لم تقترب من قلبي لكن النزيف المستمر جعلني اد
خل في غيوبة ليتني لم افق منها وليتني لم ابق على قيد ا
لحياة.
عدت للمنزل بعد أ سابيع كان مظلما رغم كثرة الا
نوار التي به، باردا وتبكي كل اركانه،
غرفة اخي مقفولة ثياب ابي باردة،
منزل موحش مات عامدان من اعمدته،
انزويت في غرفتي لأيام وانا أتساءل بأي ذنب قتلا؟

أي دين ذاك الذي يسمح بمقتل أحدهم فقط لإ
نتماءه لطائفه معينة؟ اي دين هذا الذي يبيح القتل؟
يقتل المرء لأن اسمه يشير لقوميته، يقتل لأ
نه سلك طريقا مختلفا في العبادة! اين الله
من كل ما يحدث! بأي ذنب يقتل شاب مقبل على الزواج و
رجل عجوز لا يريد من الحياة سوى الستر و
العافية لم يطلب ثروة ولا امنيات خارقة،
لم عائه لم يستجب؟
لم دعاء امي بأن يحفظ اسرتها لم يجب؟
لم ندعوه ان يجبنا؟ لم علي عبادته؟
لأشهر وانا في غرفتي لا اغادرها، كانت السجائر رفيقتي،
نمى شعر ذقني بشكل كبير واهملت نفسي ومحيطي،
محاولات امي لم تكن تفلح معي توسلا
تها لي لم تكن كافية، انا غاضب من العالم ومن خ
القي ومن نفسي حتى.
مرت أشهر ولم يتغير شيء،
حتى ذاك اليوم حيث مرت امي صباحا لتدخل غرفتي لم أك
ن
نائما بل واصلت سهري طوال الليل ليلي كان نهارا ونهاري
ليل، اقتربت من سريري وهي تقول بعتاب: لم تنم أيضا؟
لم اجبها وبقيت اشاهد التلفاز امامي،
سارت تجاه النافذة لتفتح الستائر لكنني صرخت: لا
تفتحيها دعيها.
التفت وهي تتأفف لتقل بجزع: الله يهديك،
سأذهب للسوق.
بقيت تحدق بي لدقائق بينما اهملت انا النظر اليها،
حتى غادرت غرفتي والمنزل. نمت بعد ذلك وانا لم اشعر
بـ

الوقت حتى ا ستيقظت على صوت جرس المنزل وهو يرن بـ
إزعاج نهضت وانا اتأفف لأ
نزل للطابق السفلي وقد بدى المنزل مظلما لا
اعلم متى حل المساء ولم لم تنير امي الأضواء،
وصلت للباب الخارجية لأ
فتح الباب واجد جيراننا متجمعين ومفزوعين ينظرون الي،
اتسعت عيناي وانا أتساءل ما بهما،
حتى نظر لجاري وهو يمسك بعباءة امي السوداء!
- لقد حدث انفجار في سوق الخضار صباح اليوم،
وقد عثر على اغراضها مع جثتها، أبلغني أحد الأ
صدقاء وعلم انها جارتي لما رأها بين الجثث.
!!!..
لم ابك يومها بل ازداد مقتي لهذه الحياة ازداد كرهي لهذه ا
لأرض وقرفي انني ولدت وعشت بها،
اضيف سؤال جديد لتلك التساؤلات،
ما ذنب امرأة عجوز ذهبت لسوق الخضار ان تقتل،
اين العدالة الإ
لهية التي تحدث عنها الجميع! اين العدل في هذا العالم القـ
ـذر
بعت المنزل بذكرياته، ظلمته وبروده،
واشتريت منزل صغير لأبدأ منه،
لم ادرس في الجامعة بل قررت ان اصاحب الكاميرا كما أيـ
ـضا بدأت حينها قصة حبي لتلك الزجاجة الخضراء بت اشربـ
ـها بشكل مستمر يومياً،
حلقت شعري وطليت جسدي كله بوشوم معتقداتي الجديـ
ـدة، لأسلك طريقا بعيدا عن الله، بعيدا عن الناس.

الفصل الحادي عشر

روح

الحاضر

نهض هو ليقف بعد ان كان جلسا ينصت الي،
نفض يداه وجهه مبتسم وعيناه تلمعان من الحماس لا
اعلم لو هكذا متحمس لشيء انا نفسي لا اعطيه أي أهمية
، قال لي مشيراً: أتعلمين شيء،
علينا الذهاب لمدينة أخرى للمشفى الذي اخبرتك عنه،
متأكد من اننا سنجد شيئا.
سألته وانا متوقفة في مكاني تدور عيناي في المكان الذي
ينتعش باللون الأ
خضر ورائحة أوراق الشجر: وان كنت في غيبوبة ما الذي س
يحدث؟
اقترب ليضع يداه في جيبي معطفه الرمادي الرياضي ابتس
م بمزاح: اذن حينها سأفعل أي شيء لإيقاظك
ركزت النظر اليه وقد تحرك شيء من الفضول بداخلي،
ا شعر بالتردد عن سؤاله لا
ارغب ان يدب بداخلي أي إحساس تجاه أي شيء،
لكنه ضيق عيناه وكأنه فهم ما أفكر به حتى ق
ال: سأجعلك تحبين الحياة، قرأت ان في حالات
الغيبوبة كهذه رغبة المريض هي من تجعله يفيق ام لا.
مطيت شفتي لأسأله: وان افقت لمن سأعيش؟
أشار بيده تجاهي ليجيبني: لنفسك

هم بالسير لأتبعه ونحن نسير بين الأ
شجار انظر للطبيعة من حولي،
للفراغ ثم نظرت له لم يفعل هذا ويساعدني؟
ماذا ان كانت عائلتي مثلي ء
القين في مكان اخر لم روحي انا فقط التي علقت هنا؟
عدنا للفندق لغرفته ليجري بعض الاتصالات ويعبث قليلا
بحا سوبه، بقيت انا أقف امام النافذة انظر عبره للا
ُفق رأسي فارغ تماما لا
يوجد به أي شيء وجسدي خفيف لا ا شعر بأي شيء،
اتى هو ليقف بجانبي يثني ذراعيه لصدره مد يده وحركها ا
مام وجهي لألتفت اليه ابتسم: انا سعيد.
سألته: لم؟
- لأن القدر جعلني اقابل فتاة من بلدي،
وربما يا ستطاعتي تغير حياتها.
- حياتي!
علق ضاحكا: قدرها، نهايتها،
أيا ما كان المهم انني قد أخلق تغيير
بقيت أحدق في ملا
مح وجهه رجاني ليكمل: عليكِ مساعدتي ارجوكِ
حركت رأسي بهدوء كدليل على موافقتي،
فاتسعت ابتسامته ليطلب من اكمال سرد قصتي.

جوى

٣ يناير ٢٠١٦

بين فترة وأخرى يظهر أحدهم ليطلب يدي للزواج وهذه الفت
رات أنشغل فيها بتأليف حجج تليق بـ
الخاطب نفسه واكاذيب اقنع بها والدي،
استمر في فعل هذا تقريبا كل شهر او أحيانا في الشهر مر
تان، أتساءل لمتى سأبقى هكذا؟ انا لست انتظره لأ
نني اعلم انه لن يفعلها انا عالقة معه دون وجهة،
اطفو في محيطه وانا على يقين انني لن أصل للبر في ك
ل
مرة اجهز نفسي وارتدي أفضل الثياب بطلب من امي لمقا
بلة أحدهم وعائلته اتخيله هو،
اتخيل دخوله منزلنا جلوسه على احدى الارائك،
شربه لعصير تعده امي،
نظراته السرية التي قد يرسلها الي بين الحين والأخر،
رن هاتفي اثناء وقوفي امام المرآة لتمشيط شعري فرأيت
اسمه، اجبته وانا اضع الهاتف بين كتفي واذني لأن
يداي مشغولتان بالعبث هنا وهناك،
جاءني صوته: هل رحلوا؟
اجبته ببرود: لم اقابلهم بعد.
سمعت صوت أنفاسه وكأنه يطرد دخان سجائره من فمه: م

اذا ارتديت
مطيت شفتي قائلة: ثياب عادية.
- مممم.
سمعت صوت امي تناديني فقلت بعجلة: علي الذهاب امي تناديني،
لم يلفظ أي حرف انهيت المكالمة وانا اسمع صوت الحاحها
ا اتجهت لغرفة الضيوف وانا اشد العزيمة لرفضه،
دخلت حيث كانت تجلس امي وجدتي امل كالعادة،
امرأتان ربما والدته وأخرى لا
اعرفها وهو بينهما رسمت ابتسامة على وجهي لأ
جلس بجانب امي التي ضربت كتفي بكتفها لأ
ننني لم القي التحية، قالت احداهما: ما شاء الله
كم هي جميلة.
قلت بجراءة: لا انه الماكياج فقط.
فضربت امي ساقي بساقها نظرت لها وانا اكاد ان انفجر ضا
حكة، قالت ذات المرأة: ما رأيكما ان تتعرفا على بعضكما.
ونهض الجميع فابتسمت لأن
اللعبة قد بدأت للتو بسهولة أستطيع جعله يرحل،
بقي هو يجلس امامي بهدوء كان مظهره لا بأس به، لا
اعلم فأنا فقد رغبتي بالرجال بعد ان أحببت عبد الله،
بل أصبحت عيناي لا تريا أي رجل او رجل غيره، ق
ال وقد شعرت انه استمد ثقة لا
اعلم من اين اتى بها: ارغب ان تتركي الجامعة عند زواجنا.
وضعت ساق فوق الأخرى لأبتسم قائلة: عفوا! اتركها!
أكد على كلامه: اجل، أحب ان تبقى زوجتي في المنزل.
اشعر ان اللعبة بدأت تبدو امتع من قبل ابتسمت لأ
قل بصبر: وماذا أيضا؟
عاد ظهره للوراء بثقة ليكمل: تمسحين أي شيء يخص موا

قع التواصل الاجتماعي هاتفكِ لن يحوي أي منها.
صمت قليلا وكأنه يفكر ثم أكمل، صديقاتكِ حتى تتركيهن.
انطلقت ضحكة مني بصوت عال دون إرادة لأصفق بيدي،
انفجرت ضاحكة وانا أفقد سيطرتي على نفسي حتى أتى ا
لجميع مجددا ليقفوا مذهولين وهم يرونني في ح
الة هستيرية من الضحك، بـ
الكاد توقفت وانا اضع يدي على بطني: عفواً، اسفة هههه.
اقتربت امي مني وعيناها تقتد تكاد خنقي بيداها،
نهضت من مكاني لأنهي هذه اللعبة الممتعة لأوجه كلا
مي له: عفوا نسيت ان اسأل كم عمرك؟
في أي زمن كنت تعيش؟ اووه انتظر مهلا ً.
سرت تجاه جدتي امل لأ
حيط بذراعي كتفيها قائلة: هذه جدتي كانت موظفة في البن
ك عندما أعجب بها جدتي وتزوجها، لا
اعتقد انكِ في زمنهم حتى!
اقتربت امي مني لتجرني من معصمي وتصرخ بي امامهم
: ما هذا الهراء الذي تقولينه.
جررت يدي منها بصعوبة وانطلقت خارجا لأ
ذهب لغرفتي فور دخولي لها انفجرت ضاحكة لما حدث،
هرعت لأتصل بعبد الله لكنه لم يجبني،
غيرت ثيابي وجلست على سريري وانا اسمع صوت امي م
ن الخارج وهي تشتمني،
كانت اختي نجمة منزوية في سريرها كعادتها حتى دخل اب
ي
وامي الغرفة ليقتحماها بعنف ففزعت هي بينما دارت عين
اي بملل وانا أرى ذات المشهد المكرر،
كان ابي يقبض يده بقوة يجز على اسنانه ليقل: ما الذي ف
علته امام الناس!

رفعت كتفاي ببرود لأعلق: لم افعل شيء.
اقترب مني ليجرني من معصمي ويجعلني انهض قسرا م
ن السرير شعرت ان ذراعي تكاد ان تخلع من مكانها، ق
ال بعصبية: كيف تتحدثين هكذا مع الضيوف؟
من سمح لكِ حتى بالتحدث؟
اجبته: ماذا! هذا رجل مختلف لا
يرغب ان اكمل دراستي ويريدني ان أبقى خادمة لديه.
صرخ ابي بصوته المزعج ليرتد صداه على جدران الغرفة: ه
ذا هو مكانكِ، تتزوجي لتكوني كذلك، ما الذي تريدينه،
ما تظنين نفسكِ حتى؟
صرخت انا أيضا به: لن أكون، لا اريد الزواج مطلقا.
صفعني بقوة ليلثم شعري وجهي بالكامل،
وضعت يدي بألم على وجنتي لأ
سمعه يتوعد لي: تحتاجين رجلا يضربك صباح مساء،
هكذا أنتن النساء بالضرب تفهمن وتعرفن الطاعة.
ازلت شعري من على وجهي وقد تملكتني كمية كبيرة من
البشاعة لأ
قل وانا كل يقين ان ما سأقوله سيحرقني: ليست كل النس
اء كأمي يا ابي،
ليست كل النساء ترضا على أنفسهن المذلة و
المهانة من شبه رجل.
اعلم انني اهنت امي كثيرا لكنها هي من شكلتني،
هي من رمت هذه البذور بداخلي،
جرني من شعري بقوة بيده ويده الأ
خرى تتناوب على وجنتاي يمينا ويسارا،
ضربني حتى تعب هو من الضرب فألقاني على السرير وه
و يشتم امي،
خرج من الغرفة وبقيت هي تنظر الي بنظرة عتاب وغضب

، قلت وانا اسعل بتعب و
الحرارة قد وصلت اعلى درجاتها داخل وجهي: انتِ من فعل
تِ هذا، رضيت بـ
الذل ورسمتي صورتكِ المذلولة دائما في دماغنا.
قالت بغضب: هكذا أصبح مصير الام التي لا
تريد جلب الخراب لمنزلها!
احتدت نبرة صوتي: الخراب! نحن نعيش في خراب! جعلتي
منا بؤساء، احدانا لا نعلم ما الذي أصابها و
الثانية متمردة تلعن الرجال كل ثانية!
اقتربت وهي تجز على اسنانها قائلة: لن تفهمي لأ
نكِ لست مثلي، ان تطلقت منه كيف سأعيش وانا حتى لا
املك شهادة، كيف اربيكم وانا مطلقة؟ بعد هذه السنوات!
نهضت من على السرير لأ
قف امامها واقل بحقد: انتِ من تركتِ دراستكِ من اجل ر
جل وخاتم، انتِ من فعلتِ هذا بنفسكِ والان!
صمت لأ
بلل شفتاي بلساني اللتان جفتا من شدة ارتفاع حرارتي: الا
ن تريدينني ان أصبح مثلكِ، الرجل ليس كل شيء.
رفعت نبرة صوتها وهي تخالف رأيي: بل هو كل شيء،
من سيبقى لكِ بعد وفاتنا؟
ماذا سيقوله الناس عنكِ وانتِ عانس!
سرت تجاه مكتبي حيث استقرت المناديل الورقية عليه اخ
ذت منديل لأمس انفي قائلة لها: أفضل ان أكون عانس،
رغم انني لا اراها عيباً، على ان أصبح مثلكِ
تصنمت هي مكانها بينما انا فورا اندفعت لأ
دخل للحمام هربا منها، أقفلت باب الحمام لأ
نفجر باكية واجلس على الأرض وظهري على الباب،
مسحت بيديي على شعري لأعيد للخلف،

الى أين وصلتِ يا جوى؟
تكسرين فتَكسرين من هم أضعف منكِ؟
لم اشعر فجأة انني بت أكره الجميع! لم اشعر باشمئزاز م
نها وانني أكره النظر حتى لعيناها الضعيفتان،
أي عذر هذا الذي يمكنه ان يعيد صورة ام لعقل ابنتها،
لم أصبحت بشعة لهذه الدرجة،
أحاول التمرد وجرح غيري بكل الطرق؟
لماذا لم اخلق عادية ارضى بما هو كتب لي وجل امنياتي
هو زوج وفستان ابيض؟ لم اخالف اطارد أوهام واحلام
لن تحقق، لن انعطف لجهة أخرى،
نهضت من مكاني وجسدي يشكو لي من وجعه،
توقفت امام المغسلة ولأتوضأ،
خرجت من الحمام ارتديت ثياب الصلاة
ووليت وجهي للقبلة لأصلي، دعوت الله
رغم ذنوبي رغم عصياني له الدائم،
رغم صعفي وعجزي وقلة حيلتي، دعوت الله
ان يهديني ان ينير قلبي ويزيل همي. دعوته وانا أقف بين
يديه اخجل من كل ما اقترفته وامل يأكل النور بداخلي يخب
رني ان مغفرته واسعة فقط قفي امامه وتجردي من كل ش
يء. اخبرته عن مخاوفي عني وعن مشاكلي، اخبرته ان لا
حجة لي لتمردي، وانني هنا أقف اطلب مغفرته وقد اعود
لأقتراف اثام أخرى جديدة لكنني أيضا مؤمنة بعدله،
بكيف كثيرا في السجود بكيت ذنوبي بكيت همي وضعف
ي، بكيت الى ان افرغت كل ما بقلبي، لأ
ستلقي على سريري وانا ما زلت مرتدية ثياب الصلاة
واغط بنوم عميق ككل مرة أصلي فيها وانام، هذه أحد الأ
شياء التي علمني إياها جدي ان بكيتِ صلي،
ان حزنتِ صلي، ان فرحتِ صلي،

ان مرضتِ صلي. أخبرني ان الصلاة
دواء سريع المفعول قادرة على إزالة عسر هضم الذنوب و الهموم.
في اليوم التالي ذهبت صباحا لزيارته بعد ان استيقظت وكل
طاقة بعد ان نثرت كل هم مسني في الليلة الماضية. مررت على احدى المخابز القريبة من منزله لنتناول الفطور معا ، فتحت الباب بمفتاحي لأ
وقظه بنفسي. دخلت لكنني رأيته قد استيقظ للأسف،
كان عاريا لا يرتدي سوى ثيابه الداخلية،
قلت وانا مازحة: ارتدي شيئاً.
فزع عندما رآني كان يقف ليحضر القهوة لنفسه،
شعرت بشيء غريب في المكان، وضعت الا
كياس جانبا وانا اقترب من سريره المبعثر بطريقة ملفتة لأ
تفحص سريعا الأرض التي رمي عليها ثياب نسائية،
لتسرع اذناي في استراق السمع لصوت الماء المنبعث من الحمام! أشياء حدثت في ثوان أدركت خلا
لها ما يجري في محيطي. اقترب هو ليقف امامي وقد شل لسانه،
ابتسمت بسخرية وانا أعجز عن التصديق! بعد ما افعله وا تلقاه يستمر هو بخيانتي! هو حتى لم يفكر كيف امسيت الليلة الماضية، فتح ذراعيه ليقل: ماذا افعل؟
وانتِ كل فترة تخبريننني انهم يريدون تزوجيكِ؟
ضحكت بسخرية وانا انظر الى سخافة اعذاره، اقتربت منه لأرفع نفسي وقد شممت رائحة مقرفة لإ
مرأة على جسده: انتهينا.
هممت بـ
المغادرة لكن يده امسكت بذراعي بقوة ليقل بعدم تصديق

: انتِ لستِ جادة.
قلت بثقة: جربني.
مد يده الأخرى ليمسك بذراعي الثانية ويقل بتو سل: لا، انتظري، لا يمكنكِ فعلها.
حاولت التملص من بين يداه وانا ادعي البرودة وانا احترق، ثم شيء غريب هو ان و سط جهنم يوجد زمهرير صقيع برو دته لا ترحم أ سوأ من النار، اجتماع الجحيم و الصقيع معا شيء ملفت يكاد لا يصدق حتى، لكنه كان بداخلي حينها غضب يتملكني ونار تحرق اوصالي وبرود في تصرفاتي وكلامي/
خرجت تلك العاهرة من الحمام وهي تلف جسدها بمنشفة لتتسمر في مكانها، وزعت نظراتي بينها وبينه لأ بتسم له وانا ا سحب جسدي: اختيار موفق.
و سرت خارجة من منزله لأنتهي منه، حاولت طوال الطريق تنظيم انفا سي افكر بأنني لن أكون ضعيفة كأمي، انني مختلفة عنها ان كان ابي يذلها با سم الزواج و الطاعة فلن يذلني هو با سم الحب. عدت للمنزل لأ دخل غرفتي واقف امام المرآة ناظرة لا نعكاس صورتي عليها، كان وجهي جافا يخلو من أي بوادر للحزن، لم ابك! التقطت هاتفي وقمت بمنع مكالماته ومنع ارسال ه لأي رسائل، بقيت لثوان انظر للهاتف ثم قمت بإلغاء ما فعلت. لا علي بمنعه من العبث في قلبي، علي منع نفسي منه قبل ان امنعه من هاتفي، اعدت النظر لوجهي في المرأة، جوى لماذا لم تبكِ؟ لم انتِ مريبة على غير العادة هذه المرة! ام اننا حقا انتهينا

بلا عودة لذلك يصعب عليكِ التصديق!
في الواقع أكبر الالام هي تلك التي لا نبكي فيها،
يصعب على تلك الدموع حمل هذا المقدار الكبير من الوجـ
ـع، عندما يصل نزيفنا عند هذا القدر يصبح حتى الكلام
عنه صعباً بل محالاً .

الفصل الثاني عشر

لا اعتقد انني مت على متن ذاك القارب،
بل انا فارقت الحياة في هذا التاريخ وفقدت بعدها قدرتي
على عد الايام و
السنين. صباحا سمعنا استيقظنا على صوت صراخ امي وبـ
ـكائها الذي أغرق منزلنا،
انتفضنا من اسرتنا الدافئة على عجل لنرى أي مصيبة حلـ
ـت علينا،
خرجنا لنجدها تصرخ بكل ما اوتي اليها من قوة وابي امام
ها صامت شعرت بوخزة تصيب قلبي،
هو ذاك الشعور الغريب الذي يخبرنا اننا على وشك سماء
خبر سيفتت ارواحنا. جف فمي وانا اسمع شفتاها تحاولان
نطق الخبر لوهلة شعرت انني على علم بما ستخبرنا به،
إحساس لا
مسني وهمس لي ان هناك مكروه قد أصاب جدي،
بل لم افكر بأحد غيره حتى،
اقتربت منها وانا أحاول تكذيب ما ستقوله وانفاسي تثقل

أكثر وأكثر: لا. لا تقولي.
لكنها قالت: مات ابي، ابي.
صرخت بها: لاااا، لا يمكن، هذا كذب.
التفت لأختي التي باتت تشبه امي في بكائها لأ
صرخ عليها: لا، لا تصدقيها جدي بخير
اقتربت لتحتضنني فدفعتها بعيدا عني وانا اعود للوراء، لا
الجميع يكذب جدي لن يرحل ويتركني هكذا فجأة،
هو يعلم انني لن استطيع العيش بدونه، هو يعلم بمقدار ا
لألم الذي سيسببه لي بعده، الله
أيضا يعلم فكل ليلة اذكر اسمه داعية ان يطيل في عمره ا
ليس كذلك، هبطت على الأرض لأجلس ك
القرفصاء وانا اتنفس بسرعة كأنني في سباق،
احتضني نفسي وانا ادعو ان يكون كابوس سأستيقظ منه،
جدي لن يختفي عن عالمي للابد انا لا
استطيع حتى تحمل فكرة العيش بدونه، لا
يمكنني ان اكمل ايامي دون سماع صوته، نهضت لأ
جري بإتجاه غرفتي ف
التقطت هاتفي الذي كان يجلس على الطاولة التي تجاور
سريري لأتصل به، سيجيبني و سأخبر الجميع انهم كاذبون،
سأضحك واخبرهم انني على حق،
لكن هاتفه كان مغلقا اعدت المحاولة مرارا حتى أتت اخت
ي
تحاول احتوائي فدفعتها وانا اجلس بهدوء على السريري اتـ
صل به بشكل هستيري وتخبرني تلك اللعينة انه خارج عن
التغطية .تجمدت الدموع على وجنتي لأقل لأ
ختي: ربما نسي ان يشحن هاتفه، هو ينسى كثيرا!
اقتربت مني تمسك يداي وانا اقاوم وانهار باكية أكثر،
ادفعها وانهض ابحث عن شيء عن حل عن مصدر يوقظ

ي من هذا الكابوس، لأعود لهستيريا البكاء،
ا شعر ان هناك خنجر يغرس في قلبي كل ثانية تمر وهذه ا
كذبة ساربة،
تشبثت بفرا شي وجررته لصدره وانا اعتصره بقوة واعتصر
روحي. بكيت حتى جفت دموعي وهمد جسدي بلا حراك، لا
اعلم ان كنت قد نمت او فقدت وعي حينها.
فتحت عيني بألم ورمو شي ملتصقة ببعضها يمسك جفناي
ببعضهما بقوة لا يقويان على ترك بعضهما،
بدأت انفا سي تزداد سرعة وانا افكر انه لربما كان كابو سا ل
كن جسدي والم عيناي يخبراني انه لم يكن كابو سا على الا
طلاق، حاولت رفع رأسي من على الو سادة كان ثقيلا
لدرجة لا تصدق، عيناي تحرقانني بشدة يعتصران الأ
لم من الداخل ليخرجاه وكأنه قيح لا دموع، جاهدت لأ
جلس قليلا وارى اختي تلبس ذاك اللون الأسود اللعين،
اقتربت وهي تحاول مساعدتي لأ
نهض بضعف دفعتها بعيدا عني لأسألها: اين، امي؟
اجابني وقد تفجرت ينابيع دموعها: في العزاء،
انه اليوم الثاني له.
اليوم الثاني! لم اره! لم اودعه واتأكد من صحة اكاذيبهم! لم
ا شم عطره للمرة الأخيرة ولم ار وجهه واقبل عيناه،
لم افرك يدياه المتجعدة،
لم اخبره بأنني كنت وما زلت أتنفسه، لا
بل كنت اتنفس في وجوده والان
أعجز. مسحت انفها بمنديل لتلتقط أنفا سها قائلة: كان يج
ب ان يدفن فوراً،
وضع أحدهم أسفل سيارته قنبلة فأنفجرت اثناء ذهابه لع
مله كل صباح.
أي وحشية تلك التي تجعلهم يقتلون رجل كانت الملا

ائكة تغار من طيبته؟
فجروا وطني بأكمله ولم يكتفوا فأخذوا مني اعز ما املك،
لم تكفهم المئات التي تموت كل يوم ليزيدوا رقم واحد علي
هم، لم هو لست انا؟ لم موته المني أكثر من موتي حتى،
نحن لا
نموت عندما نفارق الحياة بل نموت عندما يفارقها من كانو
ا بالنسبة لنا حياة.
جسدي بأكمله كان متخشبا لا يمكنني تحريكه حتى،
عيناي منتفختان لحد الانفجار،
جسدي يتلوى ورأسي يطرق بمطرقة،
ورغم ذلك ذهبت برفقة اختي لبيت جدي.
طوال الطريق وبداخلي امل يخبرني انني عندما أصل لهناك
سيفتح هو الباب لي او اجده يسقي الحديقة او انه ذهب ل
يصلي ويعود بعد قليل،
تمنيت لو ان الطريق يصبح أطول لكنه لم يكن كذلك ووص
لنا للأ
سف لمنزله وانا أرى الكثير من السيارات امامه وناس غريب
ة تدخل للتو وصوت القران صادر من الداخل،
بقيت متوقفة عند الباب وعيناي قد جفتا من الدموع تحرق
ني بشدة وعظامي تصدر أصوات تهشم،
دخلت ورأسي يدور وعيني تسبقني باحثة عن وجه واحد،
وجه يروي ظمئي يبلل هذا الجفاف الذي اصابني من الداخ
ل، كان السواد يغطي تلك الأجساد المنتشرة في المنزل،
وصوت النواح ينتشر في كل زاوية،
رائحة بخور ووجوه غريبة،
سرت وانا حاملة ثقل رأسي على جسدي الضئيل اتحامل
عليه لحين وصولي لمكتبه، دخلته وأقفلت الباب خلفي لأ
نفجر باكية، ابكي بصوت لا دموع،

ابكي وانظر للجدران الحزينة و
الكتب التي تصرخ تطلب يداه لتصفح اوراقها،
وكرسيه يرجوني ويكرر السؤال عنه،
وضعت يداي على اذني أحاول اخراسهم جميعا، لا
يمكنني التنفس حتى، ماذا افعل لا
طبيب يمكنه مساعدتي ولا ساحر يحضر روحه مجددا، لا
شيء قادر على تخليصي مما اصابني،
احتاجه لدقيقة واحدة احتاج ان يخبرني كيف سأمضي بدو
نه ؟.. احتاج لمساعدته،
رأيت معطفه يحتضن كرسيه نهضت بلهفة كمجنونة اقترب
ت منه لألتقطه واشم ما تبقى منه،
لم يبقى لي منه سوى عطره! رحل وترك الزوايا تبكي.

الفصل الثالث عشر

عبدالله
١٣ يناير ٢٠١٦

فتحت عيني لأشاهد السقف، مع كل اسف استيقظت لأ
قضي يوماً جديداً في هذا العالم، نهضت قليلا
بكسل وانا اشم رائحة عرقي التي تمتزج برائحة الخمور ال
تي انستني في الليلة الماضية. رغم برودة الجو في هذا ال
شهر الا انني لم أكن اشعر به سرت حافي القدمين لألا
مس السجادة ذات الفرو المرتفع بعض الشيء،
حيث قامت بفرشها في المنزل خوفاً علي من البرد،

تخاف ان أصاب بالبرد ولا
تخاف ان تتركني أصاب بمرض في قلبي بسببها! سرت للم
طبخ لأ
حضر قهوة تطرد هذا الصداع وقفت انتظر الة صنع القهوة
لأراقب الزجاجات الفارغة التي تقف امامي على المنضدة،
أسندت مرفقي على المنضدة واخذت عيناي تدوران في ال
منزل الذي أصبح مقرفا وكل شيء ترك مكانه وتمرد،
اخذت كوب القهوة الذي أيضا اشترته هي لي،
تترك أشياء منها وترحل هي! أي فلسفة تتبعها في هذه الت
صرفات؟ جلست على الا
ريكة ووضعت كوب قهوتي على الطاولة الحزينة امامي حي
ث
بقي عليها بقايا علب فارغة وعلبة للبيتزا منذ الليلة الماضي
ة، التقطت سيجارة لأ
حرقها بين اصبعي حتى اخذني التفكير اليها،
مرت عشر أيام وجوى مازالت تدعي اننا انتهينا،
اعلم انها فترة و ستعود تثور ثم تشتاق وتتأكد اننا غير قابلا
ن على الانفصال،
لهذا تركتها هذه المرة لم اقترب منها حتى تهدآ، لا
استطيع مجرد التفكير ان تخلو حياتي منها،
هي السبب الوحيد الذي يجعلني اتمسك في هذه الحياة
وهذا البلد. أتذكر في بداية معرفتي بها،
قبل عام ونصف تقريبا رأيتها للمرة الا
ولى عندما كنت في الخارج مع صديقي علي أخبرني انه
سيلتقي بحبيبته يا سمين. كان مقهى عاديا ذهبنا وجلسنا ن
نتظرها فدخلت يا سمين ومعها فتاة أخرى، لأ
نني رجل فبالطبع ركزت ناظري على مظهرها و شكلها اللذا
ن

اعجباني كان طولها رائع اعتقد انها تصل متر و ستين او أط
ول بقليل،
قوامها ممشوق شعرها طويل ممو ج بني ترتدي اقراط كبي
رة دلالة على انه الفتاة ذات شخصية قوية،
توقفت يا سمين ومعها جوى امامنا لتقل يا سمين بابتسام
ة: ا سفة لتأخرنا، اعرفكما بجوى صديقتي في الجامعة.
نهض علي ليصافحها بينما انا بقيت ج
السا ارمقها بنظرات باردة، ق
الت يا سمين مشيرة لي: وهذا عبد الله مصور رائع.
لم تبدي هي أي رد فعل بل كانت مثلي باردة تجاهي فحاول
ت إخفاء ابتسامتي لأن
برودتي ا ستفزتها وهذا ما يعجبني. بقيت طوال فترة جلو
سنا انظر اليها دون ان تشعر وحينما تلتفت الي ازيح بصر
ي عنها لأتركها تحترق،
كانت واثقة من نفسها اثناء الحديث تحرك يداها وتشير لتم
ثل الفكرة التي تطرحها، تضحك بعفوية وصخب،
اعلم انها لن تكون نوعي المفضل لتقيم علاقة،
برغم قوتها تلك الا انها ما زالت نقية،
وهي نظرة قلة من يمكنهم امتلا
كها. رن هاتفها اثناء جلو سنا فنظرت له قائلة: علي الا
نصراف لقد تأخرت.
عرض علي عليها: أترغبين ان نوصلك؟
أ شارت بيدها: لا شكرا، سأخد سيارة اجرة.
نهضت انا من مكاني أحاول ادعاء البرود قائلا: يمكنني ان ا
قلك في طريقي ان كان منزلك قريب.
رفعت أحد حاجبيها تنظر لي با ستنكار لتقل: لا
انه بعيد شكرا للطفك.
سرت امامها وانا اضع يداي في معطي الجلدي قائلا: اذن ه

و في طريقي.
التفت اليها كانت تنظر ليا سمين بحيرة بينما هي ا شارت لها
انها تستطيع الوثوق بي،
سارت خلفي لحين وصولنا للسيارة. كانت مقاعد سيارتي
ممتلئة بالأغراض ازحتها من على كرسي الجانب لتجلس،
جلست لترتدي حزام الأمان قائلة: بـ
المنا سبة انت قليل الذوق.
التفت اليها لأعلق: اووه حقا!
- اها.
قدت سيارتي وانا ابتسم لوقع اثرها وكلامها،
كانت تراقب الطريق بصمت لكن أنفا سها ع
الية وكأنها متوترة. قلت وانا انظر امامي اتجاهل النظر اليها
: لا بأس، يمكنك ان تخبريني انها المرة الا
ولى التي تركبين فيها السيارة مع رجل.
لم تعلق بل اكتفت بالنظر الي ببرود،
صمت انا أيضا ولكن بعد قليل ق
الت لتكسر جدار الصمت بيننا: انا لست خائفة منك.
- اذن؟
- انت مستفز فحسب.
استطاعت من جعلي اضحك،
اوصلتها لمكان قريب طلبت هي مني ان اتوقف عنده. قا
ت لها قبل ان تترجل: ناوليني هاتفك قليلا.
أخرجت هاتفها من الحقيبة ببطء لتناولني أيضا فكتبت رقم
ي له وناولته إياها قائلا: يمكنك الا
تصال بي لكن ليس مساءً لا
أحب ان يتصل الغرباء في هذا الوقت.
ابتسمت وهي تقول: حسنا.
ترجلت وبقيت انا أحاول إزالة غبارها الذي علق بي منذ رحي

لها، هييي عبد الله
ما الذي تريده منها هي حتى لن تفلح بأن تكون مجرد متع
ة، وبالطبع انت لا تفكر ان تحب حتى، لم فعلت هذا من الأ
ساس؟
صوت عقلي تولى زمام الا
مور عندما بعثت لي رسالة تخبرني انه رقم هاتفها،
لم اجبها بل ببرود دخلت للمحادثة لأ
ريها انني عمدا لم اجبها،
وكأنني ارغب في معاقبتها. بعدها بأسبوعين اعتقد ذهبت
عمدا مع علي للجامعة الكتنلوجية كنت استطيع الا
عتذار عن مرافقته اثناء ذهابه ولكن شيء بداخلي ادعى انن
ي اشعر بالملل،
أتت يا سمين هذه المرة بمفردها لتجلس معنا في مقهى ال
جامعة لم اسألها عنها ولم ابدي أي اهتمام،
انسحبت من الجلسة بحجة رغبتي بتركهما بمفردهما لأ
دور في المكان واتجول به قليلا. خرجت للحديقة لأ
دخن سيجارة وانا اراقب الناس من حولي،
حتى رأيتها تسير من بينهم متقربة كانت ترفع شعرها للا
علي وجهها ظهر اكثر جما
لا. رأتني فاقتربت مني حتى أصبحت تقف امامي ب
الضبط لتسأل: ما الذي تفعله هنا؟
لم اجبها فورا بل جعلتها تنتظرني وانا امص رحيق سيجارت
ي ببطء وانفث دخانها في الارجاء لأجبها: مع علي.
ادعت البرود لتقل: اها.
همت ب
المرور بجانبي وتركي لن يدي اللعينة امسكت بذراعها لأ
وقفها، كانت قريبة مني لا تنظر الي بل تنقب داخل عيني،
تنظر لشيء في روحي، اعتدلت قليلا لأترك ذراعها واقل: لا

ا أحب ان اتحدث هنا.
سألتني: نتحدث عن ماذا؟
قمت بحك جبهتي بسبابتي وانا افكر في حجة او كذبة لكنن
ي لم اجد، قلت بعد ان تركتها تتأمل إجابة مني: انسي،
وداعا.
وتركتها تغرق في حيرتها لأ
بدأ بتأنيب نفسي لم ما زلت اريد الاقتراب منها؟
ما غايتي حتى!
أيام مرت وانا صارع نفسي كي لا اتصل بها، اجادل عقلي لأ
قنعه ان لا غاية لي مجرد عبث، وانها كغيرها ليست الفتاة ا
لا
ولى وهي ليست حتى نوعي المفضل من النساء ما كل ه
ذا الخوف!
في ليلة كانت الحمى تسكن جسدي لا
اقوى على ترك الفراش،
حمتي جعلتني اهلوس واقوم بتصرف غبي حينها فأتصلت
بها، اجابتني ساخرة: اووه كيف تتصل بالغرباء مساءً!.
علقت ببرود: انها الحمى اللعينة.
سألتني بقلق: هل هناك احد يرعاك؟
ابتسمت بسخرية لأنهي المكالمة و
القي الهاتف بعيدا عني على طرف السرير، عدت لأ
ستلقي. جسدي كله كان يؤلمني ارغب بالنهوض لإ
حضار الدواء لكنني عاجز،
نظرت للسقف بحسرة اين وصل بي المطاف. في يوم سأم
وت وحيدا وتتعفن جثتي ولن يكتشف احد موتي هذا ان ل
م امت في احدى الا
نفجارات. سمعت صوت طرق باب فا ستغربت من اتى في
هذه الساعة، نهضت والدوار يعانق رأسي،

اتكأت على كل قطعة اثاث وقفت في طريقي لحين وصول
ي للباب، اتكأت بيدي على الجدار الذي بجانب الباب وبيدي
الأخرى فتحته لأ
راها! صدمت وانا اراها بل شككت بنفسي لربما تكون مجر
د
هلوسات بفعل المرض بجنون رأيتها ترتمي في احضاني ح
اوطت يداها خصري لتتسع حدقتا عيني ورأسها استقر عل
ى
صدري! بقيت مذهول حيث بدأت ضربات قلبي تسرع لتخت
رق صدري وتشي بما اشعر به،
كأنني مراهق للتو احتضنته فتاة لا
رجل جسده قد ثمل من ملامسة النساء،
ابتعدت لتمد يدها على جبيني وتقل: اووه حرارتك مرتفع
ة.
كنت لا أزال تحت وقع صدمتي فجرتني للفراش،
جلست عليه وهمت بتغطية جسدي مقتربة مني وانا ادوخ
اكثر بهذه المسافة الصغيرة التي بيننا، ق
الت وهي تتلفت لترى المنزل: سأعد لك الطعام بعدها تتنا
ول الدواء.
سألتها بضعف: كيف اتيت؟
ابتسمت لترفع حاجباها: اخذت عنوانك من علي.
حضرت لي الطعام كنت بوهن اراقبها وهي تحضره وتطير ك
فراشة في منزلي، لم يفعل لي احد هكذا منذ سنوات،
لم يقترب احد مني لهذه الدرجة،
احضرته لتطعمني لم اكن قويا لدرجة تجعلني ارفض شيئ
ا بين حين واخر كنت اغمض عيني،
نمت دون ادراك حتى افقت فتحت عيني وانا اشعر ان هنا
ك شيئا على جبيني مددت يدي لأ

أزيل قطعة قماش رطبة التفت لأ
رى نورا لشمس يحتضن المنزل. نهضت قليلا
فرأيتها تنام على الا
ريكة نهضت من مكاني وانا ا شعر ان جسدي قد ا ستعاد عا
فيته لكنني تعرقت كثيرا. اقتربت من الا
ريكة التي كانت تغفو عليها،
تنام بعفوية تثني ساقيها لصدرها انحنيت لأ
صل لمستواها فمدد يدي تجاهها لكنها فتحت عيناها فاعتد
لت وتصنعت البرود،
نهضت وهي تبتسم لتسألني: كيف أصبحت.
سألتها: كيف تنامين هنا؟ ماذا اخبرتِ عائلتكِ؟
مطت شفتاها لتجبني: انني سأبيت عند يا سمين.
ابتسمت بسخرية: الكاذبة الصغيرة.
سرت تجاه لمطبخي لأحضر لنفسي شاي بالأ
عشاب اقتربت هي لتقف بجانبي امام منضدة التحضير،
قلت وانا احرك السكر بالملعقة داخل كوبي: انا خطر عليكِ
التفت اليها لأكمل: ابتعدي عني.
وضعت يدها على خصرها لتقترب خطوة مني شعرت ان يد
ي ترتجف قالت: قد أكون انا خطر عليك انت.
انفا سي بدأت تزداد ثقلا لأجبها: ربما انتِ كذلك.
فتحت ذراعيها قائلة: اذن سأرحل ان كنت تفضل رحيلي.
همت بالرحيل فأمسكت بمعصمها اوقفها، انحنيت لأ
مسك بوجهها بيدي الثانية واقبلها للمرة الاولى لأ
كون خطيئتها الاولى، لكنها كانت وكأنها قبلتي الاولى انا،
قبلة طعمها ووقعها مختلف،
تحرك بما بداخلي من مشاعر تحركني انا ورجولتي،
تخلق نشوة رائعة لا يمكن لأحد الوصول اليها،
كانت رائعة في كل شيء، ابتعدت قليلا

ا وبصعوبة عنها وكأن جاذبية القطبين تجمعتا عند شفتيها،
كنت اتنفس أنفاسها، قلت: انا سيء.
حركت رأسها برفض: لا يهمني.
دخلت لداخلي لتجد عتمة مخيفة لكنها زينتها بنجوم لتخلق
فضاء ملئ بالمجرات، بـ
المناسبة هي في اليوم التالي اخذت العدوى مني فأصيبت
بالحمى.
عدت من ذكرياتي وانا اجز على اسناني العن نفسي على م
ا فعلته بحقها، اشتاق اليها اشتاق لأن المسها، لأن
اتنفس أنفاسها، اشتاق لتخئبتها داخلي، لزرع يدي بين خص
لات شعرها،
للثمالة بها دون اكتفاء. لكنني مزلت مصر اننا لن نفترق لن
ننتهي كما ادعت.

الفصل الرابع عشر

روح

الحاضر

لا اعلم متى حل المساء ومتى اتيت لهذه الحديقة؟
هذا اول سؤال طرق باب فضولي، تلفت حول نفسي لأ
ري حديقة واسعة جدا أشجار لكنها بعيدة،
ومكان مفتوح يمتد نحو الأفق حتى لامس السماء،
سمعت صوت جعل جسدي يلتفت لجهته فوراً،
رأيته مرة أخرى، جدي نعيم يجلس على العشب يبتسم لي

، بدأت ملا
مح وجهي تلين أكثر وانا اقترب منه ليشير الى العشب بجا
نبه، جلست بجانبه وانا اتفحصه، اسقي ما بي برؤيته،
سألني قائلا : عديني.
سألته بفضول: بماذا؟
اجابني وهو ينظر للسماء مبتسماً: ستتمسكين بالنجوم.
سألته بقلق: هل سأبقى معك؟
التفت الي ليجيبني: انا دوماً معكِ
اتسعت ابتسامتي لسماع ما قاله،
رفعت رأسي ونظرت للنجوم، كانت واضحة براقة جدا،
لكن سواد هبط على المكان ليأكل كل شيء، طال لفترة لا
اعلم مقدارها مجدداً هذا الشيء يتكرر معي وكأنني اطفو
بين عالمين، وكأن هذه العتمة هي الطريق بينهما،
نور ابيض كان في نهاية المطاف صادفني، اغمضت عيني
لأن هذا النور قد المني بشكل مفاجئ،
فتحتها مرة أخرى حتى اعتدت عليه،
انا في غرفة! نهضت قليلا لأ
جد انني في غرفة محمد مجددا، نهضت لأجده ج
السا امام النافذة يشرب شيئاً،
قلت له: لقد رأيت جدي مجددا.
التفت الي بدهشة فابتسم فعلق بثقة: انتظرتكِ كثيراً.
راقبته يضع الكوب على الطاولة ويتناول من على الأ
رض حقيبة حجمها متوسط ليقل لي وحماس يشع من عين
اه: لنذهب.
خرجت برفقته من الغرفة ليجيبني وهو يقفل بابها: سنذه
ب للمشفى الذي اخبرتكِ عنه.
نزلنا عبر السلم ليكمل: سبق وان قلت انه في مدينة أخرى
لذا سنذهب في السيارة يقودها صديق لي.

خرجنا للخارج كانت هناك سيارة حمراء و شخص يقف بجانبها حيا محمد من بعيد، بعد ان بادله محمد التحية قال لي: لن نتحدث امامه لأنه سيظنني مجنون.
جلست انا في الخلف بينما هو بجانب صديقه في الامام، انطلقت السيارة الى المكان الذي سأجد فيه إجابات على اسئلتي.

جوى

٢٣ يناير ٢٠١٦

طوال تلك الفترة وانا ادعي القوة ادعي انني قادرة على تحمل هذا القرار،
لحظات كثيرة انهار التقط هاتفي فوراً أحاول الا تصال لكنني اتراجع، أتذكر ما فعله،
وهو ايضاً لم يفعل شيئاً ينتظرني انا كالعادة اعود له،
أحاول كبت تلك الرغبات التي بداخلي عند حدوث أي تفاصيل في يومي،
أفكر انني سأسرد له تلك التفاصيل في نهاية اليوم،
اشتقت لأن أغفو على صوته وانفاسه،
اشتقت لتقبيل شفتيه ومعانقته، عطره وملمس ذقنه،
استيقظت صباحاً، من الأساس لم أتمكن من النوم طوال الليلة الماضية. تقريباً عند الساعة الخامسة والنصف استيقظت،
بهدوء نزلت للطابق السفلي كي لا اوقظ احد،
الجوي كان بارداً دخلت لغرفة المعيشة كنت انوي ان اوقد المدفئة، لكنها كانت بالفعل موقدة،
لونها القرمزي يضيف لمسة ساحرة، رأيت ابريق الشاي اعلاها يطير البخار منه فوهته، اقتربت من المدفئة لأ

أضع كفاي امامها، ابتسمت لأستمتع بـ
الدفء. اتجهت الى المطبخ بـ
الطبع جدتي من حرضت على اعداد هذه الأجواء بعد صلاة
الفجر كانت تحاول ترتيب بعد الاواني، قلت: صباح الخير
التفت الي لتحييني، لاحظت انها لا
ترتدي جوارب في هذا البرد القا سي،
سألتها بقلق: لم لم ترتدي الجوارب.
اجابتني: اووه نسيت، سأفعل لاحقاً.
لكنني لم ا ستمع اليها صعدت فوراً لغرفتها لأحضرها لها،
انبتني لأ
نني بذلت جهدا جلست على الكرسي تنوي ارتدائها،
لكنني جثوت على ركبتي لأرفع قدمها والبسها إياها،
مسحت على شعري قائلة: حبيبتي لا تفعلي هذا.
- ماذا! انا فقط الامس الجنة التي تحت قدميكِ
- ستكون الجنة من نصيبكِ بأذن الله، انتِ تستحقين ذلك.
ابتسمت بحزن لأعلق: ربما انا آثمة، مليئة بالذنوب ولا
ا ستحق الدخول للجنة.
اكدت هي: وان كنتِ كذلك، فرحمة الله وا سعة،
تسعكِ وتسع الجميع.
انتهيت لأنهض واقبل رأ سها، قبلت وجنتها الرقيقة لأ
قل: احبكِ كثيراً.
لحسن الحظ ان جدتي ما زالت على قيد الحياة، والا
كان النور سيختفي من حياتنا ان مات جدتي وجدتي معاً. بـ
عد ان انتهينا من تحضير الفطور خرجت قاصدة المخبز لأ
حضر الخبز الساخن و
ال(قيمر عراقي) سيكون رائعا ان تناولته مع دبس التمر خ
رجت من المنزل لأراقب الطقس كان ا بارداً و
السماء تكاد تبكي لكنني كنت احتاج ان اتنفس،

ان يخترق هذا الهواء صدري بقوة يثلجه،
عند خروجي لمحت على بعد مئتي متر من البيت سيارته،
سرت بخطوات سريعة تجاهه حتى أصبحت اقف امام الس
يارة كان نائما داخلها هذا المجنون،
طرقت الزجاج عدة مرات حتى استيقظ ليفرك عيناه بنعا
س،
استوعب ما يدور من حوله ففتح الباب وترجل وقد بدى ال
تعب واضحا على ملامحه،
سألته وانا اتلفت حولي وبيدي الف المعطف بقوة على ص
دري لشدة ارتباكي: ما الذي تفعله هنا.
اجابني: علينا ان نتحدث.
قلت بحزم: لن نتحدث ارحل.
هممت بـ
المغادرة فأمسك بذراعي وهو يجز على اسنانه: سنتحدث
هيا اركبي والا لن ارحل.
تأففت وانا اسير للجهة الثانية لأجلس بجانبه،
قاد السيارة لنبتعد عن الشارع بأكمله،
بقيت أحدق في الشوارع الرمادية بتعب،
شعرت بيده الدافئة تمسك يدي كنت احتاج دفء يده لكن
علي ان اصمد اكثر، سحبت يدي منه لأضم ذراعي لصدري،
علق ساخراً: ههه لهذه الدرجة!
قام بتشغيل أغاني لفيروز هو يعلم انها المفضلة لدي،
ابتسمت بوهن حتى أوقف السيارة جانبا في احدى الطرق،
قال بتركيز: أتعلمين كم مر على فراقنا؟
التفت اليه: اووه اتعلم كم مرة قمت بخيانتي؟
رفع نبرة صوته: حسناً اعلم بأنني قذر جداً، لا استحقك
فتحت ذراعي لأ
علق: اذن! هذه حقيقة لكن هل تنوي ان تستمر بها.

- أترغبين ان اكذب عليكِ واعدكِ بشيء لن افعله؟
تأففت بنفاذ صبر: الى متى سأبقى اعاني؟
اعاني منك ومن عائلتي؟
جر يدي ليضعها على انفه وكأنه يمنع بيدي تنفسه،
ابعدها ليقل: هكذا انا في غيابكِ، لا يمكنني التنفس حتى،
لا استطيع اخباركِ انني سأصبح شخص افضل، لأ
نني سيئ جداً.
بقيت انظر اليه وقد تجمعت دموعي بلهفة تنتظر اذني لأ
طلق سراحها لكنني ما زلت اقاوم، أكمل وعيناه بدأت تلمع،
تظهر شيئاً لم اعهده من قبل، شيء يشبه الدموع المقيدة.
- ان كان هناك شيئا يربطني بهذه الحياة، فهو انتِ،
ان كانت قدمي ما تزال عالقة على هذه الأ
رض وفي هذا البلد فأنت هو السبب.
قبل راحة يدي بنعومة ليغمض عيناه،
اخذ نفساً عميقاً ليسترسل: انتِ امي، صديقتي،
عائلتي وحبيبتي، انتِ الوطن الذي أنتمي اليه.
تحررت دموعي بهدوء لأ
قترب منه واخذه بين احضاني التي ذبلت بدونه،
تنفست عطره، احتركت بشرتي ببشرته ليتعانقا بشوق.
ابتعدت قليلا ً لأنبهه: هذه هي المرة الأخيرة اتفهم؟
حرك رأسه بطاعة يرجوني بنظراته فعدت كأن شيئاً لم يكن،
وتأكدت مرة أخرى نظرية اننا من المستحيل ان نفترق او يـ
جف نهر حبنا.

الفصل الخامس عشر

عبدالله

٤ فبراير ٢٠١٦

على سطح منزلي الذي يعلو طابقاً واحداً فقط،
جلسنا على الأرض علي مفرش تتناثر الو سائد عليه،
كنت قد وضعت الفحم في المنقلة وا شعلته حتى اصبح
جمراً، وضعت ابريق الشاي أعلاه،
نسيم الهواء الذي كان يهب ولا
سيما في هذا الوقت في بغداد يكون مثلج،
كتفي كان يلتصق بكتفها يغطي كلانا غطاء صوفي،
انفا سنا كانت ساخنة برغم برودة الجو،
رؤية الجمر بلونه القرمزي والأسود كان رائعاً،
رفعت رأسها هي للسماء لتبتسم قائلة: هل هناك شيء اج
مل مما نحن فيه.
علقت ساخراً: بالطبع يوجد، ثم عا شقين الان يتناولان
العشاء امام برج ايفل.
اقتربت مني لتداعب انفي بأنفها: سطح منزلك أجمل من ب
رج ايفل.
امسك يدي وبدأت تداعب اصابعي لتسألني بجدية: هل هنا
ك امل؟ ان..
صمتت لبرهة لتغمض عيناها وتفتحها مرة أخرى قائلة بنبر
ة ترتجف: ان تترك ما انت عليه؟
ابتسمت وانا اشبك اصابعي بأصابعها: كيف اتغير ولم؟
وضعت رأسها على كتفي ق
الت وهي تنظر امامها: اترك المشروب كخطوة أولى.
علقت ساخراً وانا اضحك: واعود الى الله

لله اصلي واعود لصف الخرفان ههه ..
رفعت رأسها قليلا لتنظر الي فأكملت: و
انجب أطفال ليجدوا انفسهم في وطن يأكل ابناءه،
اجعلهم يفخرون بماض لم يروه،
يسمعون عنه فقط حتى يصبح لهم كأنه خرافة..
اخفضت صوتي قليلا لأ
ردف: ثم اموت واتركهم يعانون من بعدي.
مسحت وجهها بكفيها بهدوء التفت الي لتبتسم قائلة: لا، لا تفعل، سنبقى هكذا.
تجمعت الدموع في عيناها بينما اصبح انفها احمر تلقائياً ل
تستطرد: سأبقى اعاني انا بمفردي في ذاك الجحيم،
و سأبقى اكذب وتبقى لقاءتنا سرية.
ابتعدت لتنهض ق
الت وهي تشير بيدها: سأصبح عجوز وانا هكذا،
ورحمي لن يضم طفلا ً على الاطلاق.
تأففت وانا انهض من مكاني لأ
قف امامها قائلا: هل ترين الى اين قدتنا من خلال هذا الحديث؟ اكان افضل.
ابتسمت هي ببرود تحاول كبت غيضها لتعود وتجلس مكانها، تتربع في الجلسة وتفتح ذراعيها.
- لا تزعج نفسك انا اهلوس.
انحنيت لألتقط علبة السجائر من على الأرض،
اخذت واحدة بين شفتي لأشعل طرفها وابدأ بالتدخين،
نفث الدخان و شكلي غيمة منه اعلى رأسي لأ
نظر اليها وهي صامتة تحدق في الجمر امامها،
حاولت ان اطمئنها قائلا
ً: ربما ان هاجرنا يمكننا ان نكون عائلة في مكان اخر
ركزت عيناها علي لتعلق: الموت موجود في كل مكان،

قد تموت هناك بسبب حادث وقد تموت وانا نائم على و سا
دتك.
ابتسمت وانا ا شفط كم من الدخان لأ
ضحك قائلا: حسناً سأتصنع انني اقتنعت بفلسفتكِ هذه اذ
فقنا، لكن ماذا عن الحياة هل توجد هنا حياة من الأساس؟
نهض من مكانها لتقف وتشر بيداها على المحيط: هنا الحيا
ة، في مكان تنتمي اليه، مكان يشبهك.
اقتربت منها وانا اقهقه: جوى تعيشين هنا؟ بين هؤلاء
الناس وهذا المجتمع،
انتِ اكثر شخص في هذا العالم تعلمين كم كان المجتمع
ظالم معنا، يحكم علينا دون ان يعرفنا، يقذفنا ويلعننا.
انحنيت اليها لأ
قرب وجهي من وجهها: اباكِ نفسه لم يكن ليفرض سيطرته
عليكِ بهذه الطريقة ان كنا في مكان اخر
حاولت ان تقنعني بقولها: في كل مكان هناك الجيد و
السيء، لأنك تعيش هنا فأنت على اطلاع بـ
السيء اكثر تنسى ما هو موجود.
مددت يدي لأقرص وجنتها: محاولة جيدة للإ
قناع لكنها لم تنجح معي،
شعاراتكِ تشبه تلك التي يقولها الذين يهاجرون للخارج بعـ
دها يبكون بسبب اشتياقهم للوطن أي هراء هذا؟
ردت علي بنفس الأسلوب: حبيبي هذا ليس هراءً،
هناك معاناة يعيشها كل من يترك وطنه؟
ثنيت ذراعي لصدري لأسأل بإستهزاء: أي نوع من المعاناة؟
هل يعانون مثلنا؟ هل لديهم انقطاع في الكهرباء،
انفجارات؟ انعدام النظام والرعاية في جميع المجالات.
قالت بنبرة بدى عليها الجزع: الحياة ليست مثالية، لديهم الا
مهم، امراض ربما، حتى ربما يصابون بأمراض نفسية،

اووه مهلا بالمنا سبة.
وضعت يدها على خصرها كأنها تستعد لتسديد هدف الا
نتصار علي: اغلب الدول التي تتحدث عنها لديهم نسب انت
حار مرتفعة جدا، لديهم مستوى عال من الكآبة.
- هههههه ونحن في العراق لا
نصاب بإكتئاب بل نحن شعب سعيد!
-لا بل نحن شعب مؤمن، شعب قوي مر علينا الكثير والا
سوأ نتمسك بخيط ا سمه امل.
أي حب هذا الذي تكنه لهذا الوطن الذي لم يمنحها أي شيء
في المقابل، لم يسقها سوى الألم ورغم هذا تتمسك به،
اخبرتها ان الوطن هو المكان الذي نجد فيه راحتنا ليس بـ
الضرورة تلك الأرض التي ننتمي اليها،
لكنها على قناعة ان الوطن كالام
وان لم تمنحنا شيء فأن حبها يبقى موجود خـ
الد في القلب، لا يمكن لأحدهم ا ستبدال امه ولا
يمكنه ان يتخذ اماً جديدة وان احسنت تلك معاملته، الام
هي الأصل، والأرض هي الام منها ينبت الصالحين و
الفا سدين، وكلا الا
ثنين جذورهما مزروعة داخلها مع مرور الوقت تتشعب اكثـ
ـر من يملك ارضاً لا يملك لأي هبة ريح اقتلاعه وهزه.
في النهاية هي لا
تعلم انني وحتى بعد ا ستماعي لهذا المبدأ وان كانت الام
تربة، فهناك تربة فا سدة تقتل كل ما يزرع بها.

روح

الحاضر

كنا في الطريق اجلس في المقعد الخلفي في السيارة،
امامي يجلس محمد والى جانبه صديقه، كنت احدث في ا
لأشجار المنتصبة على جانبي الطريق بشكل ملفت ومرتب
، لونها الأخضر يبعث شيئاً غريباً في النفس،
السماء الزرقاء كانت تعانق الشارع الطويل،
ترسمان لوحة رائعة، لوحات زرقاء عليها كتابة لا
يمكنني فهمها تقف على جانب الطرق، لا
اعلم منذ متى أصبحت عيناي تتمتعان بهذا الحس الفني ا
لنظر للاشياء ولم اجد نفسي منجذبة للمحيط هذا؟ لم الأ
لوان باتت واضحة اكثر وكأنها تحرك شيئاً بداخلي.

التفت محمد الي وهو يبتسم ابتسامة عذبة ليشيل لي تجا
ه النافذة،
أخرج رأسه من النافذة فأخرجت رأسي من نافذتي أيضا لأ
راه قائلا: الا يمكنك الشعور بهذا الهواء؟
سمعه صديقه ليسأله بـ
التركية فأدخل رأسه للداخل ليجبه وهو يضحك بينما انا ابق
يت رأسي في الخارج،
اشعر بإندفاع الهواء تجاه وجهي! نعم انا اشعر بالهواء؟
اتسعت عيناي وانا أرى شعري يتحرك واستشعر برودة نس
بية في هذا النسيم، أدخلت فوراً رأسي للداخل لأ
قل له: لقد شعرت بالهواء، لقد حرك شعري!
التفت لينظر الي بصدمة ويطلب من صديقه بسرعة إيقاف
السيارة،
توقفنا جانباً فترجل بسرعة وترجلت انا ليبقى هو يحدق بـ
ي مذهول، سألني ومازالت عيناه ترمقانني بالكثير من الأ
سئلة: كيف حدث هذا؟
رفعت كتفي بحيرة: لا اعلم.
سار قليلي وهو يقل لي: تعالي هنا لنجرب شيئاً.
سرت خلفه للجانب كانت ارض يستلقي العشب الأ
خضر عليها على مد البصر،
توقفت في المنتصف امامه ليرفع يداه بحيث اصبح كأنه ي
رغب بالتحليق، قال لي: قلديني.
فعلت كما طلب مني ومددت ذراعي في الهواء، شعر بـ
الرياح وكأنها تحرك جسدي قليلاً، تخترق فستاني من الأ
سفل، تلامس فخذاي،
فتحت عيني بدهشة ناظرة اليه فاتسعت ابتسامته ليسألن
ي وهو يحاول تأكيد شكه: شعرتي به؟
اجبته والدهشة مرسومة على وجهي: اجل.

صفق بيديه ليقل بمرح: رائع.
سألته وانا انزل يداي لوضعهما: ما الرائع؟
اجابني: هذا يفي انكِ ميتة، الأموات لا يشعرون.
- ماذا عن الأرواح؟
حك ذقنه وهو يفكر لوهلة ثم رفع رأسه وهو يجيب: سنكت
شف هذا ان وصلنا للمشفى وتأكدنا.
انحنى للعشب ليقل لي: ما رأيك ان تجربي لمسه؟
انحنيت وانا امد يدي بحذر، شعرت بملمسه،
حاولت فركه بأصابعي لأتآكد مما اشعر به، اغمضت عيني
لأتذكر ملمس عشب حديقة جدي، فتحتها لأ
رفع رأسي له قائلة: أتذكر هذا الملمس.
اتسعت ابتسامته ليشير الي بحماس اكثر: هيا انهضي،
سنفعل شيئاً اخر
لم يقدني فضولي خلفه بل انقدت فوراً لإ
كتشاف ما يود فعله. سرنا حتى وصلنا لأول شجرة قابلناها،
استند عليها بظهره ليشير بإبهامه وهي خلفه: جربي لمسها
.
قربت راحة يدي لجذعها العريض، شعرت بنبضها،
اغمضت عيني وكأنني اشعر بها تخاطبني، لا
مست شقوقها، خشونتها،
امتدت يدي تسلك طريقاً على معالمها،
فتحت عيني وانا انظر بهدوء للشجرة الواقفة بقوة ترى يد
ي تقبل جذعها.
مددت يدي تجاهها لأكمل رحلتي في اكتشافها، مد هو يده ي
لامسها وعلى شفتيه ابتسامة لم أرى مثلها من قبل.
انزلت يدي فراقبته وهو يقطف غصنا صغيرا منها ناولني إي
اه قائلا: احتفظي به، ولا
مسيه كلما شعرتِ انكِ لستِ موجودة.

اخذته منه الغصن وراحت اصابعي تلا
مسه بشكل طولي وكأنه مزمار بين يداي. فكرت قليلا
وانا انظر للغصن هذا، رفعت رأسي له لأ
خبره قائلة: ادفن هذا الغصن معي ان لم يكن لي وجود.
بقي ينظر الي وقد تلاشت ابتسامته، تنهد ليقل محاولا
تغيير الموضوع: وقد تزرعينه في حديقتك
بقينا لثواني ننظر لبعضنا، حتى قال مشيراً للسيارة: لنعد،
اعتقد ان صديقي قد تأكد من انني مجنون.
سرنا عائدين للسيارة ليقل لي قبل ركوبه خشية ان ينتبه
صديقه انه يتحدث مع نفسه: اكملي لي حكايتك ونحن في
الطريق سأصغي فقط واسجل الملاحظات اتفقنا؟
اومأت رأسي بإيجاب لنركب السيارة ونكمل الرحلة وانا اعو
د لإكمال سرد قصتي له.

الفصل السادس عشر

جوى

١٦ مايو ٢٠١٦

التقينا نحن الأربعة في مول المنصور،
ككل فترة نذهب للغداء انا وعبدالله، يا سمين وعلي،

كان روتيناً نفعله كل شهر ربما،
بعدها ندخل للسينما لنشاهد احد الأفلام،
جلسنا في مطعمنا المعتاد لنتغدى،
نحن الرباعي نشكل مجموعة رائعة، مليئين بالصخب و الجنون، تارة نتفق انا ويا سمين على رجلينا،
وتارة يتفق كل ثنائي ضد بعض، ترتفع ضحكاتنا،
ونصرخ احياناً ان كنا نتناقش في موضوع مهم،
انتهينا من تناول الغداء،
طلبت كعادتي طبقي المفضل وهو الدجاج بالكاري، لا امل من اكله مهما اكلت منه،
في كل مرة اتي لهذا المطعم اعقد النية بأنني سأطلب شيئاً مختلفاً هذه المرة، لكن سرعان ما اعود لطعامي المعتاد،
انتهينا من وجباتنا، ليقترح علي ان نطلب الحلويات فوراً،
كانت معدتنا ممتلئة لكنه اصر اصراراً غريبا،
اتى ما طلبناه ولكن ما لم يكن ك
المعتاد هو ما كتب على صحن يا سمين بالشوكولا (تتزوجيني)،
بقيت تحدث بصدمة لصحنها تنقل نظراتها المصدومة بين الصحن وبين علي،
اتسعت ابتسامته فأقتربنا لنرى ما كتب عليه،
صرخت انا بفرح: اووووه، ما هذه الرومانسية.
قهقه علي وهو ينظر لها بحب: هييي يا (بنية)،
هل توافقين على الزواج بي.
افاقت والدموع تجري من عيناها بنعومة، دموع رقيقة،
وضعت يدها على ثغرها وهي تؤكد: بالطبع انا موافقة.
نهض من على كرسيه ليقترب منها، انحنى ليقبل رأسها،
بينما انطلق عبد الله
يضحك ويضرب ظهره قائلا: ستدخل السجن برجليك.

التفت علي اليه ليحتضنه و
الفرح يتراقص داخل عينيه: هذا امر حتمي.
بادرت انا بتقبيلها واحتضانها لأبارك لها، طلبا من عبد الله
ان يصورهما معا لا
سينما ان الكاميرا كانت في حوزته ذاك اليوم،
لم تكن مصادفة بل طلب منه علي احضارها بحجة أخرى ل
كنه قد تبين لما طلبها منه الان.
بدأ بتصوريهما بينما انا استأذنت ذاهبة للحمام،
سرت وانا ابلع غصتي،
كأن الطريق المؤدي للحمام كان أطول مما يجب،
دخلته كان مزدحماً تتجمع النساء امام المرايا،
قمت بحبس نفسي داخل احد غرف المرحاض،
أغلقت غطائه وجلست عليه لانفجر باكية، ما بينهما رائع،
ما بينهما سيدمر، كأنني عقيم اشتهي طفلا لن الده مطلقاً،
هكذا بدى احساسي، بكيت لأنني لن أعيش لحظة كهذه،
لن ارزق بفرحة كتلك التي دخلت قلبها، سأبقى معلقة،
لن ترسو سفينتنا يوماً،
لن نصل للميناء الذي من المفترض ان يحاول كل عاشقين
الوصول اليه، لن يزين يدي خاتم حفر عليه اسمه،
ولن ارتدي فستان ابيض مطلقا، بكيت بصمت،
أحاول إخفاء شهقاتي،
حاولت تنظيم انفاسي وانا امسح بيدي وجهي رأيت يدي ق
د تلطخت بالمكياج الذي كنت اضعه، كل شيء قد أفسد الا
ن، شعرت لوهلة انني حقيرة، وكأنني احسدها،
كأنني انانية بدلا ً من ان احتفل الان
وان اشاركها هذه اللحظات التاريخية ابي في الحمام بمفرد
ي، كم انتِ سيئة يا جوى، كم انتِ انانية، عار عليكِ ذلك.
نهضت من لأخرج واغسل وجهي بـ

الماء وانا اشعر نظرات تلك الفتيات اللا
تي يقفن بجانبي امام المغسلة،
ذاك الفضول الي رُسم على وجههن، رفعت رأسي لأ
نظر للمرآة، كنت بشعة للغاية، وقد تلون وجهي بلوني الأ
سود والزهري،
تباً لي كان علي مسحه بمناديل إزالة المكياج،
رأيت يد تمد لي كيس لهذه المناديل، رفعت رأسي لأ
جد الفتاة التي كانت تقف بجانبي تمده وتبتسم بحزن لي،
اخذته منها وانا ابتسم، لأمسح وجهي وانظفه جيداً،
اختفى منه أي اثر للتبرج،
لكن بقي انفي احمر وعيناي اللتان انتفختا يحاولان
ان يشيا بما فعلت.
خرجت من الحمام لأعود لهم،
عقدت يا سمين حاجبيها بقلق وهي تنظر الي من بعيد،
بينما انا سارع برسم ابتسامة مزيفة كعادتي لأ
قترب منهم قائلة: اسفة على تأخري.
جلست وانا اكمل بتذمر واكمل كذبتي: هذه (الما سكرا)
سيئة للغاية، التهبت عيني بسببها، اضطررت لإز
الة المكياج بالكامل.
ابتسمت لأتركهم يواصلون حديثهم، بينما شعرت بعبد الله
وهو يراقبني، وكأنه يعلم انني كاذبة ماهرة،
حاولت تجنب النظر اليه لأ
نني اقسم ان فعلت فسأنفجر باكية مرة أخرى. خرجنا معاً
واتجهنا لكراج السيارات حيث قام عبد الله
بركن سيارته هناك،
سرت امامه بخطوات سريعة أحاول قدر الإمكان الإفلات
من أي سؤال قد يطرحه، ركبت بجانبه وانا صامتة،
قام بتشغيل السيارة ليقودها وهو يفعل المثل،

شعرت بيده تلامس يدي، ادخل أصابعه بين اصابعي بينما
كلانا يتجنب النظر للآخر، هو يراقب طريقه،
وانا اتيه بين الزحام، مد يده ليمسح بظهرها على وجنتي،
ابتسمت بحزن، اعلم ان ليس بيده شيء،
وانا لست قادرة على إقناعه بشيء، بأن الحياة تستحق،
بأن يعيش هنا، بأن يخلق اسرة، انا عاجزة مثله.
بكل ما اوتيت من قوة رافقت يا سمين خلال
فترة تحضيرها للخطوبة،
كنت اساعدها في اختيار فستان مناسب، تزيين الحفل،
الصالون الذي ستذهب اليه،
ساعدتها ورافقتها في كل شيء،
سأكون كاذبة ان قلت انني لم أتمنى ان أعيش تلك التفاصيل، بل راحت الأفكار والاحلام
تأخذني لمنطقة محرم علي الخوض بها،
تخيلت كيف سيبدو هو في حفل خطبتنا،
ما لون وشكل الفستان الذي سأختاره، ما الاغنية التي سنرقص عليها رقصتنا الاولى، كيف ستهاجر الأكاذيب وتترك حياتي ولساني، بنيت أوهام على الرمال.
أقيمت حفل الخطبة في منزل جدتها لأنه كبير جدا ويتسع للكثير ذهبت برفقة اختي نجمة وجدتي فقط، كنت أشارك يا سمين لحظاتها الأخيرة قبل ظهورها امام علي، كانت رائعة، تتوهج من الفرح، العشق كان يجمل وجهها، و
الحسرة اقامت عزاءً على وجهي،
لكنني تجاهلتها وتجاهلت ذاك النواح بداخلي، لأساعد رفيقة عمري، خرجت برفقتها ورفقة أمها،
فهي لم يكن لديها اخوة او اخوات،
لذلك وجودي كان مهم لي ولها،

ركلت أي طاقة سلبية حاولت الوقوف في طريق فرحتي بـ
خطبة صديقتي، وبدأت بالا
حتفال كأنني لم احتفل من قبل. بدأت ازغرد مع أمها واصف
ق بحفاوة، اقترب هو منها ليقبل رأسها ويديها،
هربت انظاري منهما لتجري وتلتقي بين أحضان نظراته،
كان يقف مع أصدقاء علي،
يرتدي بدلة سوداء بدت رائعة عليه،
كنت اصفق واتمايل قليلا مع وقع انغام الأ
غاني وعيناي تراقصاه هو،
حاولت ام يا سمين أن تجر يدي وتدعوني للرقص لكنني فو
را رأيت علامات الرفض على وجهه فأعتذرت منها بخجل،
بدئا بالرقص على اغنية (ع بالي حبيبي)، تبا لا
اريد سماع هذه الاغنية اللعينة الان،
كل كلمة بها كانت تنسج حسرة بداخلي،
على الرغم من حبي لإليسا ولصوتها الرائع،
تملصت من بين الحضور لأ
ختفي بينهم وادخل لغرفة يا سمين، أغلقت الباب خلفي لأ
سير تجاه زجاجة المياه البلا
ستيكية الصغيرة التي كانت تستقر على الطاولة البيضاء و
سط علب المكياج المنتشرة هنا وهناك،
شربت منه دفعة واحدة أحاول ان اهدئ نفسي،
فتحت الباب فالتفت لأراه قد تبعني! صدمت لأ
قل وانا اضع يدي على فمي: ما الذي تفعله هنا.
اغلق الباب بقدمه ثم التفت اليها ليقفلها بالمفتاح،
عاد ليواجهني وكل خطوة تقل المسافة بيننا اشعر بـ
التوتر اكثر، كأنه على وشك اكتشاف امري،
ابتسم قائلا: من الجيد ان صغيرتي لم ترقص.
ابتسمت لا ُعلق: اعلم ان رقصت سأواجه متاعب كثيرة.

توقف امامي مباشرتاً مد يده تجاه وجهي بسبابته لا
مس استدارة فكي ليترفع به للأعلى ليرسم شفتاي،
انفي واسفل عيني، قال وهو مستغرق برسم ملامحي: حلا
وتكِ تقتلني.
ابتسمت بهدوء واطرافي ترتعش وقلبي يضطرب بسببه و
قع كلماته، اقترب مني اكثر فبدأت اتوتر اكثر،
حتى قهقه بهدوء عندما لا
مس انفه انفي ليقل: لم انتِ مضطربة لهذه الدرجة.
حاولت تدارك نفسي لأتأتئ: أأ.. لا ..
اقترب اكثر حتى اصبح انفه على وجنتي،
فتحت شفتاي واغمضت عيناي أحاول ان اغرق معه في ق
بلة لكنه سار بأنفه وانفاسه تمشط وجنتي لوصوله لأ
ذني ،، تباً اعتقدت انه سيقبلني، اشتهيت تقبيل شفتيه،
عتابه من خلال قبلة،
كانت انفاسه الساخنة تستقر عند صيوان اذني لتقف خلا
يا جسدي، واكتم انفاسي قليلا
ِ، أنفاسه قادرة على بعثرتي فكيف بشفتيه ولسانه!
همس باذني: لنرقص.
عقدت حاجبي باستنكار ابتعد قليلا،
اخرج من جيب سترته هاتفه ليعبث به وانا مصدومة،
صدر من هاتفه ذات الاغنية،
وضع الهاتف جانباً على الطاولة ليمد لي يده،
بينما انا انظر له بدهشة،
لم يتركني اجلس برفقة دهشتي ولو لثواني بل اقترب ليفر
ض نفسه واضعاً يديه على خصري،
رفعت يداي لتحيطان بعنقه، التصقت بطني ببطنه،
جسدي كان يتمايل بنعومة مع جسده،
عينانا كانتا تراقص بعضهما، نسيت كل شيء،

نسيت اين انا، ونسيت الناس، والمجرة بأكملها، لأ
بقي معه.

الفصل السابع عشر

روح

١٢ يوليو ٢٠١٥

لم يكن هناك احداً يستطيع تفسير ما يحدث لي،
لم يتمكنوا من فهم انني بعد رحيل جدي فارقت روحي ه
ذه الحياة، بقيت بلا أصدقاء ولا حبيب، لا
احدا كنت اقضي ايامي وانا مستلقية في فراشي لا
اريد مواجهة العالم الخارجي، كأنني مجرد رجل الي اتحرك
لأنني يجب ان افعل ذلك، الا انني لا استطيع الضحك،
قلت شهيتي بشكل كبير وبدأ الصداع منذ ذلك الحين يبن
ي
منزله داخل رأسي. جدتي امل أغلقت المنزل وقرروا بيعه،
لا يمكنني استيعاب انني لن استطيع الذهاب له،
لن أتمكن من سقي الحديقة،
تم بيع كل قطعه لمسها وعاش معها جدي. كرهت حتى ام
ي في هذه الآونة الأخيرة لم تأبه لتوسلا
تي بأني تبقي ذاك المنزل، الا

اماكن ليست مجرد مساحة من الفراغ نسكنها،
بل هي حكايات نعيش داخلها، نبني اوطانً عليها،
نلتقي بأشخاص ونودع اخرين فيها،
وتبقى ذكرياتنا معهم معلقة على جدرانها.
بدأت انازع الالام اخفيها واحاول ان اتجاهلها،
كألم عظامي لي و تلك الأصوات التي تصدرها عند تحركي،
لم اكن عادية ولم يكن احد يستطيع فهمي او ربما هم لم يـ
ـحاولوا حتي، من كان متفرغاً لي من الأساس؟
هل فكر احدهم بي؟ سأل عن حالي ولم تغيرت؟
كم تمنيت ان احلم بجدي طوال تلك الفترة،
كم دعوت ان يزورني في الحلم، ولو للحظات، لكن احلا
مي كانت تخلو من طيفه، وكأنه يعاقبني،
وكأن روحه استكثرت علي حلم اروي به شوقي لصديقي ال
وحيد وعالمي.
عندما لا
حظت امي بعد فترة نوبات الهلع التي كانت تصيبني،
عندما تحدث مشكلة في المنزل ليبدآ ابي بـ
الصراخ كنت قد بدأت اتعب مع كل مشكلة تحدث امامي،
تلك القوى التي كانت تجعلني ادافع عني اختي او اقف وا
كون وسط تلك النزاعات قد خارت،
وتبدلت مكانها ازمة جديدة وهي انني بت اضع يدي على ا
ذناي واصرخ،
افرض صوتي على ما يدور من حولي لعلي اجعلهم يتوقفـ
ـون.
اخذتني امي وجدتي في احدى المرات لشيخ،
قيل عنه انه رجل صالح لا توجد عقدة الا وقد قام بحلها،
كنت كما شية تقدني امي خلفها دون مقاومة مني، ذهبنا لأ
حد المنازل في احد المناطق،

توقفنا امام احد المنازل الفخمة،
علق على المنزل من الخارج الكثير من الرايات الملونة،
دخلنا للداخل حيث سلكنا طريق جانبي يقابل الحديقة الا
مامية لندخل للمدخل الرئيسي،
دخلنا للداخل حيث كانت غرفة للضيوف،
سجاد احمر مفروش في الممرات والغرفة بأكملها،
قلدت امي وجدت وهما يخلعان احذيتهما قبل الدخول لت
ضعاها جانباً. لم يكن هناك ارائك بل جلسة أرضية و سائد ت
قف امام الحائط الذي طلي باللون الأخضر الباهت،
لم يكن هناك شيئاً يتطابق مع أي شيء،
نساء كثيرات يتردين العباءات السوداء،
ينظرن في وجوه الدخيلات،
ليعدن ويراقبن من يجلسن امامهن،
تخمن كل واحدة منهن القصة التي اجبرتها لتأتي لهذا الم
كان، رائحة بخور تدور في المكان، كنت تائهة، في دوامة، لا
اعرف احداً وصدري يضيق مع مرور كل ثانية.
ايقظتني امي من شرودي وهي تهزني من كتفي لتنهض بر
فقة جدتي فنهضت و سرت معهما داخلين احدى الغرف،
دخلنا وقت اشرعت الباب لنا سيدة في سن امي ترتدي ح
جاب اسود وعباءة سوداء، أغلقت الباب من خلفنا،
نظرت للمكان كان شبه مظلم،
نور الشمس يطل بخجل من طرف الستارة التي أغلقت بـ
شكل سريع فبقيت تلك المساحة،
بخور اكثر تصنع غيوم تملأ سماء الغرفة،
ورجل يتوسط اريكة تقع في المنتصف،
كان رجل ربما عقده الخامس، يرتدي جلباب فقط،
امامه طاولة وضع وسطها بخور،
وبجانبه كان هناك حرمل يضيفه وهو يحينا.

جلست انا بين جدتي وامي لأ
سمع امي تشكو له وتحدثه عن حالي: لا
اعلم ما الذي أصاب ابنتي، كانت جيدة جدا، فجأة تغير ح
الها ولم تعد تتحدث كثيرا، وقلت شهيتها،
حتى انها تدخل بين فترة وأخرى في حالات
من البكاء الهستيري.
ابتسم الي ليسأل امي عن اسمها واسمي،
اخبرته امي فصب في كوب ماءً ليبدأ بـ
الهمس له وهو يقرب تجاه فمه، كانت جدتي تردد بعض الآ
يات وتسبح، انتهى فمده الي قائلا: اشربي منه قليلا
ثم ناوليني إياه.
نظرت بحذر لكوب الماء ثم نقلت نظراتي بين جدتي وامي ا
لتي تدعوني لفعلها، شربت قليلا واعدته اليه،
ليضيف مجددا بعض الحرمل، ويغمض عيناه،
فتحها وكأن هناك روحاً تملكته من خلال
اخذه لنفساً عميقاً فقال لأمي بأسف: ابنتكِ مسحورة.
شهقت امي بينما لطمت جدتي خدها،
نظرت له بدهشة! انا مسحورة! اكمل بأسف: هناك الكثير م
ن يحسدونها ولا يريدون لها الخير
ضربت امي بحسرة كفها براحة كفها الأ
خرى: كنت اشعر بذلك، جميعنا محط انظار للحاقدين،
حسبي الله ونعم الوكيل بمن فعل هذا لأبنتي.
أشار لمساعدته بأن تجلب قنينة ماء ناولها لأ
مي ليقل لها: لتشرب منه عند الغروب يومياً، وهذا ..
اخرج من كيس قماش من الحرير الا
خضر يجلس بجانبه على الا
ريكة كيس قماش صغير جدا به عقدة من الأ
على لونه ابيض، مده لأ

أمي ليكمل: وهذا حرمل ضعيه المغرب كل يوم وعندما يـ
صبح رماداً ارميه في الحمام.
اخذته منه امي الكيس وفي الخارج دفعت له مبلغاً وقدره
وقد ساعدتها جدتي في تسديده خوفاً من ابي،
وهكذا داومت امي على اشرابي الماء العادي جدا وحرق الـ
حرمل كل يوم.

عبدالله

٢٢ مايو ٢٠١٦

شيء ناعم لامس شفتي، رائحة اعتاد جسدي ان يشتهيها،
ايقنت انها هي،
فرفعت يدي لشعرها من الخلف دافعاً رأسها تجاهي، لأ

أتعمق بتقبيلها، لأمص رحيق تلك الزهرة،
فتحت عيني بينما هي ابتعدت قليلا،
ابتسمت وانا أرى عيناها امامي تتوهجان،
ابتعدت اكثر قائلة: صباح الخير
رفعت جسدي قليلا ً: نظرت جانباً للستائر التي فتحت،
واشعة الشمس التي انطلقت تنتشر في المنزل،
صوت فيروز الذي ينبعث من مشغل الأغاني،
المنزل كان مرتب جدا، لم يعد هناك اثر لزجاجتي الفارغة و
لا أي صحون سكنتها بقايا الطعام،
التفت لجوى التي رفعت شعره كله اللا
على وكورته لتتساقط بعض شعراتها البنية المموجة على
وجهها.
نهضت من على السرير بحماس لتقل: هي استحم سأحضر
لك الفطور
انتصبت واقفاً بجانب سريري المبعثر لأبدأ بـ
السير تجاه خزانة ثيابي،
سمعتها تقول لي وهي في المطبخ: لقد جهزت لك ثيابك.
التفت لأرى ثيابي قد حضرت ووضعت لي جانباً، ابتسمت لأ
علق الخزانة اهم بالدخول للحمام،
توقفت عند الباب اراقبها تعمل كنحلة،
تحاول بذل قصار جهدها لإسعادي، هي تفعل أشياء حتى
لا تقوم بها في منزلها، دخلت للحمام لأ
خلع عني ثيابي الربطة، دخلت اسفل الدوش لأ
تلقى المياه منه، انتهيت لأرتدي ثيابي،
لوهلة شعرت انني اسرع في كل شيء أقوم به فقط لأ
خرج اليها،
في كل صباح ابقى لفترة طويلة غارقا اسفل هذه المياه.
خرجت من الحمام لتنطلق عيني بالبحث عنها،

لم تكن في المطبخ،
بل شاهدت باب المنزل التي تؤدي للحديقة الخارجية مفتو
حة، من خلال
النافذة المشرعة رأيتها في الخارج تحضر طاولة،
سرت للخارج وانا ابتسم حتى وصلت للباب لأقف واحدق
بالطاولة التي اعتلاها أنواع كثيرة من الطعام، بيض،
(قيمر عراقي)، (كاهي)، مجموعة من الا
جبان و شاي خمرته هي حيث جرت رائحة الهيل لتمسك بيا
قتي وتسحبني تجاهها.
سألتها وانا أرى منهمكة: كم الساعة الان؟
اجابتني دون ان تلتفت: اعتقد انها التا سعة.
استغربت من حضورها في هذا الوقت فبحت فوراً بدهشت
ي: وما سر هذا النشاط؟
التفت لتسير مقتربة مني،
رفعت ذراعيها لتحيط برقبتي: لم نتناول الفطور يوماً معا،
رغبت بذلك.
جلست امامها حول الطاولة الدائرية التي سترت خشبها و
ساقيها بمفرش ابيض،
اغمضت هي عيناها بانسجام بسمة تزين شفتاها ق
الت براحة: هل توجد سعادة اكبر من هذه؟
ابتسمت لبساطتها، لمحدودية تفكيرها ب
السعادة. أكملت هي مضيفة: الجو رائع، صوت فيروز،
فطور رائع، والاهم انت معي.
قلت وانا ابتسم بعد ان شربت من الشاي قليلا
ً: بلى هناك شيء اكثر من هذا السعادة.
أسندت
مرفقيها على الطاولة لتقل: لا تحدثني عن سعادة الا
خرين في دول ثانية، انا راضية بحالي في بلدي.

انهت جملتها ورفعت (استكان) الشاي لتشرب منه وعيناها تغادران بعيداً عنه لتتجول في الحديقة.
- تتزوجيني؟

الفصل الثامن عشر

روح

الحاضر

هناك صوت في المكان لغة تدور وحديث يساق وانا لا يمكنني فهمه، أصوات سيارات ربما،
رنين لهاتف استمر طويلا ً او ربما رنين جهاز،
أعجز عن تمييز هذه النغمة،
رائحة تشبه رائحة الكحول المعقة،
خدر رهيب يسكن اطرافي، كل ما اشعر به هو انني لا اقوى على فتح عيناي، نبرة صوت عقلي استطاع تمييزها، مألوفة لكن عاجزة عن التفكير انها تخص من؟
اشعر بأنني مستلقية، لا اعلم على ماذا،
اين انا وما الذي حدث لمحمد، قامت ثقل جفناي،
قوتي لم تكن كافية لأفتح عيني،
بل كانت رؤيتي غير واضحة،
رموش عيناي بسوادها كانت تظلل على المكان،
رأيت امامي يد تحمل شيئا،

انطبقت اجفاني على بعضهما بقوة،
حاولت ان انطق بأي حرف،
ان أحرك ساكناً لكن لساني بدى أثقل مما يجب،
رفعت حاجباي أحاول فتح عيناي مجددا،
رؤية تهتز مشوشة، لشيء يشبه كيس المغذي،
انفلتت جفناي لتعانقا بعضهما،
ليختفي احساسي بأي شيء بعدها.

جوى

٢٢ مايو ٢٠١٦

كنت اشرب الشاي بهدوء احدق في الأشجار،
سمعته يقول فجأة: تتزوجيني.
توقف الشاي في مكانه لم يسلكه طريقه للمعدة،
بدأت اسعل بقوة،
اشعر انني بدأت اختنق به لكنني لم اكن أبه اليه،
لينتهي هذا السعال المزعج لأستوعب ما قيل لي،
نهض هو فوراً من مكانه ليناولني كوب ماء، اخذته منه و
السعال مستمر، عيناي جحضتا،
سكبت كل ما بداخل الماء بداخلي لأ
تخلص من هذا السعال،
هدأ صدري وعادت عيني لمحجرهما،
وضعت الكأس على الطاولة لأرفع رأسي بصدمة له،
يدي كانت ترتعش، كان يبتسم ابتسامة جديدة، غريبة،

انحنى ليحيط وجهي بكفيه ويسألني: انتِ بخير؟
رمشت مرات عدة لأنظر اليه واسأله: ما الذي قلته؟
جلس امامي كالقرفصاء واضعا يده بيدي يدي على جحري،
قال بعد ثوان من التفكير: لا اعلم لم قلت هذا فجأة لم افكر ، لم اكن افكر بهذا القرار على البتة، الزواج مخيف، فكرة بناء شيء هنا مخيفة اكثر، ما دمنا عالقين هنا، فلا ارغب بأن ..
صمت لوهلة ليأخذ نفساً عميقا ويكمل: لا ارغب ان انام بعيداً عنك، لا ارغب بأن افتح عيني صباحاً وانتِ لستِ بجانبي.
بدأت الدموع تتجمع في عيني،
رؤيتي له كانت تبدو غير واضحة بسبب كثرة دموعي،
تساقطت واحدة تلو الأخرى، مسحتها فوراً وانا انظر اليه،
كانت يداه ترتعش باردة بين يدي،
فركنا أيدينا ببعضهما. بعد صمت وارتباك من كلينا قال محركاً رأسه: اخبرتني اننا نملك نجوماً في حياتنا، تمثل الأشياء الجميلة، انا لا املك مصدر للسعادة سواك، سمائي معتمة، انتِ من تملئين فضائي، لذا انتِ لستِ مجرد نجمة في سمائي، انتِ مجرتي.
احتضنته وانا اغمره، ضيقت ذراعي حوله،
سقطت بثقل جسدي عليه، لأصبحه فوقه،
انطلق يضحك بينما انا ابكي فوقه، لا يمكنني ان اصدق ما قاله،
لم أكن اتخيل حتى ان يفعل هذا! رفع يده وهو جاثم على الأرض اسفلي ليمسح دموعي بإبهامه ويسألني: هل ستتزوجيننني؟
انحيت لأقبله كإجابة مني،

لم تكن مرادفات النعم تكفي لهذا السؤال.
لأول مرة بعد سنوات طويلة تهطل الامطار على ارضي، لأ
ول مرة ارغب في شيء بشدة ويحقق لي! لأ
ول مرة تتلقى السماء احدى رغباتي،
شعرت ان القدر بات يراقبني من بعيد يبتسم الي،
رفعت نفسي قليلا ً لأ
خبره بما ا شعر به: سنعيش حياة سعيدة،
سيتحول هذا البيت لجنة،
سنحاول معاً ان نبني الفردوس الخاصة بنا.
ابتسم وهو يعبث بخصلات شعري: سنفعل.
تذكرت شيئاً مهما نسيته بسبب فرحتي سألته: على أي دي
ن ستتزوجني؟
ضحك ليجيبني: أي دين تعتنقينه لا يهمني،
حتى ان كنتِ تعبدين البوذا هههه.
- هههههه ، حقاً هل سنتحسن؟ ستكفر ان..
فهم هو ما رغبت بقوله، فهم انني حقاً اريده ان يتغير،
ان تصافح يده يد والدي ليقرأ كلمات الله معه،
سأحاول ان اجعله يغير نظرته لله، لأ
نه هو من نصرنا على كل شيء كيف يعقل ان ننسه!
حرك رأسه وهو يبتسم: سأحاول.
المحاولة حينها كانت تكفيني، فهي جزء من العلاج.

روح

الحاضر

هذه المرة لم تكن عيني ثقيلة، بل خفيفة،
اتضحت رؤيتي للشيء الأخضر الذي امامي،
أدركت انه عشب ممتد على الطريق، لا
حظت انني في السيارة التي كانت تهم بقلنا الى المشفى،
رأيت محمد في الخارج يتحدث عبر هاتفه بينما يغفو صدي
قه في مقعده، فتحت باب السيارة لأ
ترجل منها فاندفع الهواء يضرب جسدي،
أغلقت باب السيارة ف
التفت محمد لينهي المكالمة وهو ينظر الي بدهشة،
اقترب قائلا ً بعتاب: ظننت انكِ لن تختفي مجدداً.
قلت بينما حاجبي معقودان بحيرة: لا اعلم، رأيت في الا
مس شيئاً غريبا.
أشار برأسه تجاه امامه: لنجلس على العشب هناك لحين ا
ستيقاظ جورج.
لم امانع بل سرت بجانبه وعقلي مشغول بما رأيته في الا
مس،
جلسنا لنراقب الشمس وهي تشرق بهدوء لتطلي السماء
لنورها، قلت وانا انظر تجاه الشمس: كأنني أستطيع الإ
حساس بأشعتها وهي تداعب عيني.
سألني بدهشة: حقاً، ركزي أكثر عليها، هل ضوئها يؤلمكِ؟
ركزت أكثر لكنه لم يكن مؤلما، بل اشعة لطفة، حركت الإ
حساس قليلا بداخلي،
مد يده امام عيني ليحجبها ثم يحركها قليلا
لتظهر امامي الشمس مجدداً،
التفت اليه كان يبتسم بهدوء فسألني وهو يتربع: هيا أخبرِ
ني ما الذي رأيته؟
حركت يدي مشيرة: سمعت أصوات، كلام غير مفهوم،

فركت يدي ببعضهما لأ
كمل: كان هناك شيء يشبه المشفى.
رفع حاجباه في الأعلى واتسعت حدقتا عينه،
انفرج ثغره في صدمه، ثم تحولت صدمته لا
بتسامة: هذا يعني؟
قلت بشك: انني لم أمت!
هتف بفرح: بالطبع، قد تكونين حقاً في غيبوبة.
صمتنا لبرهة من الوقت، اراقب انا الطبيعة، الهواء،
نور الشمس وملمس العشب. وكأن هناك فكرة ضربت رأ
سه نطق بها فوراً: لنجرب شيئاً.
نظرت له بفضول لكنه رفع كفه في الهواء امامي، ق
ال لي: مد يدكِ تجاه يدي.
استغربت لا يمكنني لمسه، لم يريد ان يجرب! لكن ملا
محه كانت تشجعني تدفعني لأن أجرب،
رفعت يدي بحذر تجاه يده، قربتها أكثر وأكثر،
حتى التصق كفي بكفه، شعرت بشيء،
فتحت عيني بصدمة وانا اشعر بلمس يده،
بينما هو اتسعت ابتسامته،
انزلت يدي وما زلت انظر له بدهشة، بينما راحت يده تلا
مس يدي، اصابعي، شعرت بملمسه، بحرارة يده،
راحت يده تمسك بكل اصبع على حدا، تمسح عليه اكثر،
فتحت راحة يدي ليبدأ بالسير بسبابته على راحتي،
سلكت سبابته خطوط يدي لتجعلها طريق،
كنت اشعر بكل لمسة،
اغمضت عيني وانا اجرب هذا الشيء، مددت يدي ب
المقابل لألامس يده، سارت اصابعي تجاه ذراعه،
تلك العروق البارزة، وصولا ً ليده،
لراحة يده المنبسطة امامي، شعرت بتلك الخطوط و

الشقوق، ابتسمت قليلا بغرابة، لم ابتسم منذ اشهر او اكثر،
قال لي مدي يديك امامي، ابتسمت لأمدهما الاثنتين،
بدأت بأصابعه يعزف عليها، ق
ال بصوت هادئ: اغمض عينيك،
تخيلي انك تسمعين صوت الموسيقى.
اغمضت عيني،
وانا اشعر بأصابعه تعزف مقطوعة على مفاتيح يدي،
سألني بصوت منخفض وانا ما زلت احلق في ع
الم اخر: ماذا تتمنين في هذه اللحظة؟
اجبته قائلة: ان أبقى.
شعرت بشيء على راحة يدي، وصوت هادى مألوف،
فتحت عيني بهدوء لأجده قد طبع قبلة عليها، ذهلت لأ
سحب يدي فوراً واضمها لصدري، قال بأسف وندم: اعتذر،
انا فقط.
لم يكمل وانا بقيت قابضة يدي اخبئها،
لم يفعل احد لي هكذا من قبل، نظرت لعينيه التائهتين، لا
اعتقد انني افضل منه، لأنني بت الان
وبلمسي له حائرة اكثر، بين الحياة والموت.
نهض لينفض ثيابه قائلا ويده ممتدة الي: لننهض ونكمل،
سنكتشف حتماً ذاك السر

جوى

١٣ يونيو ٢٠١٦

لم أتمكن من النوم طوال الليل، كان علي ان انام جيداً لأ
بدو بأفضل حال، لكن صوت ضربات قلبي كان ع
الياً لدرجة انني لم يتمكن جفناي من ان يغفيا، في ا سوء ح
الاتي كان النوم سهلا ً لكنني عندما أكون سعيدة،
وهذه ليست أي سعادة، حينها فقط يهرب النوم بعيداً عني
، يتركني للهفتي تلتهمني، تنهش عقلي،
اتخيل جميع مجريات ما سيحدث،
عندما انطفأ اخر امل لي في النوم،
نهضت من فراشي بهدوء خوفا من ان تستيقظ نجمة،
كان عليها ان تستيقظ، نومها كان ثقيلا ً ومفرطاً،
دخلت للحمام خلسة لأتوضأ، توضأت وانا ابتسم،
خرجت من الحمام بحثت بمساعدة الضوء المتسلسل من
الخارج لداخل غرفتنا المظلمة عن ثوب الصلاة،
لم أتمكن ايجاده، خرجت من الحجرة متجهة لغرفة جدتي،
ا سير على اطراف اصابعي، كان باب غرفتها مواربا و
الضوء مضاء، فتحتها بهدوء لأ
جدها تجلس على سريرها تقرأ القران، مرتدية حجابها الأ
بيض الذي تشترك كل جدات العراق في ارتدائه. رفعت رأ
سها لتنظر الي، ابتسمت لها قائلة: ا سفة ازعجتك،
ابحث عن رداء للصلاة.
ابتسمت لي لتظهر أكثر تجاعيد وجهها،
ا شارت الي ان الثوب في الخزانة،
سرت تجاه الخزانة الخشبية المتينة،
فتحتها لتهب رائحة الشب من داخل الخزانة،
هذه هي الرائحة التي اعتدت عليها في ثياب جدتي،
التقطت الثوب ثم أغلقتها،

اشارت لي جدتي قائلة: صلي هنا.
ابتسمت لأبدأ بالصلاة في غرفتها المباركة، بدأت اتلو الآ
يات لتتجمع الدموع في عيني، هذه الدموع كانت نقية،
مميزة، مختلفة عن كل دموع ذرفتها اثناء صلاتي،
دموع الفرح والامتنان.
شكرت الله كثيرا، لقد حقق رغبتي بـ
الرغم من عصياني الدائم له،
سقى قلبي سعادة وانا مليئة بـ
الخطايا تجاهه وتجاه نفسي. انتهيت لأ
سير تجاه سريرها وانحني قلبت رأسها شعرت برغبة بالا
ستلقاء بجانبها، فأشارت بيدها المجعدة على الفراش،
ارتميت بجانبها لأضع رأسي على فخذيها،
بينما راحت يداها تمسح على جبهتي صعوداً لشعري،
قرأت بعض الاذكار ونفخت علي، ابتسمت لأ
قبل يدها القريبة مني،
همت بصورة جدتي التي علقت في طرف المرايا اعلى طا
ولة التزيين، حيث تجردت من أدوات التزيين و
المكياج بل ملئت بالأدوية، قلت لها: كدت أفقد الا
مل في كل شيء.
قالت لي ويدها مستمرة بالطوفان بين خصلات
شعري: لو فقدنا الامل، ما كنا على قيد الحياة لهذا اليوم.
ابتسمت قائلة: بالرغم مما نعيشه.
- هذه هي الحياة يا ابنتي، نكمل لأن لدينا ثقة بـالله.
- ونعم بـالله.
جدتي مثال للمرأة العراقية الصابرة،
التي رغم كل العواصف التي هبت على ارضنا لم تهتز،
جدتي نخلة مغروسة على هذه الأرض،
النخلة العراقية مختلفة،

تقف في وجه الظروف رغم كل شيء،
فقدت ولديها في الحرب في منتصف الثمانينات،
كانا شابين حينها، رائعين، ورغم ذلك لم تمت، لم تفقد الا
مل، أكملت حياتها هي وجدي، ليست هي فقط، بل الجميع
لا اعتقد ان هناك بيت في العراق يخلو من شهيد،
سر أجهله انا، ولا أحد يمكنه كشفه،
قوة غريبة تدفع الجميع بالا
ستمرار بل هي تدفعني انا ايضاً، تمد يدها لي للسير للأ
مام.
رفعت نفسي قليلا ً لأقبل وجنتها الناعمة،
أحب ملمس ورائحة الجدات، داخل احضانهن توجد الجنة،
جلست امامها مباشرةً مسحت وجهي كفها لتدعو لي: ليفتـ
ـح الله لكِ طريق الخير دائماً في وجهكِ، ليحفظكِ الله
من أي شر
ابتسمت وانا أقول: امين.
نمت تلك الليلة بجانبها استيقظت من الصباح الباكر،
وضعت قناع لبشرتي والزيوت في شعري،
نظفت المنزل بأكمله، قمت ببعض التغييرات في الديكور،
كويت ثيابي استعداداً لحضوره واتت يا سمين لتضع لي ال
مكياج فهي فنانة به، فرحتي لم تكن توصف،
وقد بدأت امي تلاحظ لهفتي وفرحتي،
اول مرة أكون سعيدة لحضور شخص يريد الزواج بي على
غير العادة، بـ
الطبع لم اخبرهم انني اعرفه بل اخبرتهم انه رآني في حفل
خطبة علي ويا سمين واعجب بي،
اخبرتهم انه وحيد وان جميع افراد اسرته قد توفوا،
لكن عبد الله ولأ
جل البروتوكول الذي يسير في معظم هذه المناسبات فقط

اتفق مع علي ووالده ان يرافقاه،
بينما ستأتي ام يا سمين وام علي من بين النساء.
اثناء تصفيف يا سمين لشعري وجلوسي انا امام طاولة التز
ييين، رن هاتفي معلناً عن وصول رسالة نصية،
حاولت يا سمين منعي من التحرك لكنني لم اصغي لها لأ
راه قد بعث الي رسالة كتب لي بها (ها انا سأدخل منزلك)
انتفضت من مكاني لأصرخ بحماس: لقد وصل، وصل.
حاولت يا سمين تهدئتي: هييي مجنونة، اهدئي.
- ماذا الن نخرج لنستقبله.
ضربت بخفة كتفي قائلة: بالطبع لا، سننتظر حتى تأتي و
الدتك وتناديك
جلست مرة أخرى أحاول تنظيم انفاسي وأغمض عيني،
يدي كانت ترتعش فاقتربت مني نجمة لتفرك يدي بيديها،
ابتسمت لها بتوتر، قالت هي بهدوء لي: انا سعيدة لأجلك
احتضنتها بقوة، كنت حقاً على وشك الطيران،
سمعت صوت الباب يفتح فابتعدت عن نجمة لأ
لتفت ناظرة لأمي التي بادرت بالابتسامة قائلة: هيا بنا.
انتصبت فوراً لأهم بـ
السير بسرعة لكن يد يا سمين امتدت لتوقفني قائلة: ببطء،
اضافت وهي مازحة: (اثقلي).
حاولت السير بهدوء، حتى ساقاي كانا يرتعشان،
اطرافي بدت باردة كالثلج، أحاول كبح ابتسامتي العريضة،
وحبس الصراخ دخلي. دخلت لغرفة الضيوف التي كانت ع
طرة بالبخور التي طافت بها جدتي ارجاء المنزل،
لكن عطر حبيبي كان مميزاً حاضراً في المكان. اكاد ان أسق
ط مغشية وانا اراه امامي حقاً، في منزلنا،
يجلس على اريكتنا! سرت خلف امي لأ
جلس بجانبها على احدى الارائك،

كان هو يقابلني وعلى يمنيه علي، وعلى يساره والد علي،
رأيت نظراته الغربية، اللامعة، شفتاه السعيدة،
قرصتني يا سمين فأيقظتني من غرقي به وبنظراته فهمس
ت في اذني: كفي عن النظر اليه هكذا، والدك سيقتلك
نظرت فوراً للأرض، سمعت و
الد علي يقول: كما تعلم ان ابني عبد الله،
وهو حقاً بمثابة ابن لي،
يريد ان يتقدم ويطلب يد ابنتك جوى،
ونحن نتشرف بأن يكون لنا نسب منكم.

الفصل التاسع عشر

روح

الحاضر

وصلنا للمشفى أخيرا،
لم يصف صديقه السيارة بل أنزلنا امام الباب الرئيسية الت
ي كانت تزدحم بحركة الدخول والخروج من جميع الفئات،
أصوات سيارات الإسعاف تنتشر في المكان،
مد محمد لي يده ليسألني بنظرة تأهب: مستعدة؟
نظرت للمشفى، ثم له، تذكرت كلام جدي في ذاك المكان،
أجبته: مستعدة.
وضعت يدي في يده، شعرت ببعض الطمأنينة،
سرت برفقتها لندخل عبر البوابة الزجاجية،
فتحت فور اقترابنا منها، دلفنا للداخل، كانت كبيرة للغاية،

ردهتها واسعة، في المنتصف كان هناك مكتب الاستقبال،
المصاعد كانت جانبا، تتوزع الممرات من خلال
هذه الردهة لتصبح طرق طويلة واسعة،
كراسي انتظار تصطف على الجانب يجلس عليها البعض،
الأرضية كانت لامعة، تعكس كل شيء عليها،
ومنظف وضع لافتة صفراء على الأ
رض لينظف مساحة صغيرة، سرت برفقته ويدي ما ز
الت تمسك يده،
صعدنا على السلم الذي اختبئ خلف باب بيضاء،
سلكناه لنصعد للأعلي،
عند كل طابق كتب رقم على لوحة مربعة بجانب باب تؤدي
اليه، وصلنا للطابق الثالث،
كانت الممرات بيضاء على جانبيها يوجد حزام يستند علي
المرضى اثناء سيرهم، تدور الممرضات كالنحل في المكان،
ضجة مألوفة، سرت خلفه تنتقل في الممر بين الغرف،
بجانب كل باب توجد نافذة تظهر ما بداخل الغرفة،
توقفنا امام غرفة علق على بابها رقم ٢٣٤، نظرنا من خلال
النافذة لكن الستائر تحجب الرؤية،
مرت ممرضة فبادر هو بسؤالها باليونانية،
فتحت هي له الباب وهو يقول لي: لنرى.
دخلنا للداخل لأصوب عيني فوراً على السرير،
لكن كانت هيئة رجل،
بقيت متصلبة في مكاني بينما صمت هو يراقب الراقد اما
منا، سألني وهو ينظر الي: لا يمكنك تميز ملامحه؟
حركت رأسي نافية وانا غارقة بصدمتي، التهمتني الحيرة و
الخذلا
ن! تحدث هو مع الممرضة ثم انصرفت هي لتخرج وتتركنا،
اقترب هو من سريره ليقل: تقول انه كانت توجد سيدة ولك

نها كبيرة في السن في غيبوبة ايضاً تعرضت للغرق على م
تن احد القوارب التي تهاجر هجرة غير شرعية،
صمت لثوان فنظرت له ليتم كلامه: لكنها ماتت،
لحسن الحظ انها ليست انتِ فهي في عقدها الرابع.
شعرت بيده تعتصر يدي، نظرت ليده ويدي،
رفعت رأسي ناظرة له بحزن،
خرجنا من الغرفة صامتين دون حماس، انطفأ الامل داخلنا،
هم هو بالدخول لأحدى الغرف،
عقدت حاجبي ناظرة له فقال بهدوء: دعينا نتحدث هنا.
انسقت معه لأدخل لغرفة خالية،
بها سرير واحد عليه فراش ابيض، نافذة صغيرة،
وادراج خشبية باهتة، تلفاز معلق على الجدار يبث الاخبار،
واريكة لونها اخضر غامق أسفل التلفاز تقابل السرير،
شعرت انني سبق وقد رأيت هذه الغرفة،
إحساس بداخلي يخبرني انها ليست المرة الا
ولى التي أرى بها هذا المكان، تركت يده لأ
دور حول نفسي ممسكة برأسي، ما الذي يجري؟
ما كل تلك الالغاز التي أعجز عن حلها؟
نطق هو ليجعلني افيق: ما الذي تفكرين به.
علقت ببرود وانا ارفع كتفي: اختفى ذاك الامل.
اقترب مني خطوة ليسألني: بأنكِ على قيد الحياة؟
حركت رأسي بإيجاب،
اقترب أكثر حتى أصبح يقف امامي مباشرة ضيق عيناه لي
قل: مرحباً بكِ مجدداً في الحياة.
لم افهم ما قاله! بقيت انظر له بروعة، ق
ال بهدوء وهو يمسك يدي برفق ويجرني لأ
جلس على طرف السرير الأبيض: سأشرح لكِ كل شيء.
قبضت يدي بتوتر بعد ان شعرت انها ترتعش، ق

ال لي بتركيز: انتِ لم تموتي من الأساس،
تنهد ليغمض عيناه ويفتحها، ولستِ في غيوبة.
شعرت بعيني وهي تفتح نفسها أكثر من هول الصدمة! تج
معت كل الأسئلة داخل رأسي، لكنني نفخت عليها لأ
جعلها تتطاير، لترحل عني لأنني احتاج الاستماع اليه أكثر، لأ
نني مشوشة. سحب كرسي كان يستر بجانب السرير ليجعل
ه
يستقر امامي جلس عليه وتقدم ليستند مرفقيه على فخذ
يه ويشبك أصابعه: انتِ مصابة بمرض نادر،
مرض يعجز اغلب الأطباء من تشخيصه او علاجه، مممم،
حاول ان يشرح أكثر: مرض نفسي اسمه متلازمة كوتار،
او ما يعرف بالجثة المتعفنة، او الموتى الاحياء.
قاطعته بذهول: ما الذي تتحدث عنه؟ ما هذا الشيء.
رفع كفيه في الهواء يقول: اهدئي سأخبرك بالمزيد عنه.
حاولت تنظيم انفاسي اغمضت عيني وفتحتها لأ
نظر له فقال: هذا المرض يشعر فيه المريض انه قد فارق ال
حياة، يعجز عن الشعور بأي مؤثرات خارجية،
او حتى داخلية،
هو مرض في العادة يصيب النساء أكثر شيء.
نهض من مكانه وسار تجاه النافذة ليقف امامها مسترسلا
ً: هو نوع من أنواع الوهم،
المريض يصدق بشكل كبير انه فارق الحياة، مثلك،
أثر تعرضه لصدمة، لا سيما ان كان يعاني من اكتئاب حاد.
التفت الي ليؤكد: كما كنتِ تعانين قبل اصابتك به،
ابتسم ليقول: هناك مصابون به يشعرون ان جسدهم قد ت
عفن ويمكنهم ان يشموا رائحة الجثة، لكنه وهم.
اقترب من السرير ليعلق: بـ

الطبع لديك فضول لتعرفي اكثر عنه،
اسمعي انا شخصياً كطبيب نفسي لم اقابل يوماً احد مص
اب بهذا المرض، سمعت عنه في الجامعة، لم نتعمق به، لأ
نه نادر، ولأن اغلب من اصابوا به قد توفوا فعلياً لأ
نهم يضربون عن الطعام والشراب لإقتناعهم انهم اموات لا
يحتاجونه.
بقيت احدق به وكأن هناك شيئا أصاب رأسي،
ما الذي يحدث من حولي! ما هذا الشيء! لماذا لم امت! قا
طعته قائلة: كيف فعلت هذا ؟ الست كاتب؟
اليس من المفترض ان تختفي روحي؟ ماذا عن جدي؟
اقترب ليجلس بجانبي على حافة السرير قائلا
: سأخبرك بكل شيء.

محمد

ما حدث بالفعل

قدت سيارتي متجهاً لمقر عملي ككل صباح،
منذ فترة ليست ب
البسيطة تركت العمل في المشفى الحكومي وانضممت ل
فريق الدكتورة نيولفر للمصح الذي تقوم بإدارته بنفسها،
توقفت عند إشارة ضوئية اسند ذراعي على نافذة سيارتي
المفتوحة، اراقب الطريق امامي وعقلي غارق ب
التفكير في الفكرة التي أحاول العمل عليها منذ فترة،
وهي ان اذهب لمخيمات اللا
جئين متأكد من انني سأجد اضرار نفسية تفوق امراضهم ال
عضوية، هي فرصة لإ
يجاد شيء ابني عليه رسالتي للماجستير صوت رنين انبع
ث في مذياع السيارة لأ
نني سبق وان قمت بتوصيل هاتفي بها،
ظهر على الشاشة اسم الدكتورة نيولفر، ضغطت على زر ا
لإجابة في الشاشة لأتحدث وانا اتحرك بعد ان تغير لون الإ
شارة للأخضر
- صباح الخير استاذتي، انا في طريقي.
قالت لي: من الجيد أنك لم تصل بعد،
انا لست في المصح.
قمت بتخفيف سرعتي لأسألها: اذن؟
- انا في المشفى العام، تعال الى هناك، انه يوم سعدك.

عقدت حاجبي أحاول تفسير كلامها، سألتها: لم افهم؟
علقت بمرح: عندما تأتي ستفهم.
بحماس حاولت العثور على طريق لتغيير مساري و التوجه الى المشفى المركزي،
نادراً ما تقول الدكتورة نيولفر شيئاً كهذا،
هل ستقوم بترقيتي او نقلي لمكان اخر؟
هدأت نفسي سأعلم كل شيء عندما أصل، عبثت بهاتفي لأقوم بتشغيل أغاني فيروز، صوتها في الغربة وطن،
تمسح بيدها برقة على قلوب الذين اشتاقوا لمجذورهم،
انا هنا منذ أكثر من خمس عشر عاماً،
ربما عشت على هذه الأرض أكثر مما عشت في العراق،
لكن مازالت تلك الجذور عالقة هناك، شعوري الدائم انني لا أنتمي لهذا المكان بـ
الرغم من انني أسست حياة كاملة هنا، درست هنا،
وعملت هنا، لكن بقي شيء عالق يؤلم المغتربين،
تنزف جراحهم كلما سمعوا كلمة تذكرهم بأصلهم وبتلك الأ
رض التي هجروها، بأغنية،
طعام او رائحة تعيدهم لمنازل بقيت باردة وحدائق جفت دون ان تسقى.
وصلت اخيراً للمشفى، قمت بصف سيارتي لأترجل حاملا
ً معي حقيبتي الجلدية السوداء، ارتديتها على كتفي الأ
يمن لتصل لجذعي الايسر، سرت متجهاً للقسم النفسي،
كان المشفى مزدحماً صباحاً،
لحسن الحظ انني لم اعد اعمل به، سلكت السلم لأ
صل للطابق الثالث، تجاوزت الناس في الممر لأ
صل لمكتب الدكتورة نيولفر،
كانت هي تقف عند الباب برفقة بعض المتدربين،
ترتدي نظراتها الطبية، شعرها القصير مفتوح،

تبتسم لهم وتجاعيد وجهها تظهر أكثر،
هي في نهاية عقدها الرابع، علقها د سم بالمعلومات،
وقلبها غارق بالتواضع.
توقفت امامهم فرفعت رأسها لتبتسم قائلة: لم تتأخر
فتحت ذراعي لأجيبها بمرح: الفضول قادني لهنا بسرعة.
قام بإعطائهم بعض الملا
حظات ثم سارت بجانبي قائلة: تعال معي.
سرت معها وفضولي يتضاعف أكثر،
حتى وصلنا لغرفة أحد المرضى،
بقينا متوقفين امام النافذة التي سمحت لي برؤية فتاة ربـ
ما في بداية العشرين،
تنام على السرير و شعرها مفرود على المخدة، هالات
سوداء تحيط بعينيها،
تغرز المحاليل في يدها التي برزت عروقها،
كانت بيضاء صافية لم يمر الدم عبر اوعيتها،
وكأنها اميرة الثلج. ق
الت استاذتي: هذه الفتاة عراقية مثلك.
نظرت لها بتعجب، لكنها لم تأبه لنظراتي فسارت لأ
لة بيع القهوة التي وقفت اخر الممر،
أخرجت من جيبها قطع نقدية وادخلتها بها لتضغط على أ
حد الا
زرار قائلة: كانت على متن أحد القوارب التي تهاجر هجرة غ
ير شرعية لليونان، التفت الي لتبتسم بخيبة،
لكن القارب قد غرق،
لحسن الحظ ان خفر السواحل قد تداركوا بعض الاحياء.
شيء يتكرر كل يوم،
يهاجرون من سوريا او العراق هرباً من الموت،
فيتلقاهم في البحر ليثبت لهم ان محاولا

اتهم بائسة وان حتفهم محتوم.
ثنيت ذراعي لصدري قائلا: أهي في غيبوبة؟
التقطت كوباً لتناوله لي اخذته منها،
فعادت لتطلب لنفسها من جديد وتجيبني: لا،
لديها اكتئاب حاد جدً.
سألتها وان ارشف القليل من الكابتشينو: لأي درجة؟
اشارت بيدها: لدرجة انها حاولت الانتحار كثيراً،
تدخل في نوبة غير عادية فور استيقاظها،
تعتقد انها قد غرفت، تصرخ،
انحنت لتأخذ كوبها وتكمل السير لتردف: عندما يخبرونها ان
ها بخير، تهم فوراً بالبحث عن شيء يجعلها تنهي حياتها.
سرت برفقتها في الممر عائدين لمكتبها لأعلق: ما المشكلة
؟ هذه بوادر اكتئاب حاد، أعني لا شيء مثير
دخلنا لمكتبها لتسير تجاه الا
ريكة الجلدية السوداء واضعة ساقاً فوق الأخرى قائلة: قم با
لإشراف على الحالة.
احتججت وانا اتكئ على مكتبها: لكنكِ تعلمين انني ابحث
عن حالة خاص، هذه البوادر اعتدت عليها.
سألتني بشك: أي أنك ترفض ان تأخذ ابنة بلدك.
دارت عيني بتذمر لأقل: اين ملفها؟
عادت بظهرها للوراء لتشير بثقة تجاه المكتب: لقد حضرته ل
ك.
اخذت الملف الأزرق الورقي، هممت بـ
الخروج من المكتب لكنني استدرت تذكرت شيئاً فسألتها: ا
ين مكتبي الجديد؟
ثنت ذراعيها لصدرها لتؤكد: طلبت منهم ان يجهزوا لك مكت
باً خاص.
قهقهت: أي انكِ كنتِ متأكدة من قبولي لهذا العرض.

ارتشفت القليل من كوبها لتعلق: لنقل انه حدس.
خرجت وانا اضحك من مكتبها، نزلت للأ
سفل حيث يوجد مقهى اعتدت على اخذ استراحتي به،
اخترت طاولة في الزاوية لأضمن بعض الهدوء،
فتحت حاسوبي المحمول بعد ان اخرجته من حقيبتي،
قمت بالرد على بعد الرسائل الا
لكترونية التي تخص مواعيدي، التقطت الملف الأزرق لأ
بدأ بقراءة اهم الملاحظات التي تم تسجيلها،
فور استفاقتها بدأت تهلوس قائلة انها غرقت، كانت لا
تتجاوب مع أي احد، وكأنها لا تستمع ولا
ترى وهو شيء يحدث في حالات الاكتئاب،
اكثر من مرة تم ضبطها تحاول القاء نفسها من الشرفة،
فور محاولتهم للتدخل تبدأ بالصراخ حتى تهوى،
أيضاً بدأ وزنها ينقص بشكل ملحوظ جداً،
وهذا شيء طبيعي لمن لا يأكل ولا يشرب،
لذلك فهي حتى اليوم تتغذى على المحلول.
عدت بظهري للوراء وانا اتأفف،
رفعت نظراتي التي انزلقت قليلا ً على انفي، عدت لأ
كمل قراءة. انهيت الملف وانا اشعر ان ظهري قد تشنج،
اغلقته ثم قمت بإلغاء حاسوبي،
لملمت كل شيء ليصلني اتصال أخبروني ان مكتبي ينتظ
رني، صعدت اليه ومارست يومي بشكل طبيعي.
في اليوم التالي فور وصولي للمشفى، قررت الذهاب لإ
لقاء نظرة سريعة قبل ان انشغل بأعمالي الثانية،
عند وصولي لغرفتها كانت الباب مواربة،
ألقيت نظرة للممرضة وهي تحاول ان تحادثها،
لكن عينيا الفتاة كانت ناعسة، تنظر ببرود للاشيء،
مدت الممرضة يدها تحاول تحريكها امامها لكنها لم ترمش

حتى، نظرت ليدها التي ملئت بأثار انغراس الكثير من الا
بر بداخلها، بل ان أوردتها ظاهرة بشكل كبير ومبالغ، ق
الت لها الممرضة: ارجوكِ تناولي شيئاً.
لم تحرك الفتاة ساكناً،
بقيت تنظر للفضاء فنطقت قائلة بهدوء: لقد مت.
مدت الممرضة يدها تجاه شعر الفتاة لكنها صرخت فور ملا
مستها لها، صرخت: اتركوني، انا ميتة، ميتة.
بدأت تصرخ بهستيرية، بينما تحاول الممرضة ان تهدئها،
دفعت الباب لأدخل وانا أمرها: احضري ابرة مهدئة.
سارت الممرضة لتحضرها بينما انا اقتربت منها،
التفت الي وكأنها تراني، بقيت مصدوم،
هل حقاً يمكنها رويتي ام انها فقط تحدق وتسرح في شي
ء اخر؟ حركت يدي في الهواء امامها يمنياً ويساراً،
كانت حدقتا عينيها تتحركان مع اتجاه حركة يدي،
هي تراني فعلا ً، غرست الممرضة الابرة في ذراعها،
حتى هدأت وانطبق جفناها على بعضهما، ونامت.
انطلقت فوراً اقصد مكتب استاذتي،
وصلت اليها لكن المكتب كان فارغاً،
نظرت للورقة المعلقة التي تطلعني على أوقات تواجدها،
انها الثامنة وموعد حضورها في الساعة التاسعة والنصف،
سرت عائداً لمكتبي اقتربت فوراً من المكتبة التي امتلأت
بالكتب، بدأت اتصفح عناوينها عن كتب، اخذت ثلا
ثة منهم وقد بفردهم على مكتبي، سرت لأغلق الباب لأ
منع أي ازعاج، جلست على كرسيي الجلدي المتحرك لأبدأ ب
البحث، ثم شيء سمعت بأعراض تشبهه،
مرض سبق لي وان درسته في الجامعة لكنني لم اصادفه
في سنوات ممارستي الأربع،
اخيراً وجدت ما ابحث عنه بعد مدة من الزمن لا

ا اعلم كم استغرقت، شعري بألم في رقبتي،
قمت بتحريكها بشكل دائري لأ
مسح على عنقي من الخلف، خلعت نظاري لأ
فرك اعلى انفي بين عيني بتعب،
نظرت للساعة المعلقة بجانب الباب،
كانت تشير للساعة العاشرة وربع، التقطت نظراتي لأ
رتديها مرة أخرى، اخذت الدفتر الذي دونت به جميع الملا
حظات ونهضت متجهاً بإتجاه مكتبها،
وصلت للمكتب كانت برفقة احد الأطباء، توقفت لأ
طرق الباب المفتوح قائلا : اعتذر عن المقاطعة.
رحبت هي بي: اهلا بك محمد اجلس ريثما انتهي من.
قاطعتها بحماس: اسف لكنني يجب ان اخبرك بشيء مهم.
وضعت الدفتر عند ابطي، قمت بحركة رجاء بيديي،
فنهض الطبيب قائلا : سآتي في وقت اخر
شكرته واقتربت من مكتبها بينما هي تقول: ما الشيء المه
م يا أستاذ محمد؟
ناولتها الدفتر لأقول بحماس: متلازمة كوتار
قالت بتعجب: متلازمة كوتار؟ ليس اكتئاب.
اشرت قائلا : جميع الاعراض تؤكد ذلك، هي لا
تستطيع رؤية أحدهم، أعني انها ترى الجميع كظلال
فقط دون ملامح، عبارة عن صور مشوشة، بالإ
ضافة انها مقتنعة بشكل تام انها غرقت،
جلست على الكرسي لأضع ساق فوق الأخرى فأكملت،
تهلوس بكثرة انها ماتت، النقص الكبير في وزنها،
صحيح ان الاعراض الظاهرة تشير لوجود اكتئاب حاد،
لكن دعينا لا ننسى ان الا
كتئاب الحاد يحتاج لصدمة قليلة ليصاب المريض بهذا المر
ض.

مطت شفتيها وهي تفكر بكلامي،
أسندت مرفقها علي المكتب لتضيف: هذا يعني ان الفتاة كانت تعاني من اكتئاب حاد قبل غرقها.
هتفت: بالضبط،
حادثة الغرق هي الصدمة التي أودت بها لهذا الحال.
نهضت من مكاني وانا اضع يدي في جيب معطفي الأبيض لأدور في المكان لأ
فكر بصوت مسموع: لكن يبقى السر كيف استطاعت رؤيتي؟ لقد شاهدتني، ميزت ملامحي.
ضيقت عيناها من وراء نظارتها الطبية الرفيعة لتعلق: شيء غريب، زفرت وهي تدور قليلا بكرسيها لتسألني،
ما الذي تنوي فعله؟
اجبتها وانا اعصر عقلي: سأحاول ان اجد حلا ً.

الفصل العشرون

جوى

١٣ يونيو ٢٠١٦

سأل ابي عبد الله بعد ان أفصح و
الد علي عن سبب الزيارة: هل انت شيعي ام سني؟
دارت نظراتنا جميعاً في وجوه بعضنا،
بينما أصبح وجه عبد الله
واجماً اعلم جيداً انه يكره هذا الموضوع،

نظرت امسكت بيد يا سمين اضغط عليها،
لم يسأل ابي سؤال كهذا؟ انا نفسي لا ابالي،
بل امقت أولئك الذين يفرقون بين الناس من اجل الطائفي
ة، أجاب والد علي على سؤال ابي، ليضيف قائلا
ً: لكن اعتقد ان أمور كهذه لم تعد مهمة،
فعلي ابني شيعي،
وهو على وشك الزواج بيا سمين وهي سنية، لا فرق بيننا.
دعوت الله وقرأت الآيات لعل ابي يقتنع بما قاله،
لكن علق ابي قائلا ً: لكنني لا اسمح لإبنتي بـ
الزواج من غير طائفتنا.
شعرت بالدموع تتجمع في عيني، حرارتي بدأت ترتفع،
نظرت للبرود الذي أحاط بوجه عبد الله، و
الخيبة التي ارتسمت على وجوه الحاضرين، نهض عبد الله
من مكانه فنهض معه علي يحاول ان يمهله علهم يقنعون
ابي، لكن صدمنا عبد الله قائلا ً: انا لست مسلم حتى، لا
اعبد الله نفسه.
الجميع ذهل، بينما دموعي بدأت تتساقط بحرارة،
لم فعلت هذا؟ هم بالخروج ليمر من جانب الا
ريكة التي اجلس عليها ليقل لي وهو يهز رأسه بأسف: ا س
ف.
وخرج ليتركني محطمة، لا اعلم الملم انكساري ام انكساره،
اعتذرت جدتي من الجميع فودعوها ليخرجوا،
بينما اذناي تصنعان حاجز للصوت، لا اسمع شيئاً مما قيل،
فقط جالسة في مكاني اراقب احلامي وهي تحتضر،
دموعي تروي وجنتي، بينما يداي ترتعشان،
ناظرة لمكانه الفارغ، للخيبة التي قررت ان تزورنا فجأة،
كدت ان الامس احلامي،
كدت ان اصدق انني سأكون سعيدة،

لوهلة شعرت انني اسعد فتاة في هذه المجرة،
رأيت ابي وهو يقف امامي، يوبخني لأنني افكر بـ
الزواج من شخص ملحد، بات يتوعد لي بعقاب،
يسبني بينما تحاول امي تهدئته ليقذفها هي الأ
خرى بأبشع الالفاظ، لم احرك ساكناً لأول مرة، لم اجادله،
لم اصرخ في وجهه، هدوئي كان مريع،
استمع لما يقال لي وكأنني لست الشخص المقصود،
نهضت من مكاني ومازالت دموعي تمطر، هممت بـ
الخروج من غرفة الضيوف لكن شعرت بجذور شعري تكاد ا
ن تقتلع من مكانها،
لقد جر ابي شعري بقوة ليصرخ بي: أي جراءة هذه لتتركين
ي وانا اتحدث وترحلين.
حاولت جدتي التدخل لمعنه،
لم يكن بداخلي رغبة للمقاومة، شمعتي انطفأت،
بل انتهت، مر زمن عليها وهي تقف في مواجهة الريح،
تحاول الصمود، لكن ان الاوان لتنفذ.
احتضنني سريري، بقيت مختبئة أسفل فراشي، لا
اريد حتى التنفس، كل ما ارغب به هو الا
نعزال عن هذا العالم، الم يمسك قلبي لا يرفض تركه،
يعتصره بقوة، صدري يضيق اكثر،
فقدت قدرتي على تمييز الوقت، لكن صوت المنزل هدأ،
ربما قد حان وقت النوم للجميع.
سمعت صوت صرير الباب،
خطوات هادئة حتى شعرت بأحد يجلس على طرف سريري
، سمعت صوت نجمة الذي كدنا ننسه من قلة الكلا
م: هل انتِ مستيقظة؟
لم اجبها، انفاسي كانت تتسارع،
أحاول منع نفسي من البكاء،

أحاول ان اسيطر على ما تبقى مني،
شعرت بها تنهض من سريري، سحبت قليلا ً الغطاء لأ
راها قد استلقت على سريرها، والغرفة تغرق في ظلام،
استلقيت على ظهري لأضع يدي على قلبي،
أحاول تهدئة ذاك الوجع الذي يأكله،
لكنني افقد القدرة على السيطرة عليه، تقلبت كثيراً، الأ
لم مازال يسكن صدري لم يهدأ رغم سكون العالم،
كان من الممكن ان تصبح هذه الليلة هي اجمل ليلة في ح
ياتي، كنت سأنام على صوته ونحن نرسم مستقبلنا معاً،
كنت سأعد الا
يام المتبقية التي سأنام بها على وسادتي هذه،
كنت سأقضي الليلة راقصة للحب وللسعادة،
لكن انتهى المطاف بي ملقاة على السرير أحاول كبت عويل
ي، تنفسي بدأ يضيق، صدري انكمش اكثر،
نهضت من سريري لأسير في الظلام،
بهدوء خرجت من الغرفة، كان المنزل بأكمله يغرق بالظلام،
اتجهت وانا حافية تجاه غرفة جدتي، لم تنم! استغربت لا
اعتقد ان اذان الفجر قد حان، طرقت الباب الموارب لأ
مد رأسي رأيتها تجلس على سريرها،
المسبحة في يدها وتدعو الله،
التفت الي لتشير الي فاقتربت من سريرها لأجلس بجانبها،
كانت رؤيتي غير واضحة بسبب تزاحم الدموع في عيني،
مدت يدها الرقيقة لتمسح على ذراعي،
شعرت بأنها تمسح على الفانوس السحري لتجعل الجني يظ
هر،
لكن فور مسحها على ذراعي اندفعت دموعي بقوة متحرر
ة من عيني، القيت برأسي في احضانها انتحب،
كانت يدها تمسح على شعري،

ابتعدت عنها أحاول ان اتحدث و سط بكائي العنيف،
انفاسي سريعة ايضاً تمنعني من الكلام،
بدأت اتنفس وانا اجر الحروف بقوة: شتان، م،
ما بين ال الليلة، و، ل، ليلة، امس.
مسحت براحة يدها وجنتي المبللة: حبيبتي اهدئي،
انتِ اقوى من ذلك.
- لكنني، تعبت، خارت قواي، لم علي ان أكون دائما قوية؟
وضعت يداي على فخذها واسندت جبهتي على يداي لأكمل البكاء،
مسحت على شعري تحاول ان تطمئنني: لقد دعوت الله لكما، عليكِ ان تتأكدي من شيء،
وهو من كان من نصيبكِ ستكونين له ويكون لكِ،
ولو بعد حين، (نصيبج يصيبج).
رفعت رأسي أحاول ان اخرس بكائي، مسحت وجهي لأبتسم رغماً عن انف مصيبتي،
ابتسمت هي لي لتهمس قائلة: صلي، الله سيداوي جروحكِ بطريقته،
سيمسح دموعكِ ويزرع الصبر في قلبكِ
نهضت وجسدي كله يرتعش أحاول الذهاب للحمام لأتوضأ،
توضأت كعادتي بدموعي أكثر من الماء المنبعث من الصنبور، رددت كلام جدتي بداخلي، ما كتبه الله لي لن يمنعه عبد، عدت لغرفة جدتي لأرتدي ثوب الصلاة بعد ان سكنت قليلا، قبل ان ابدأ بصلاتي قالت لي جدتي مضيفة: رددي دائما (اللهم أجرني في مصيبتي، واخلفني فيها خيراً).
صليت و سجدت لأردد ذاك الدعاء، رجوت الله ان يصبح نصيبي رغماً عن انف الجميع،
رجوته و شكرته عن كل شيء منحني إياه، شكرته لأنه بالص

لاة وضع راحة غريبة، انهيت الصلاة فدعتني ايضاً جدتي لأن انام بجانبها،
توسدت ذراعها بينما هي انطلقت تحدثني عن تلك الحكايا ت المستحيلة، لكن لا إرادة أكبر من إرادة الله.

عبدالله
١٣ يونيو ٢٠١٦

فتحت باب بيتي بالمفتاح لأدخل لقبري،
أغلقت الباب بقدمي و سرت لأخلع سترتي،
بدأت افتح ازرار قميصي لأخلعه هو الاخر وأرميه ارضاً،
اتجهت للبار لأ
ري عشيقات بعد ان اعتقدت انني سأنهي العلا
قة فور ارتباطي بجوى، لكن ها انا اعود اليهن محطم،
يثبتن الي دائماً أن لا مأوي لي سواهن، لا احد يمكنه اقتلا
عي من هذا العالم سوى تأثيرهن، امسكت بواحدة لأ
فتحها وابدأ بالشرب، افرغتها دفعة واحدة داخلي لأ
لتقط انفا سي، نظرت لها وهي فارغة لأ
رميها ارضاً لتتحطم وتنتهي حياتها،
اخذت واحدة أخرى واتجهت تجاه مكتبي،

قمت بتشغيل حا سوبي وربطته بمكبرات الصوت،
قمت بتشغيل احدى أغاني الروك الصاخبة،
لتنطلق بقوة وتحطم هذا الصمت، عدت لأشرب من جديد،
بسبب الطائفية وبسبب قذارتهم ودينهم الذي يلوثونه بإعتقاداتهم خسرت عائلتي،
ومرة أخرى لنفس السبب منعت من الزواج بمن احب! سرت تجاه الباب جسدي كان يحاول التوازن لكن غايتي في الخروج للحديقة كانت اقوى،
خرجت ويدي لم تفارق احدى الزجاجات التي نسيت ما هو رقمها، خرجت للحديقة، لأنظر للسماء المعتمة،
حرارة الجو نفسه كانت مرتفعة،
جسدي متعرق وقد بدأت تفوح منه الروائح الكريهة الممزوجة بالكحول، خاطبت الله بصوت عال: أيعجبك حالي! لم فعلت هذا؟ كنت على وشك العودة اليك،
لم تكرهني لهذه الدرجة، لم تأخذ مني كل من أحبهم؟
لم انت هكذا؟ لم تكرهنا جميعاً، ما الفرق بيننا وبين الاخرين الذي تنعم عليهم بالراحة؟
لم تحديداً نحن الذين نعاني في كل شيء، في المعيشة، الحياة، الموت، الحب،
ماذا الذي اقترفناه بحقك لتسخطنا هكذا؟
لكنني أصغر وأقذر من ان اتلقى إجابة، رميت الزجاجة ارضاً ، لأركع على ركبتاي ابكي، هذه المرة الا
ولى بعد وفاة امي التي ابكي بها،
ظننت انني قد دفنت كل إحساس بداخلي،
بأنني ودعت البكاء لكن جوى فعلت هذا بي، باتت ملعونة لأنها تمكنت مني، لأ
نها تجعلني عاجز عن كل شيء ارغب به.
فتحت عيني لأسمع صوتها يناديني: حبيبي، حبيبي.

كان جفناي ثقيلان جداً، رأيت صورتها امامي،
قاومت وفتحت عيني، كانت تجلس على حافة الا
ريكة التي أجهل متى استلقيت عليها، رفعت نفسي قليلا
ً لأرى الشمس بعد ان دخلت عبر النوافذ لداخل المنزل،
متى نمت وماذا الذي فعلته، رمشت مرات عدة لأ
عود بنظراتي اليها،
اعدت رأسي على الوسادة التي احتضنت رأسي الليلة الما
ضية، سألتها بكره يكرهني لأنني أكرهها: لمَ انتِ هنا؟
رفعت كتفيها لتجبني بابتسامة باردة: هذا مكاني،
هيا انهض، عليك ان تستحم.
حاولت الإمساك بيدي لكنني دفعت يدها بعيداً عني،
لم تكف بلي جرتني من ذراعي تحاول سحبي لأنهض قلي
لا
ً، صرخت بها وانا ادفعها لكنها فقدت توازنها لتسقط ارض
اً: دعيني و شأني.
فور ادراكي انها سقطت نهضت بتثاقل لأنزل للأ
رض اقتربت منها وانا أقول: لم اقصد، فقط.
شعرت بألم في معدتي، غثيان ورأسي يؤلمني،
أكملت بتعب: انا لست جيد بالنسبة لكِ، يكفيكِ مشاكل،
لنضع حد لترتاحي.
ابتسمت بحزن لتقل: ارتاح! بعيداً عنك!
مسحت وجهي بيدي،
دارت عيني في المكان رأيته مرتب جداً،
وكأنني لم اخربه في الامس، نهضت فدفعتني لأنظر اليها،
امسكت بيدي تجرني فلم اقاوم،
نهضت معها لتسوقني للحمام،
ادخلتني للحمام لتجلسني على حافة حوض الاستحمام،
فتحت المياه لتتدفق وتبدأ بالتجمع بـ

الحوض مع رغوة الصابون، قلت بسخرية: ماذا ايضاً؟ ستساعديني بالاستحمام؟
اجابت وهي تمد يدها للماء تقيسه ان كان دافئاً: اجل سأفعل.
عندما امتلأ نهضت قائلا: حسناً سأهتم انا بنفسي، شكراً.
القت نظرة على لتخرج، لم عادت؟ لم تفعل بي هذا؟ تؤذيني وتؤذي نفسها؟ الم تكف او تمل مما هذه المعاناة، احتاج ان تكون هي قوية لتبتعد، لأبتعد، ليكون لي حافز و الملم جروحي وارحل لأعود لبؤسي كما كنت.
خرجت من الحمام بعد ان انتهيت،
كانت هي قد جهزت لي الفطور وضعته على الطاولة التي تقف امام الاريكة، جلست بروب الحمام على الاريكة بينما هي منحنية امامي تصب لي الشاي،
انظر لها بغضب لأن حبها يقتلني،
قلت لها اثناء تقديمها الكوب لي: لم تتظاهرين بأنكِ قوية؟
ابتسمت لتجبني: لأنني كذلك.
رفعت صوتي بإنفعال: بالأمس انكسرنا الا تدركين ذلك؟
اخذت نفساً عميقا قائلة: أدرك، لكنني حين أكسر، أصبح اقوى من قبل.
سألتها ساخراً: وما الذي تنوين فعله؟
اجابتني ببساطة: انوي التمسك بك، لا أفكر بالسقوط.
انهت كلامها و سارت تجاه مشغل الموسيقى، راقبتها وهي تعبث به،
هي كاذبة تدعي القوة وبداخلها طفلة تنتحب،
تعتقد انها تستطيع السيطرة على احزانها،
لكن البؤس يرسم خطوطاً على وجهها. قامت بتشغيل اغنية
لفيروز التي تجري اغانيها في دمها (في امل) اقتربت مني

مدت يدها قائلة بحماس: راقصني.
ادرت عيني بتذمر، لكنها سحبتني لتضع يدي على خصرها،
بدأت تراقصني بخفة فراشة، قالت لي: اتعرف العنقاء،
اسطورة المستحيل، هي مثلي الأعلى،
أحاول ان أصبح مثلها،
هي تحترق وتصبح رماداً لكنها تخلق مرة أخرى من رمادها
، تخلق اقوى من قبل.
- هي تشبهك بالفعل.
- اذن لنصبح مثلها، سنكون اقوى برغم ما سنمر به.
احتضنتها ودفنت رأسها في صدري، بداخلي، هي قوتي،
ونجمتي في الليل، عدنا من جديد لنقطة البداية، بلا
غاية لكن وجودنا معاً يتغلب على أي ظاهرة او عاصفة تمر
علينا.

الفصل الواحد والعشرون

محمد

ما حدث بالفعل

لم أتمكن من إيجاد فكرة فوراً فعلاج هذا المرض صعب، لا
يوجد أي علاج صريح له، بل محاولاتنا تقع في علاج
لمسبباته، كالإكتئاب، لكن اولا ً عليها تقبل الحياة،
لتتمكن من سرد قصتها، لأ
غوص في الدوافع التي جعلت منها الفتاة البائسة هذه،

انا مؤمن ان جزء مهم من شفاء المرضى النفسين موجود
في البوح، ان أطلقوا العنان للسانهم بـ
التحدث عن كل ما يمروا به، لكن بعض الزملاء
يجدونني متحمس أكثر من اللازم لأن
نصف رحلة الشفاء في اخذ الادوية، على تحديد أولا ً
مسار العلاج الذي انوي سلكه، كنت اقف بـ
الساعات اراقبها عبر النافذة وهي نائمة، شعرها الأ
سود الذي يغطي الوسادة اسفلها،
لون بشرتها الذي اصبح شاحباً اكثر، دخلت للغرفة لأ
قترب اكثر، توقفت بجانب سريرها،
كان هناك سلسلة تتعلق برقبتها التي برزت عظامها كثيراً ق
لت وانا اقرأ الاسم المكتوب: جوى، اسم جميل.
نظرت للطاولة التي بجانب سريرها،
كان هناك صورة أحدهم وضعها،
كانت وكأنها طبعت على ورق عادي ليست صورة،
امسكت بالورقة لأرى فتاتين، احداهما يشع وجههما بالا
بتسامة وأخرى كانت تبتسم بنعومة بهدوء، ابتسمت لأ
خاطبها بصوت مسموع: ها انتِ هنا في الصورة.
قلبت الصورة لأرى ما كتب خلفها (جوى ونجمة – ٢٠١٤)،
كانت ابتسامتها تلك هي منطلق لفكرة جديدة،
حافز يدفعني لأن اعيد رسمها على تلك الشفتين،
بحثت طويلا ً واستشرت الكثير من اساتذتي،
بعضهم اخبروني ان مرضها مسألة وقت لأن
جسدها لن يقوى، جعلوني اتحطم بأنها قد تموت،
وبعضهم حفزني بأفكار لم اجدها مناسبة،
أيام وانا انام واصحو على فكرة واحدة وهي كيف سأعالجها
،
الى ان وجدت الفكرة فانطلقت الى مكتب الدكتورة نيولفر

في المصح الخاص الذي تملكه، هو مصح لا
يشبه أي نوع من المصحات النفسية،
بل يبدو كمنتجع سياحي وسط الغابات، العلاج
فيه يعتمد بشكل كبير علي التواصل، والجلسات النفسية
بالتواصل مع الطبيعة،
بخلق بيئة طبيعية للمريض تشعره انه بخير ليس ملزوم بأ
ي شيء، هو أيضاً افادني شخصياً ف
العمل في هذا المكان الرائع يمنحني طاقة اكبر، لا
سيما ان المبدأ الذي أقيم من اجله المصح ينا سبني تماماً.
دخلت لمكتبها بعد ان سمحت لي مساعدتها،
طرقت الباب وانا احمل بيدي الأخرى ملفها،
قلت بحماس دون تحية: وجد فكرة رائعة.
ابتسمت لتخلع نظارتها قائلة: ما كل هذا الحماس يا محمد!
سرت مقترباً من مكتبها، ناولتها الملف لأ
جلس على الكرسي الذي يقابل المكتب قائلا
: سايكودراما.
كانت تقلب بصفحات الملف فلم تنتبه لما قلته: ماذا قلت؟
- سايكودراما، سأدخل التمثيل واخلق قصة لعلا
جها النفسي.
ضيقت عينيها تفكر: فكرة مثيرة.
اقتربت أكثر ن المكتب لأ
كمل: هي تريد ان يصدقوها بأنها ميتة، سآفعل،
سأمثل انها فعلا ماتت، لكن يجب ان يتم نقلها هنا،
لتكتمل الخطة.
علقت مازحة: هل شاهدت فيلماً في الامس؟
- هههه سأصنع لها فيلماً.
- وكيف ستتدبر وتهيئ الظروف.
في الواقع لم تكن الخطة تحتاج الكثير من التعب والتفكير،

عندما كادت تستيقظ ككل يوم،
قمنا بوضعها في حديقة المصح في الخارج،
بدلت الممرضات ثيابها ليلبسانها ثوب ابيض يليق بفتاة ما
تت، راقبتها من خلال نافذة الردهة في الأسفل،
لحسن الحظ انها عندما استيقظت لم ترى نظرات المرضى
والممرضات الذين يراقبون بفضول خطواتها، لأنها لا
تستطيع حتى من تمييز الملامح،
راقبتها تسير تجاه مدخل المبنى رأيتها وهي تحدق في كل
شيء بتعجب، ابتسمت لأن البداية تبشر بالخير،
رأيتها تهم بالصعود للأعلى،
فسرت بخطوات سريعة تجاه غرفتي التي حرصت على تر
ك الباب مفتوحاً ليس كما اخبرتها انه كان مقفلا
ً، كنت قد جهزت صورة للغرفة وهي فارغة بحيث ان توق
فت في مكان سأتظاهر بتصويرها لتظهر الصورة فارغة، بالإ
ضافة فضلت ان اخبرها انني كاتب وارغب ان تبوح لي بق
صتها لأكتبها،
وهي وسيلة لتسرد لي تفاصيل حياتها وماضيها،
لكنها في لحظة معينة كانت اذكى مني عندما سألتني لم ا
دون ملاحظات،
لحسن الحظ انني حينها وجدت إجابة مقنعة.
سقوطها لم يكن اختفاء كما اخبرتها، بل لأن
طاقتها محدودة، جسدها الهزيل لا
يقوى على الوقوف لوقت حتى بل الاستيقاظ،
فكانت تسقط تعباً، خلال فترة نومها كنا نضع لها المغذي
لأنها ما كانت ستقتنع بفكرة تناول الطعام،
اما بخصوص رؤيتها لجدها فكانت عبارة عن أحلام،
لكنني بطريقة اما اعتبرها وسيلة من عقلها الباطن ليجعلها
ا تتمسك، تقاوم، فجدها هو بـ

النسبة لها امتن الخيوط التي كانت تربطها في الحياة،
بعد انقطاع ذاك الخيط وموته، اختلت الموازين لديها،
لذلك في هذا الوقت كانت محاولة لخلق جسر،
او ربما كرأيي شخص طبيعي مؤمن من ان الموتى يشعر
ون بالأ
حياء فهناك احتمال ان يكون حقاً جدها شعر بما تعانيه لذا
لك كان يزور احلامها ليدفعها للمواكبة، لولا تلك الاحلام لا
اعتقد انها كانت ستشعر بالطبيعة، وبي. شعورها ب
المؤثرات الخارجية دوناً عن رؤيتها للناس هذا يؤكد انها تصا
لحت مع محيطها ليس الناس، بأن مصادر الإ
حساس في جسدها قد تمكنت من إعادة الشعور بما يصيب
ها، المرضي الأخرى لنفس مرضها قد يُجرحون، يسقطون،
تتهشم عظامهم لكن نقاط الإحساس بالأ
لم تكون شبه معطلة،
يمكنني ان اعتبر تدخل روح جدها او ربما كما ذكرت خلقها
لحلم به جدها كانت ضربة الحظ التي انتظرها.
ننتقل بعد ذلك لذهابنا للمشفى المركزي،
تعلقها ومطاردتها لفكرة ان تكون في غيبوبة هي بصيص ا
لامل الذي قادها بشكل نسبي للعلاج،
احساسها ثم احساسها بي، كان شيئاً مثيراً.
سألتني الدكتورة نيولفر لتقاطعني من سرد تفاصيل ما فع
لته: فعلا شيء مثير،
أعني تواصلها مع الطبيعة هو شيء معتاد لشخص مقت
العالم، لكن شعورها.
أكملت انا: هذا يدل انها تثق بي.
نهضت من كرسيها لتسير بإتجاه النافذة لتسألني: اخبرتها ب
كل شيء؟
اجبتها: لا، أعني انني اخبرتها بمرضها وكيف مثلت عليها،

لكنني لم أخبرها بقية التفاصيل.
التفت الي لتنسد نفسها على ظهر كرسيها الجلدي المتحرك
: ومتى تنوي فعل ذلك، أعني ما هي خطتك لسير بقية العلاج؟
- هي لم تكمل بقية القصة،
سأخبرك بعد ان انتهي من هذه المرحلة،
احتاج المزيد من الوقت، فنحن الى الآن
لم نواصل بقية الجلسات،
انتظرها ان تستوعب ما حدث لنكمل.
انتهيت من الحديث مع استاذتي، لأ
ذهب فوراً لغرفتها بعد ان عادت للمصبح،
لذات الغرفة التي قمت بالتمثيل بأنها غرفتي،
طرقت الباب لأفتحها، دخلت للداخل، لم تكن على سريرها،
بل تجلس على حافة النافذة العريضة،
تراقب العالم الخارجي وهي تضم ساقيها لصدرها،
ابتسمت قائلا : مرحبا.
التفت الي بهدوء دون ان تعلق ثم عادت لتنظر للخارج،
اقتربت من النافذة توقفت بـ
القرب منها علقت وانا انظر للخارج: لم لا نخرج؟ نتحدث.
نهضت من مكانها دون ان تجيب،
انتصابها كان إجابة بحد ذاتها، خلعت عني معطفي الأسود
لأضعه على كتفيها قائلا : قد تصابين بالبرد.
بقيت هي تنظر الي باستغراب، رفعت يدي لها لأ
سألها: هيا بنا!
نظرت ليدي لثواني، ثم لوجهي حتى وضع يدي بين يدي،
هي حقاً تثق بي، تحتاج للشعور بأن هناك احدا بجانبها،
يمكنها ان تمسك بيده، هذه اهم الأ
شياء التي افتقرتها بعد موت جدها.

يد بيد خرجنا لنسير في الحديقة،
سألتها اثناء سيرنا: اما زلتي ترينهم ظلال؟
حركت رأسها بإيجاب، إجابة متوقعة هي لم تشفى بعد،
تحدثت اثناء مشينا: هذه المرة عليكِ ان تخبريني بكل شيء، ليس من مقابل مساعدتي لكِ،
بل فكري بها من منظور اخر، كأنني صديق.
توقفت لتنظر الي ببرود قائلة: تريد ان تساعدني لأنني حالتك، ليس لأنني أعني شيء لأحد.
اكدت على ما قالته هي: بالفعل ارغب بمساعدتكِ لأنكِ حالتي، لكن هناك شيء أكبر من عملي،
وهو ان افتح السبيل لفتاة صغيرة مثلكِ لترى الحياة مجدداً.
اشاحت بوجهها بعيداً عني، أكملت انا: اسمعيني جيداً، كونكِ لم تغرقي، وما زلتِ تقفين امامي هنا،
فهذا دليل على ان الله منحكِ فرصة لإ
عادة النظر في الحياة، وكأنها فرصة لخلقكِ من جديد،
لنتفق ان الفتاة التي تحملين اسمها الان وهي روح،
كائن جديد قد خُلق بعد الغرق،
حتى انني لن ادعوكِ بإسمكِ الحقيقي ابداً، انتِ روح،
التي ستحكي كل ما مرت به في الماضي،
ونكتب كل هذا في صفحة لنحرقها لا نطويها.
شدت المعطف على نفسها اكثر اثر هبوب نسمات باردة،
ابتسمت لأنها تشعر بالبرد كما افعل انا، لا اكثر مني ولا اقل.
سارت وهي تقول ببرود: سأكمل.
لتعود لسرد بقية ماضيها لي.

روح
٢٥ ابريل ٢٠٠٨

هذا هو يوم مولد اخي، امير، فرحة ابي الكبرى،
لم يفرح هكذا بنا عند ولادتنا انا واختي،
بل فقط الفرح يخصص عندما يولد الذكور، لا فرح يخص ا
لإناث،
هو من قام بتسميته على عكس إساميناا انا واختي عندما
استعر حتى من تسميتنا،
لحسن الحظ ان جدتي سعدية كانت ميتة حينها والا
كانت ستبجل اخي أكثر منا حتى، بـ
المناسبة ابي لم يدعوه أحد باسم (أبو جوى)،
من العيب ان يُدعى الرجل باسم ابنته الأكبر او أي ابنة،
بل يجب ان يكون باسم ابنه او ذكر وان لم يكن لديه،
كان يدعونه قبل ولادة اخي ب
(أبو حسين) وهو ما اعتاد عليه الجميع عندما يرون احدا
سمه (علي)،
شتان ما بين ابي (علي) وعلي خطيب يا سمين. كان ابي يـ
دعه يفعل ما يُريد،
عندما كانت امي توبخه يتشاجر معها قائلا
: دعيه يفعل ما يشاء هو رجل،
حاسبي ابنتيكِ اللتان جلبتا العار لنا. عن أي عار تتحدث يا
ابي؟ دوماً كنت اجي كلمة العار ترتبط بنا،
هل العار يُخصص للنساء فقط؟

لحسن الحظ ان جميع الخلق سيُنادى بأسماء امهاتهم يوم القيامة،
بأسماء نساء استعروا منها في الدنيا. عندما كان امير يسبني انا واختي اثناء شجاراتنا كان ابي يصرخ بنا بأن ندعه،
بل احياناً كان يضحك مشجعاً إياه: أجل هكذا يا ولدي،
اريدك ان تكون رجلاً، اصرخ بهن.
هذه هي الرجولة التي كان ابي يتحدث عنها،
الصوت المرتفع والضرب،
ممنوع ان نشتم او نتلفظ بألفاظ سيئة لأننا فتيات،
ومباح لطفل صغير ان ينطق بها، ليس هو بمفرده،
بل حتى أصدقائه كانوا هكذا،
أحد أصدقائه كان يمنع اخته الكبرى من الخروج فتهتف امه قائلة: (يمة فدوة للرجال، عفية اصكرها).
بالرغم من معاملة ابي الرائعة لأخي لكنه كان في وقت الشجار يخاف، يجري ليدخل غرفته،
انا واختي من كنا نشهد عليها، ونتدخل بها،
كان يحاول بقدر الإ
مكان الهرب من العواصف التي تضربنا بشكل يومي،
حتى بات يجلس طوال الوقت في غرفته،
نراه بشكل طفيف في أوقات تناول الطعام.

جوى

٣٠ أكتوبر ٢٠١٥

كنت قد انتهيت من محاضراتي مبكراً،
قررت ان اذهب لمدرسة أمير لأ
خذه معي اثناء عودتي للمنزل، دخلت للمدرسة الا
بتدائية للبنين،
ا ستأذنت من الوكيل ان اخذ اخي معه و سط تملقه لي وا
سئلته الفضولية حول انني عزباء ام لا، وعن درا ستي،
تملصت منه بصعوبة حتى اتجهت لصفه،
سرت في الممرات وانا أرى بعض الاولاد
يمرقونني بنظرات اعجابه كأنهم يغازلونني،
ابتسمت لتطورهم ونضجهم المبكر لأن
يغازلوا فتاة في الثانية والعشرون،
وصلته لصفه كان الباب مفتوح واحد المعلمين يقف امام
السبورة يشرح لهم، كان شاباً مرتب، لا شيء اكثر،
طرق الباب بيدي وانا ابحث بعيني عنه حتى رأيته يجلس ف
ي الخلف، انتبهت للمعلم الذي ينتظرني ان التحدث معه،
فقلت بارتباك : اوه، اعتذر عن المقاطعة، جئت لأ

أخذ اخي للمنزل، امير
رحب بي المعلم ليسألني: أيمكننا ان نتحدث قليلا ً.
شعرت بالقلق، لكنني بالطبع سمحت له،
خرج من الصف ليسألني ونحن نتوقف على جنب: هل و الديكِ على قيد الحياة؟
اجبته باندهاش: اجل.
- لم لا يأتون لحضور مجلس الإ
باء او عندما نرسل لطلب رؤيتهم.
سألته بشك: هل فعلتم ذلك.
اجابني بتأكيد: مراراً،
مستوي اخاكِ متدني جداً. مشاغب للغاية، لا
يقوم بحل واجباته، الكثير علي اخبار والديكِ به.
صدمت مما قاله، لم أكن اعلم ان امير مهمل لهذه الدرجة،
بل انني لم انتبه ان كانت امي تشرف على واجباته يومياً ا
م لا، حاولت ان اطمئنه: سأحاول حل كل شيء.
ابتسم الي ليدخل للداخل ويأذن لأمير بالخروج،
خرج وهو يسحل حقيبته في الأرض،
ا شرت بحزم لحقيبته قائلة: احملها.
ثنى ذراعيه لصدره ليقل بعناد: لم افعل.
هددته: ان لم تفعل ما أقوله،
فصدقني انني مجنونة وقد افعل شيء يحرجك امام اصد قائك.
نظر لي بحقد ثم انحنى ليلبس حقيبته في ظهره،
نزلنا للطابق السفلي وبخني قائلا ً: لم اتيتِ؟
بل كيف تأتيتن لهنا؟
ماذا سيقول عني أصدقائي عندما تأتي اختي لأخذي.
اجبته ببرود: سيقولون أنك محظوظ لأنك تملك اخت تهتم لأمرك.

تأفف مني لنعود للبيت سائرين على القدمين بينما كان يـ
ضرب الأرض في كل خطوة،
وصلنا أخيراً للمنزل فرمى حقيبته فور دخوله اوقفته عندم
ا حاول ان يجري بإتجاه غرفته: التقطها هيا.
قال بدون اهتمام: سترتب امي البيت، او احمليها انتِ،
انتِ فتاة.
أتت امي اثناء توبيخي له: احملها، اخدم نفسك بنفسك.
علقت امي وهي تمسح على شعره: دعيه انه متعب من ال
مدرسة، وجهت كلامها له،
حبيبي اذهب وغير ثيابك ريثما اضع الطعام على السفرة.
انطلق هو بنصر تجاه غرفته بينما انا اشتطت غضباً من كلا
م امي، هي من تعلمه وتغذيه بدلالها هذا، قلت لها بعتاب:
دلالكم له قد أفسده.
اتجهت لغرفته في الأعلى،
كان هو قد غير ثيابه وراماها ارضاً،
أغلقت الباب خلفي وانا اسدد نظرات الغضب تجاهه قائلة:
لم تجلس في الخلف في صفك؟
علق قائلا ً
وهو يعبث بجهازه اللوحي: ماذا تريدينني ان اجلس في الم
قدمة مع الفشلة.
- فشلة! ان كانوا هم فشلة فمن الرائع انت؟
بدرجاتك المتدنية؟
علق وهو يلعب بجهازه احدى الألعاب: لا شأن لكِ، ابي لا
يقول لي شيئاً.
سرت تجاهه وهو يجلس على السرير بغضب سحبت منه ال
جهاز لأصرخ به: عندما تتحدث مع من أكبر منك،
تحدث بأدب وتركيز
نهض ليقف على سريره ليصبح موازي لطولي: انتِ سيئة،

لا أحد يحبكِ، حتى انكِ تضربين كل يوم لأنك لا تسمعين ك
لام امي وابي، ابي يقول انكِ عاهرة.
اتسعت حدقتا عيني فور سماعي ما قاله لي، ظننت انه لا
يستمع لما يقوله ابي لي اثناء شجاراتنا، بل وظننت انه لا
يعلم معنى هذه الكلمة، مهلا ً كيف يدعونني هكذا؟
رفعت يدي للأعلي لتهبط كصفعة على وجنته،
تجمد هو في مكانه وانا كذلك،
صرخ يبكي مستنجداً بأمي وابي، لبا نداء الا
ستغاثة له فوراً بينما انا انطلقت لأخرج من البيت بأكمله، لا
لست في وضع يمكنني من الدخول في مجادلة معهم،
علي ان ا ستجمع نفسي اولا ً.
ذهبت لمنزل عبد الله، اهرب الى عالمي الخاص،
حاولت منع نفسي من البكاء وانا داخل سيارة الأجرة،
وصلت لمنزله، لم تكن سيارته في مكانها،
يبدو انه في الخارج، أخرجت مفتاحي الخاص، لأ
دخل للداخل، أغلقت الباب خلفي القيت حقيبتي على الأ
رض و سرت لأجلس على الاريكة، اذنت لدموعي بالنزول،
متى أصبحت سيئة لهذه الدرجة؟
متى أصبحت ا ستخدم الضرب و سيلة للتعبير عن غضبي؟
سمعت صوت الباب يفتح التفت لأراه قد عاد،
توقف عند الباب ينظر الي بقلق حاملا ً
حقيبته علي كتفه، اغلق الباب ليأتي تجاهي فوراً: ما بكِ
نهضت لأحتضنه وازداد بالبكاء،
قلت له و سط شهقاتي: انا سيئة، لقد ضربت اخي.
اجلسني ليمسح بيده دموعي، حاولت تنظيم انفا سي،
بلعت ريقي لأخبره عما حدث،
قلت وقد عادت دموعي تتجمع في عيني: تخيل انه نعتني
بالعاهرة! لأنه سمع ابي يقول عني ذلك،

أترى الى اين ابي اوصلنا!
بإبهامه مسح وجنتي المبللة: انه طفل، لا يعي ما يقول.
- أصبحت سيئة كأبي، عندما يمسني الغضب ابدأ بالضرب.
- اششششش، وضع يده على شفتي ليكمل،
انتِ لستِ كذلك، انتِ أفضلهم.
ابتسمت له لأقاوم دموعي، مطيت شفتي لأ
علق: لكنه بات سيئاً جداً، امي وابي قد افسداه.
قال ليحاول اضحاكي: انتِ ماهرة في ترويض السيئين.
- انا انجذب اليهم ربما.
اقترب ليقبل شفتي بهدوء فأغمضت عيني لسحر شفتيه،
ابتعد ليجعلني ادوخ فتحت عيني فابتسمت له قائلة: اعتقد انني الان املك طاقة لمواجهتهم، امسكت بيده بقوة لأكمل، لأننا معاً.
ثرثرنا قليلاً، لكن أزعجنا هاتفي لكثرة الاتصالات،
اعلم ان بإنتظاري عقاب في المنزل، لا بل عقابين،
نهضت من مكاني قائلة: يبدو ان علي ترك الجنة و الذهاب فوراً للجحيم.
قال بخيبة وهو يعود بظهره للوراء على الاريكة: ليتني أستطيع انتشالك منها.
ابتسمت وانا اترك يده واهم بالخروج: سنفعل، هههه في يوم ما.
- اها.
ضحكت وانا اخرج، اعلم انه كاذب، ليس لديه امل، بل هو يستمر لأن علينا الاستمرار، لأننا قد نموت مختنقين ان خرجنا عن حبنا، لذلك هو معي، بينما انا احارب واعيش لأنني أرى نوراً امامي، أرى مجرة كاملة بإنتظاري.
عدت للمنزل وانا مستعدة لسماع النشيد التوبيخي كالعادة

، كان ابي حينها في الصالة يجلس بوجوم،
بين أصابعه سيجارة تحترق، يراقب الاخبار ببرود واقتضاب
،
بينما امي تضع امامه الشاي وبلسان معسول تدعوه لشربه، دون كلمة شكر كعادته اخذه منها،
زاغت عينه تجاهي وانا أقف عند باب الصالة،
اعتدل وهو يضع (استكان) الشاي على الطاولة،
ليرحب بي باستهزاء: اخيراً عدتِ؟
ابتسمت له بنفاذ صبر، ليبدأ بحسابي: كيف تضربين اخاكِ؟
من الرجل بكما؟ من سمح لكِ بلمسه.
قلت وانا اجز على اسناني: هل يحق للرجل الضرب فقط؟
أعني لأنني امرأة فيجب ان اتلقى الضرب؟
استفزني أكثر: اجل هو كذلك.
- لم تحاسبه على ما نعتني به؟
على ذاك اللفظ السيئ الذي قاله بحقي؟
رفع يده مهدداً: ويلكِ ان تدخلتِ به مرة أخرى، مفهوم؟
اجبته لأنهي النقاش: مفهوم.
انطلقت للطابق العلوي،
مررت من جانب غرفته حيث كانت بابه مفتوحة،
نظر لي من بعيد بينما انا حاولت تجاهله،
دخلت غرفتي رأيت نجمة نائمة تأففت ارغب بالحديث،
سمعت صوت الباب يُفتح،
التفت وانا أقف امام مكتبي فرأيت امير يقف عند الباب،
قلت بحزم: لا يجوز فتح الباب هكذا، عليك الاستئذان.
اغلق الباب حتى ظننته رحل،
لكن سمعت صوت طرق الباب، ابتسمت لأ
سأل: من الطارق؟
جاني صوته من خلف الباب: انه انا.

أسندت جسدي علي المكتب لأضم ذراعي لصدري: تفضل.
فتحت الباب واغلقه خلفه،
اقترب مني حتى أصبح يقف امامي مباشرةً، قال وهو مطأطأ الرأس: انا اسف.
رفع أحد حاجبي لأسأله: على ماذا؟
اجابني ومازال ينظر في الأرض: لأنني شتمتك.
وضعت يدي علي خصري قائلة: وماذا ايضاً؟
- ولأنني سيئ.
ارخيت يداي ووضعتها على كتفيه وانا انحني لأصبح في مستواه: انت لست سيئ، قلبك مازال نقياً، لكن لا تقلد أي أحد، ليس جميع من يكبروننا محقين دائماً، دع قلبك من يقدك، ان رأيت أنك سعيد بفعل معين، افعله، أترى ان رفعك لصوتك و
الحديث مع اختك الكبرى شيء يجعلك سعيداً؟
أترى ان احزاني شيء يدعو للسعادة؟
حرك رأسه نافياً، امسكت بذقنه ورفعته لأنظر لعينيه قائلة: لنعقد اتفاق، مهلاً لا يُريك.
التفت على اللوحة الوبرية التي أعلقها اعلى مكتبي قائلة: سأضع ورقة هنا، اكتب عليها كل فعل جيد تقوم به خلال الأسبوع، سواء كان في الدراسة او مع أي أحد. وفي نهاية الأسبوع ستكون لك مكافأة.
سألني والحماس يتوهج داخل عيناه: ما هي، ما هي؟
قمت بحك جبهتي أفكر ثم انطلقت أخبره: مممم مثلاً، اصطحبك للذهاب للسينما، او نشاهد احد الأفلام معاً في المنزل، بالإضافة سأعد لك البان كيك الذي تحبه بالشوكولا.
صفق بيده وهو يقفز ليحاوط خصري قائلاً: اتفقنا، انا موافق.

رفعت كف يدي لأ
ضرب بخفة كف يده دليل على إتمام تلك الصفقة.

الفصل الثاني والعشرون

عبدالله
٣ يوليو ٢٠١٦

اشتاق لجوى كثيراً في رمضان تحديداً، لا
أعلم أي فلسفة هذه التي تجعلها تزورني طوال السنة وتم
تنع عني في هذا الشهر! ما الفرق ان كانت الخطيئة واحدة
؟ افكارها متناقضة جداً،
بل انها حتى تكاد ان تصبح رابعة العدوية من كثرة صلواتها
ا، بل انها حتى ترتدي الحجاب فقط خلال
صيامها نهاراً لتخلعه ليلا
ً، اراها تراوغ ما بين الدين ورغباتها، لا
تملك الخيار لفعل ما تشاء. ب
المناسبة حتى مزاجها يصبح رائع في هذا الشهر،
تبتسم وتغني بطفولية أغاني رمضان، كأنه رمضانها الاول،
تحضر لي كل سنة فانوس تعلقه قسراً،
وكأنني سأصوم او سأقيم أي شعائر دينية،
اخبرتني في اخر مرة رأيتها بها وهي الليلة التي أعلنوا فيها
ان رمضان مقبل في اليوم التالي، ق
الت لي: سأكثف الدعاء هذه الشهر تحديداً،
لعل دعائي يستجاب وتصبح نصيب.

ابتسمت بسخرية حينها، وكأن الله
سيلبي دعاء شخص مثلي! ان كنت انا نفسي امقتها،
فكيف هو؟
لكن حتى تلك الفكرة جوى قادرة على ان تجادلني بها،
تخبرني ان الله يحبنا أكثر مما نحب نحن أنفسنا، كالامهات،
بل وأكثر، لكن حتى الا
مهات يغضبن في أوقات معينة ويعاقبن اولادهن،
لذلك نجده عندما نرتكب آثام يغضب منا لكنه لا يكرهنا، ف
الله نور والنور لا يعرف الكراهية.
افكارها ساذجة ولكنها مثيرة، لأ
نها تؤمن بها لدرجة القتال من اجلها،
تقدس مبادئها بشكل مبالغ فيه.
المهم انني في تلك الليلة،
اتصل بي علي يطلب مني مرافقته لشراء بعد الأشياء لأن
زفافه سيكون في العيد، سخرت منه قائلا
: ما زلت مصراً على ان ترتكب هذه الجريمة بحق نفسك
.
- هههههه بالمنا سبة كنت ستصبح مثلي لولا ما حدث.
انتهيت من ارتداء ثيابي، وهممت بـ
الخروج من المنزل اتصلت بجوى وانا ما زلت في الحديقة،
اجابتني بحماس: حبيبي.
رفعت احد حاجبي وانا اسخر منها: كيف تقولين حبيبي في
رمضان!
-هههههه سخيف، كنت للتو اتحدث عنك.
سألتها بفضول: مع من؟
اجابتني: يا سمين، أتت لنجهز بعض الأ
شياء النسائية التي تخص الزفاف.
ابتسمت لأسأل بمكر: مثل؟

- ثياب.
- تعلمي اذن اعتقد اننا نحتاج أشياء كهذه.
قهقهت بخجل: هيييييي .
- هههههه المهم،
سأتصل بك عند عودتي انا ايضاً سأخرج برفقة علي الى م جمع الليثي.
قالت لي: عبد الله، انا احبك كثيراً.
سخرت منها: هههه ماذا هل سأموت؟
- لاااا، لكنني شعرت انني، صمتت لثوان حتى أكملت، شعرت ان علي اخبارك بذلك.
قلت وانا ابتسم: وانا ايضاً.

روح
٥ يوليو ٢٠١٦

كان يوماً متعباً،
مع ارتفاع درجات الحرارة بات الصيام أصعب،
مع انقطاع الكهرباء المستمر، الوقوف في المطبخ لا
سيما تلك السويعات التي تسبق الفطور هي الأصعب،
يصبح الامور منافسة مع الوقت لإ
تمام الطعام بحيث قبل نطق المؤذن ل (الله
وأكبر) تكون السفرة جاهزة والمعلقة بيد ابي،
انتهى الفطور اكلته بهدوء، بعد ذلك اتجهت لأ
نزوي في غرفتي،
بعد منتصف ساعة كانت يا سمين قد أتت لمنزلنا بأكياسها
المنتفخة الكثيرة، نثرت الثياب الجديدة التي ما ز
الت بطاقات الشراء تتعلق بها،
كانت في غاية حماسها اثناء اظهار ما اشترته للزفاف،
كانت جدتي ايضاً معنا في الغرفة،
تضحك وكأنها مراهقة لتخبرها ما عليها تحضيره للزواج،

راقبت ما تفعله ببؤس، بينما كان الفرح يتلألأ في عيناها،
ترقص بين الحين والأخر لتغني لنفسها اغنية الزفاف،
كل شيء كان طبيعياً، ليلة رمضانية تخلو من أي اثارة،
او ربما استعجلت بقولي لهذه الكلمة،
تلك الليلة لم تكن عادية، بل انقلب،
شعرنا بهزة تصيب المنزل، مصاحبة لصوت انفجار عالي،
جعلنا نتخشب في اماكننا، لأن هذا الانفجار بدى قريباً،
بدى شيء لم نعتد عليه، خرجنا من الغرفة جميعاً لننزل للأ
سفل، جدتي وامي كانتا يستنجدان بالله، ق
الت جدتي: حسبي الله على الظالمين، حتى في رمضان.
خرجنا للخارج لنطل من باب البيت على الشارع،
كان الجميع قد خرج من منزله ليرى تلك الهالة الدخانية الت
ي خنقت السماء في تلك الليلة، انفجار أصاب حينا لكن لا
نعلم أي شارع،
كان بعض الجيران يجرون يحاولون الذهاب للموقع الذي ان
بعث منه الدخان،
بينما مراهقين يجرون يصيحون قائلين: انفجر مجمع الليث
ي.
لم يستوعب أحد ما قيل،
لكن صرخة يا سمين جعلتنا ندرك حجم الكارثة التي حلت
علينا، التفت يا سمين لنا وعيناها تخرجان من مقرهما ق
الت والحروف تتشابك على لسانها: علي!، هناك.
- عبد الله ايضاً!

محمد
الحاضر

فور وصولي للمصح،
وجدت قدماي تأخذاني لغرفتها قبل حتى زيارة مكتبي،
كانت الساعة تقريباً التاسعة والنصف صباحاً،
عند وصولي كانت الممرضة في غرفتها، لكنها بالطبع لا
تتجاوب معها،
نوع من المسؤولية يجعلني أحاول البقاء معها طوال الوق
ت، اعلم انها قد تشعر بنوع من الخوف ان رحلت ككل يوم،
لذلك بعد ان استشرت الدكتورة نيولفر سمحت لي بالا
قامة في المصح كبقية الأطباء الدائمين هنا،
كانت روح تجلس على كرسي ترتدي ثوبها،
شعرها مبلل بينما الممرضة بـ
القرب منها تحاول ان تمشط شعرها، لكنها لا تتجاوب معها،
ابتسمت لأقول: صباح الخير
التفت لجهتي لتنظر الي، فاتسعت ابتسامتي، ملا
محها المتوترة قد هدأت رغم انها لم تبتسم،
لكن هذا مؤشر جيد،

اخذت المشط من الممرضة وطلبت منها الخروج لإ
حضار الفطور لها، قلت ومشيرا بـ
المشط: سنتناول الفطور معاً، لكن أولا ً
دعينا نمشط شعرك
اقتربت لأقف خلف كرسيها، انحنيت لأ
شم رائحة شعرها قائلا ً
لها بصوت مسموع: رائحة شعرك تبدو زكية جداً،
هل يمكنك ان تمشيها؟
حركت رأسها بهدوء بلا، امسكت احدى خصلات
شعرها الرطبة لأبدأ بتمشيطها، شعرها الأسود الناعم لا
يحتاج لذلك حتى،
رأيت انعكاس صورتها في المرآة تقطب حاجبيها،
تفرك يداها ببعضهما، التقت اعيننا ببعضها للحظة،
كانت عيناها ترتعش، ثم اخفضت بصرها فوراً للأ
رض وهذا يعني انها تخاف من شيء،
قلت وانا ما زلت أمشط شعرها: انتِ لا تخافين مني،
اليس كذلك؟
اجابت وما زالت هي تحدق في الأرض: لا، لكن.
صمتت فشجعتها: اذن؟
- هذه المرة الا
ولى التي يمشط لي أحدهم شعري بعد جدي.
ابتسمت لأترك المشط وانحني للأ
مام اقتربت بصدري تجاهها كنت اريد وضعه على الطاولة ال
تي امامها، رائحة عطرها قريبة جداً،
اغمضت عيني لثواني فعدت فوراً للخلف،
تباً لك ما الذي تشعر به! تنهدت لأحاول تنظيم انفا سي،
مددت يدي لأحرك اصابعي على شعرها بهدوء،
بدأت امسحه، ادخل أصابعي بين الخصلات،

اقترب بها تجاه عنقها من الخلف لأرتفع مرة أخرى،
أحاول ان ابعث فيها إحساس الأ
مان الذي كانت تشعره به تجاه جدها،
اعيد لها كل شعور فقدته حتى تجردت من الإ
حساس بأي مؤثر خارجي.
بالمنا سبة انا ايضاً ا شعر بشيء،
ما افعله يحركني من الداخل، يجعلني اتوتر،
لوهلة اصابعي تتصلب، وكأنني غير قادر على الا ستمرار،
سحبت يدي رغماً عني لأعلق: انتهيت، تبدين الان جميلة.
رفعت نظرها للمرآة لترى ذاك الوجه الأبيض، هادئ الملامح،
التفت الي فقلت أحاول ان افتح موضوعاً: ما رأيكِ ان نتنا
ول الفطور في الخارج، الجو رائع.
التفت للنافذة لترى صحة كلامي،
او ربما ذكرتها بطريقة ما ان هناك عالم في الخارج،
مددت يدي الباردة التي اكتسبت هذه البرودة من قطرات ا
لماء التي علقت في شعرها، وضعت يدها في يدي لتنهض
،
طلبت منهم ان يحضروا الطعام في الشرفة الموجودة في
الردهة العلوية، لم يكن هناك أحد من المرضى،
سبحت لها الكرسي لتجلس على طاولة بجانب السور الخ
شبي الذي يطل على منظر رائع للغابة التي امام المصح و
المساحة الخضراء الواسعة، جلست امامها مبتسماً،
نظرت هي للطعام ليس لديها نية بتناوله،
رفعت شوكتي مشيراً: ان تناولتِ الطعام هذه المرة،
فستجعليني احقق انجاز كبير، هذه وجبتكِ الاولى بعد ولا
دتكِ
تعمدت قول كلمة ولادتها، لأنني اعتبرها للتو قد ولدت،
من رحم الألم والفقد. حركت رأسها لا ترغب،

لكنني غرزت قطعة صغيرة من الجبن بـ
الشوكة وقربته منها انوي اطعامها،
بقيت تراقب هذه القطعة، لدقيقتين ربما،
شعرت ان يدي قد تعبت لكنني قاومت،
قربت فمها بهدوء لتلتقطها به،
بدأت بمضغها كأنها تفعلها للمرة الاولى، لكن هذا طبيعي،
فحتى قدرتها على التذوق قد فقدتها،
اقتربت واضعاً مرفقي على الطاولة لأ
سألها بفضول: ما طعمها؟
اجابتني: مالحة.
ابتسمت لأ
رفع قبضة يدي في الهواء احتفل بإنتصاري: هذا هو،
شكراً لك
سألتها: اتودين ان نكمل حديثنا هنا؟
اجابتني: اجل.

الفصل الثالث والعشرون

جوى

٥ يوليو ٢٠١٦

لم أتمكن من استيعاب شيء وانا أرى فوضى تدور من حو
لي، دخان يخنق المدينة، وصراخ، أصوات سيارات الإ
سعاف تصل الينا رغم المسافة الشبه بعيدة،
أفقت على صوت يا سمين وهي تصرخ، علي وعبد الله

لله ذهبا هناك! دار داخل رأسي ما قاله اخر شيء،
هل حقاً سمعت مجمع الليثي؟ ام انني توهمت،
بقيت متوقفة اسمع يا سمين وهي تصرخ وتبكي بينما ام
ي وجدتي تحاولان تهدئتها، فجأة انطلقت لأدخل للداخل،
ارتديت عباءة جدتي بسرعة من غرفتها وجريت للأسفل لأ
خرج، اوقفتني يا سمين وهي تناديني: انتظريني.
وبختني امي وهي تسأل عن سبب خروجي، لم استمع لها،
كان عقلي متوقفاً، اطرافي جميعها ترتعش، لا لا،
انا ادعو له في كل صلاة ان يحفظه الله،
لقد وضعت منذ زمن ورقة بها اية الكرسي في محفظته د
ون علمه، كلام الله معه لن يصيبه مكروه،
هكذا طمأنت نفسي رغم روعتي، أتت يا سمين بقدمين لا
تحملانها، جررتها من يدها بقوة لنخرج، كان مكان الا
نفجار على بعد خمس شوارع من بيتنا،
جرينا وسط الناس الذين هرعوا لمكان الحادث المروع،
جميعهم يبحثون عن خبر يكذب هواجسهم،
وصلنا للشارع الذي تم تفجيره قبل قليل،
كانت النيران تأكل جسده بالكامل، سيارات، محلات تجارية،
كانت الجحيم بحد ذاتها امامنا،
نيران تتصاعد لتنهش حتى السماء بدخانها،
المت النيران وحرارتها التي رغم وجود مسافة اعيننا،
بقينا متوقفتان نراقب نهاية العالم،
الهول الذي التهم فلذات اكبادنا، جريت مقتربة اصرخ: عبد
الله، لاااااا.
ناديته حتى تشققت حبالي الصوتية،
التفت ليا سمين التي كانت تجلس على ركبتيها تلطم وجه
ها والنيران معكوسة في عيناها،
ضربت وجنتيها بمرارة لتنوح قائلة: مات، مات، رحل.

اقتربت منها وانا اصرخ واهزها: لا، لا، اخرسي.
كان الصراخ يملي المساحة هذه، النيران تقتد أكثر وأكثر،
وكأنما هناك انفجارات تحدث وتشعلها أكثر،
حاول الناس ابعادنا لأنها باتت قريبة منا،
تريد ضمنا لمن نحب ايضاً، بقي الجميع يراقب بعجز،
يرون تفحم أجساد كانت في يوم من الايام مجرة لهم،
مجرتي كانت معهم ربما،
ايمكن للمجرات ان تموت بإنفجار على سطح الأرض،
ليس كوني؟
يا سمين شدت شعرها بقوة وضربت نفسها كثيراً،
بينما انا اقترب من الحريق، وابتعد، لا
لن اصدق شيء ما لم أرى جسده،
ما لم يأتي ملك الموت نفسه ويخبرني انه سرق روحه من
ي، بهستيرية اقتربت من يا سمين لأ
مسك يدها أحاول انهاضها قائلة: غبية ربما ليسا هناك،
تعالي نتأكد.
لكنها لم تنهض معي فتركتها وحاولت الاقتراب،
الدخان يدفعني بيده والحرارة ترميني بقوة،
حتى شعرت بأحد يحاول سحبي للوراء، جررني للوراء ف
التفت لأدفعه: ابتعددددد عن
تجمدت في مكاني وتجمدت الدموع على خدي،
حبيبي! اتسعت عيناي انظر له بينما هو ينظر للغول الدخان
ي خلفي، رفعت يداي اتحسس وجهه،
هو حقيقي لم يصبه مكروه،
نزلت يدي من على وجهه وتلمست صدره،
قلبه الذي مازال ينبض، حتى يده التي كانت ترجف،
صرخة يا سمين وهي تنهض مقتربة من عبد الله
لتسأله بصدمة: لم يحدث لكما شيء!

أشار بسبابته تجاه النار ليجيب بجمود: هو هناك.
التفتنا للمكان الذي تسلقت فيه ارواحهم لتصعد للسماء،
علي مات! لطمت وجهها بقوة لتصرخ: لاااا، لاااا، مااات، لا
اا.
اقتربت منها لأحتويها، حاولت ان تدفعني، تضربني بقوة،
بينما انا ابكي مثلها، ابكي على صديق رحل قبل اوانه،
على زوج ترك عرسه الذي سيقام بعد أيام،
على ولد لم تزين امه يده بالحنة،
على حبيب لصديقتي الذي بات يحبها لسبع سنوات وأكثر،
على شاب عراقي سيحتفل بـ
العيد هذه السنة في الفردوس.
من قال ان الاحزان تتضاءل؟
كيف تفعل ان كان مصدرها شخص فقدناه ليس فراقاً عاد
ياً بل ابدياً لا لقاء بعده، لا مكالمة هاتفية ولا رسالة، لا
شيء سيصل منه بعدها، لا صدى صوته، ولا ملمس يده،
يومان مرا كأنهما دهراً، لازمت يا سمين خلال هذه الفترة،
حينما تم نقلها للمشفى لأ
نها سقطت وخارت قواها من شدة البكاء والنوح،
يومان وانا لا اعلم شيئاً عن عبد الله بعد ان فقد أخيه،
يومان وعيناي متورمتان،
ابكي واراقب التي ذبل جسدها على السرير تبكي بصمت،
بلا صوت،
بحنجرة خانتها بعد ان استغرقت هي كل قواها في الصرا
خ فلم يتبقى منها شيء،
دارت عيني في الغرفة البيضاء التي امامي،
عروس كان من المفترض ان تكون الان
في احد الصالونات لتتجهز نفسها فبد أيام زفافها،
وام تجلس على الكرسي الذي استقر بالقرب من السرير،

تسند رأسها على يدها لتنظر بحسرة لإ
بنتها التي لم تذق طعم الهناء، تبكي وتسأل عنه وصوتها لا
يساعدها لتقبض على الفراش بقوة،
أي دواء واي مشفى ذاك الذي يمكنه ان يعيد لنا حبيب سك
ن في السماء؟ تمكنوا من صنع كل شيء،
حتى انهم يهمون بصنع انسان كامل يشبهنا،
لكنهم لم يجدوا حلا ً للإنسان نفسه، للفقد، للموت،
للشوق،
لتلك الحاجة التي تنخرنا من الداخل. خرجت يا سمين وتم
كن ساقيها من حلمها لتطلب منا الذهاب لمنزله، للعزاء،
لذاك المنزل الذي منذ أيام كان مزدحماً بالتحضير للاحتفال
بالزفاف، والان مزدحماً بزفاف لكنه من اخر،
امسكت بيدها بقوة ونحن مقبلين على الدخول للمنزل الذ
ي كان من المفترض ان يكون العش الذي سيقيمان به،
كان صوت القران والبكاء يعمان في الأ
جواء. بدأت انتحب فور دخولي،
رأيت صورته التي علق على طرف اطارها شريط ا سود،
علقت على الجدار، يبتسم هو بينما تحدق الابصار به باكية،
رحل قبل اوانه، رحل دون وداع، التفت ليا سمين،
كانت هادئة، تنظر للجميع دون إدراك،
تائهة ربما تنتظر قدومه او نزوله من غرفته ليخبرها انها كان
ت في كابوس، وان الزفاف سيقام، و ستصبح هي ملكه،
رأيت امه تجلس على الأرض بين النساء متربعة،
تبكي وتمسح وجهها بشالها الأ
سود الذي أصبح رثاً من تجفيف الدموع،
نادت بحسرة على يا سمين لتقترب وتجلس بجانبها،
فهبطت يا سمين لتجاورها وهي تراقبهم بذهول،
احتضنتها ام علي لتنوح قائلة: لم افرح به،

لم احني يده بعد، لم أرى اطفاله بعد، ليتني مت قبلك.
ليتنا نموت عوضاً عنهم، نحن نفقد الحياة بموتهم، لا
حياة لنا بعد موت مجاراتنا. أيام مرة مرت حتى شعرت انن
ي أستطيع ترك يا سمين التي باتت فاقدة للإ
حساس بأي شيء،
يا سمين التي ارتدت فستان زفافها الذي كانت سترتديه له
ومعه، يا سمين التي قطعته اثناء ارتدائها له، و
التي باتت تقبل صوره وتخاطب روح لم تعد تسكن هذه الأ
رض، يا سمين التي عشقت القبور لأن
أصبح أحد ساكنيها حبيب رحل قبل الا
وان. رغم قلقي على عبد الله الا
انني كنت أخاف من ان اراه، لا يمكنني حتى تخيل ح
الته هذه؟ او ما يشعر به.
ذهبت لمنزله، كانت سيارته في الخارج غطاها التراب،
طرق الباب وضربات قلبي تتسارع، خائفة منه وعليه،
فتحه لي لأرى وجهه، ذاك السواد الذي يحيط بعينيه،
وجهه الذابل،
رائحة النبيذ المخلوطة مع رائحة عرقه ودخان سجائره،
سار وترك الباب مفتوحاً لي، دخلت بهدوء وانا اراقب ح
ال المنزل، كسر كل شيء، أصبح يسكن في خرابة،
زجاجات البيرة مكسرة تفرش الأرض،
كراسي مقلوبة على ظهرها، صحون متهشمة،
سرير مبعثر وو سادات ملقاة على الأ
رض. اقتربت من حيث جلس هو امام سريرها على الأرض،
جلست امامه كالقرفصاء، رفعت رأسه ليوجه كلا
مه لي: هذا هو البلد الذي تحبينه؟ تمجدينه؟ اتكون الأ
وطان كذلك؟
بقيت انظر اليه بحزن أعجز عن الإ

إجابة فاستمر هو بسؤالي: اتقتل الأوطان أبنائها؟
يموتون ليحيى الوطن! من هو الوطن عفواً؟ أي وطن هذا؟
الساسة الفاسدين، ام المواطنين المخربين؟
علق بسخرية: لا تخبريني ان الوطن نحن؟ لأ
ننا نموت كل يوم، نتناقص مع طلوع شمس النهار
حلقي جف بأكمله، انا حقاً لا املك إجابة ولا
الومه حتى علي أي كلمة قالها،
نهض من مكانه فانتصبت انا ايضاً،
ابتسم مقترباً أكثر مني: كنت سأكون معه لولا
ان سيارتي تعطلت واضطررت لأخذها للصيانة قبل ذهابي،
رفع صوته ليكمل: كنتِ ستصبحين مكانها،
هل كنتِ ستحبين وطنكِ هذا؟
تدحرجت دموعي وانا اراه هكذا، لا يسعني فعل شيء،
جر على اسنانه ليقول: انا أكره نفسي، وأكره هذا الوطن،
وأكره الله لأن ما ز
ال مصراً على ان يعذبني بأخذ جميع من أحبهم، لا
يأخذني عوضاً عنهم لأنفذ من هذا العالم.
اقتربت منه لأحتضنه وابكي، كان جسده متصلباً، لا
يبدي أي حركة، دفعني بعيداً عنه وهو يمسك بمرفقي قائ
لا ً: لحسن الحظ اننا لم نتزوج، انا سأرحل لا
يمكنني البقاء اكثر على هذه الأرض.
ورحل!

الرابع والعشرون

روح

الحاضر

استيقظت، فتحت عيناي لأرى ذاك السقف الأبيض،
انا في المشفى لا شيء جديد سوى انني اتلقى العلاج لأ
تعافى، لا املك أدنى فكرة ما الذي سأفعله بعد علاجي،
لكن حتى محمد طلب مني ان لا
أفكر سوى الخضوع لهذه التجربة التي اعتبرها فريدة،
لكنني حقاً مللت. سمعت صوت الباب يُفتح لم أأبه قد تكو
ن احدى الممرضات،
سمعت صوته وهو يقول بنشاط: صباح الخير
اجبت بهدوء بينما انا ما زلت مستلقية: صباح، ال، النور
اقترب فتوقف بجانب السرير ينظر الي،
عيناي ما زلتا معلقتان في السقف كثريتين، قلت: لا
اشعر ان هناك شيء يجعلني استيقظ من اجله.
جلس على طرف السرير عند قدمي ليسألني: منذ متى واذ
تِ تشعرين بشيء كهذا؟
- منذ زمن، حتى انني، صمت لوهلة، نظرت له لأ
كمل: حتى هنا، لا اشعر بأن هناك داعٍ لعلاجي.
- الحياة تستحق،
كما اخبرتكِ الفرصة الثانية التي مُنحت لكِ كافية لتقفزي
من الصباح من سريركِ
لم أعلق بل ظلت اعيننا تحدق ببعضها،
نهض ليخلع نظارته ويضعها في جيب قميصه،
فرك يداه ببعضهما قائلا ً: هيا.
رفعت رأسي قليلا ً من الوسادة لأسأله بفضول: الى اين؟

اجابني بحماس: اليوم لا يوجد أي نوع من الجلسات او الا
دوية، سنمرح فقط، هيا انهضي،
غيري ثيابك سأنتظرك في الخارج.
خرج من الغرفة، انقلبت على جنبي اليسار أفكر،
ما الذي سأخسره ان نهضت؟ لأرى ما يمكن فعله، نهضت
لا ُغير ثيابي، خرجت من الغرفة لأراه ينتظرني،
سرت برفقته، وجدت يدي تمتد لتمسك بيده،
توقفت عن السير أحاول استيعاب ما فعلته،
رفعت رأسي لأنظر له، سألني وهو يبتسم: ماذا؟
حاولت ان اسحب يدي بخجل، منذ متى أصبحت هكذا؟ ق
ال لي: لا تفعليها.
شبك أصابعه بين اصابعي، انزلت رأسي،
شعرت بشيء غريب، اكاد ان ابتسم،
سرنا ونحن هكذا الى ان خرجنا للخارج،
كان هناك دراجة هوائية،
ترك يدي و سار ليركبها لينظر الي ويدعوني قائلا
ً: اجلسي خلفي.
قلت وانا اقترب منه بحذر: أتعلم انني لم اركب دراجة من ق
بل.
نظر لي بصدمة فأكملت بحسرة: كانت امي تمنعني وانا ص
غيرة، لأنني فتاة، لا يجب ان اقود دراجة هوائية.
غمز الي وهو يبتسم: اذن لتصبح هذه المرة الا
ولى. سيروق لك الامر
سألته: ماذا ان سقطت؟
- أسقطي.
- وإن أصبت؟
- ستتعافين وتنهضين مجدداً.
جلست في الخلف لأمسك بكتفيه، فبدأ بقيادتها، شعرت بـ

الهواء وهو يضرب وجهي بلطف،
يتعلق شعري في الهواء ليطير مع نسماته،
اغمضت عيني لأترك احدي يدي لأ
جعلها تتعلق في الهواء ايضاً،
امسكت الرياح بخصري كأنها تراقصني،
دغدغت ساقي بلطف فحرتها قليلا ً لتكبر بسمتي، عدت لأمسك بكتفيه بكلتا يدي، اعدت رأسي للوراء، فتحت فمي لأفتح فمي، تنفست بعمق كأنني لم اتنفس من قبل،
تذكرت ذاك النسيم الذي كان يحتضنني وجدي يهز الا رجوحة بي في حديقته، المشاعر تعود الينا ذاتها،
لكنها تعود لنا مع اشخاص مختلفين، وأماكن أخرى،
حتى اننا نتغير
أوقف الدراجة جانبا على الطريق فترجلت وهو ايضاً. سألني وهو يلتقط أنفاسه: ما رأيك؟
ابتسمت لأجيبه: رائع.
- حقا!
حركت رأسي بإيجاب، قال لي: لنعد سائرين ونتحدث في طريقنا.
ابتسمت لأسير معه،
قلت وانا انظر مباشرة نحو الطريق: سأكمل لك، لأ تخلص من كل شيء.
رفع كفه في الهواء ليقل بحماس: لنفعل اذن.
رفعت كفي موازياً لكفه، فضربه كحركة تدل على الموافقة.

عبدالله

٥ أغسطس ٢٠١٦

راقبتها وهي مستغرقة في ترتيب الحقيبة،
تلقي نظرة على الرفوف والخزانات الفارغة،
ثم تعيد نظراتها للحقيبة، تقعد حاجبيها كأنها تفكر في الأ
شياء الناقصة،
معذبتي تحزم حقائبي حيث سأسافر واتركها،
تساعدني في الدعس على قلبها،
تجمعت الدموع في عيني، نهضت من على الاريكة لأ
سير تجاهها وهي جالسة على الأرض امام الحقائب و
الثياب المتجمعة حولها، انحنيت لأ
حتضن كتفيها من الخلف، قاومت بكائي لأ
رجوها: ان طلبتِ مني البقاء سأفعل.
شعرت بأنفاسها الساخنة، بقلبها وهو يرتعش داخل صدرها
، قالت بمرح: انتِ تجعلني انشغل، لا
نملك الكثير من الوقت، هناك أشياء بعد لم تحزمها.
امسكت بكتفيها لأنهض واجعلها تنهض برفقتي،
التفت الي فأمسكت بيدها وقدتها تجاه السرير،
استلقيت عليه لأجرها تجاهي،
احتضنتها حيث كان صدري امام ظهرها، يلتصق به بقوة،
يدي تمر من فوق خصرها لتتشابك مع يدها على الفراش،
ساقي فوق ساقيها اطوقها،
رأسها على ذراعي ورأسي على رأسها، قلت وانا انظر للا
مام حيث تنظر هي: تعالي معي،
لنكسر تلك القواعد السخيفة.
علقت ساخرة: تمردت بما فيه الكفاية، اعتقد انه ان الاوان لأ
ن افكر بعقل.
بداخلي كلام كثير اود ان أخبرها به لكنني لا

ا أستطيع او ربما أعجز عن التحدث، شيء يمنعني،
حاولت بجهد ان انطق ما اشعر به: انتِ لم تكوني حبيبتي
فقط، امي، ابنتي، صديقتي، مجرتي.
قالت لي بتحذير: ستترك الكحول، لم تعد لك حجة ههه،
ان مارست حياتك بشكل طبيعي، في مكان آمن،
عليك ان تعود الى الله،
سيكون لديك سبب حينها لتعبده ان لم تجد هناك أسباب
كافية لعبادته على حالك هذا.
ترك يدها لأ
رفع يدي وامسح وجنتي التي تبللت قائلا: انتِ سخيفة،
وكأنك لا تعلمين انكِ جميع الأ
سباب التي كانت تدعوني للبقاء هنا.
رفعت يدها لتسحب يدي وتشبك اصابعنا مجدداً قائلة: ابدأ
هناك من جديد، الامر يستحق.
بسخرية قلت: هل حقاً يستحق!
التفت الي ليقابل وجهها وجهي،
انفاسي تمتزج مع أنفاسها، انفي يقبل انفها،
عيني تلمع في عيناها، اقتربت بشفتي لأقبلها،
عند عتبة فمها سجدت روحي،
تذوقت ذاك الطعم الذي خُلق من رحم خلية النحل،
قبلتها بقوة، كأنني سأموت بعد هذه القبلة،
تنفست في فمها كأن الهواء سينفذ خارج شفتيها ومجرتها
، معها لا يتحرك فقط لساني بل كل اعضائي،
كل شيء ينهار بقبلة،
ابتعدت هي عني لتنام علي ظهرها فعلت انا المثل لنتنفس بسرعة نلاحق انفاسنا، بقينا نحدث في السقف،
رأيت تلك الخريطة التي علقتها عليه، ايمكن ان ارحل لأ
عيش على ارض لا تقبل قدميها؟ ان اراقب النشرة الجوية

لأري ان سمائنا غائمة و سمائها صافية؟ كلا
نا تغطيه سماء مختلفة،
كأنها قرأت ما يكتب في عقلي لتعلق: المهم اننا في مجرة
واحدة، وان كنا على ارض تبعد الاف الا
ميال عن بعضها البعض، وان تلبدت سمائك بالغيوم،
وضربت اشعة الشمس الحارقة سمائي،
ستبقى حقيقة واحدة تجمعنا،
هي ان كلينا على متن مجرة، لا يهم الاف
السنين الضوئية التي تفصل بيننا، ولا
فرق التوقيت. الشمس واحدة، والقمر واحد، الله واحد، و
القلب واحد، وانت أحد تلك الأشياء التي لن تتكرر
ابتسمت لتنهض، نهضت قليلا ً اراقبها،
اتجهت تجاه حقيبتها قائلة: سأذهب، لا
تنسى استيقظ باكرا قبل موعد رحلتك بعدة ساعات لتتأك
د من أنك اخذت، كل شيء.
قلت بدهشة: سترحلين؟ الان!
لم تلتف الي و سارت مسرعة تجاه الباب: لا أحب الوداع.
وصفقت الباب بعد خروجها دون وداع انتهت قصة لن تتكر
ر، انتهت بالرحيل والخيبة.

الفصل الخامس والعشرون

روح

٩ سبتمبر ٢٠١٦

في صباح لا يشبه أي صباح مر علينا،
استيقظنا لن لنجد شيء غير عادي، صراخ ملأ منزلنا،
صراخ يصدر من فم واحد لا غير، ببرود خرجت من غرفتي
لأسير تجاه ذاك المصدر،
رأيت اختي وأخي يقفان امام باب غرفة امي وابي،
نظرت لعينان اختي، كانت تائهة، باردة،
بينما اخي الصغير يبكي يحاوط جذعها ويدفن رأسه في بـ
ـطنها، اقتربت أكثر لأ
ري امي تجلس عند السرير تبكي وتلطم وجهها بينما جسد
اعرفه تمام المعرفة تم تغطيته بالفراش،
جدتي تقف خلفها تمسح على كتف ابنتها،
كان ابي راقدا! جثة هامدة لا يصدر منها صوت مرتفع ولا كـ
ـلام بذيء، صمت كما لم نره في حياته بهذا الصمت،
المصيبة لم تكن في موته، بل المصيبة أصبحت فينا،
لم نبكي كأمي، لم نصرخ، وكأن جثته لا تعنينا،
وكأن ما نشاهده امامنا مشهد في مسلسل تلفزيوني نتابعـ
ـه، ألهذه الدرجة قسينا؟ هو من جعلنا احجار،
مات حتى قبل ان يعتذر منا،
او يخبرنا ولو لمرة واحدة انه قد احبنا،
لم يزرع بنا حب يجعلنا ندعو له في الصلوات،
كنا ندعو ان يزيل الله
المصائب من على رؤوسنا فمات ابي،
فاتضح ان دعائنا قد استجيب.
مات ابي وتركنا، لكن اثاره بداخلنا لم تتركنا، الألم، الذكريات
و
الحقد لم يتركنا. وامي هي ذاتها بقيت تلك المرأة التي تخا
ف كلام الناس قبل الخوف علينا، بل أصبحت أسوأ،

ظننا ان اهم مشكلة تعيق مجرى حياتنا قد تبخرت،
لكن المشاكل قد بدأت،
أولها امي التي باتت مسؤولة عن فتاتين سيدنسان سمعتها في الأرض، بدأ الامر في العزاء، وبختنا لأننا لم نبكي، لأن كلينا باردتان، كيف سنستقبل الناس بهذه الوجوه الباردة؟
ما الذي سيقولونه عنا؟
اليس من المفترض ان يأتي الناس للعزاء ليتذكروا الاخرة، الموت، يرون ماحل على الاخرين من فقد ويتعلموا؟
ام انهم يأتون ليتفصحوا مدى الحزن الذي نشعر به. رفضت الخروج للناس، بت أكرههم وأكره مظاهرهم،
بل كرهت حتى امي التي لم تسألنا لم نحن باردتان؟
لم تسأل مقدار الألم الذي خلفه داخلنا لنصبح هكذا؟
تركت لهم العالم واتخذت سريري كعالم لي كالعادة.
امي التي كان صوتها مختبئ داخل تلك الحنجرة، باتت الان تصرخ علينا، توبخنا، وكأن روح ابي تلبستها، تحاسبنا،
بل وتشتمنا، صراخها حل مكان صوت صراخ ابي،
اعتادت جدران هذا المنزل على الصوت المرتفع، الاوامر، و النهي عن كل شيء. هكذا هم الضعفاء عندها يجدون فرصتهم، يتجبرون على من هم أضعف، يرون غرورهم بالصراخ، بالصوت العالي، هكذا احكمت قبضتها علينا،
لتعاقبنا على سنوات قضتها في الخضوع،
لتجعل منا عبيداً لها، بل وتطور الامر لتعرض منزلنا للبيع، بحجة انه من الصعب ان تربينا في هذا المجتمع، لا يجب ان نعيش نساء بمفردنا، السنة الناس ستطاردنا،
الى ان اقتنعت بإحدى أفكار جاراتنا، وهي الهجرة،
ان نهاجر لتركيا ومن هناك نبحر لليونان،
بعدها نقضي حياتنا فارين لحين وصولنا لإ
حدى الدول التي تمنحنا اللجوء.

محمد

الحاضر

طلبت رؤيتي الدكتورة نيولفر، كانت هي في مطعم المصح
، تتحدث مع مدير المطعم،
رأتني من بعيد فأبتسمت الي سرت لأ
جلس على طاولة قريبة على النافذة،
كانت مخصصة لفردان،
انتهت هي من حديثنا لتقترب وتسحب كرسيها الذي يقابلن
ي، ابتسمت لها فعلقت: تبدو بأفضل حالاتك.
اجبتها بحماس: بالطبع، روح تتحسن.
وضعت مرفقها علي الطاولة لتضحك قائلة: روح! ستبقى ت
ناديها بهذا الاسم؟
اجبتها بتأكيد: بالطبع،
هي لم ترغب ان اناديها باسمها الحقيقي، روح اسم رائع.
ضيقت عيناها لتقل وكآنها تريد الايقاع بي: بالمناسبة،

ما الذي يحدث لك؟
بلعت ريقي لأسألها بشك: ماذا؟
اشارت الي لتذكرني قائلة: انت طبيب، تعلم جيداً انه لا
يجب ان يكن الطبيب أي مشاعر تجاه الحالة.
رفعت قليلا ً نظارتي الطبية على انفي لتعتدل،
مسحت على انفي قائلا ً: ههه، بالطبع لا يوجد شيء.
شبك اصابعها ببعضهما واسندت ذقنها على اصابعها: لا
أرى ذلك، ما اراه أنك تمسك بيداها طوال الوقت،
من يراكما يظن انكما عاشقان.
اتسعت عيناي لأخلع نظارتي، نظرت للنافذة بارتباك،
شعرت ان قطرات العرق تتجمع على جبيني،
عادت هي بظهرها للوراء قلت وانا اتحاشى النظر اليها: هي
مجرد حالة، ثم انها تثق بي، التواصل الحسي مهم بيننا.
قاطعتني: لكنها صغيرة،
انت تمنحها مشاعر هي بحاجة لها في هذا الوقت.
اعترضت: لا انا، انا، مم أحاول ان اساعدها،
شفاؤها يهمني اهم أي شيء.
ثنت ذراعيها لصدرها قائلة: انا فقط احذرك،
ضع حدود لما بينكما،
وحاول ان تفصل بين مشاعرك وعملك.
نهضت مكانها بينما انا تأففت لأمسح بيدي على شعري،
علقت قبل رحيلها: حذار والا سأحول حالتها لطبيب اخر
نهضت من مكاني فوراً لأقول: لا، لا يمكن، ستسوء حالتها.
قالت بصرامة: اذن افعل ما طلبته منك.
جلست مرة أخرى على الكرسي لأمسح وجهي بجزع،
ثبت رأسي بين يداي لأتحدث مع نفسي: محمد هذه حالة،
انت متعاطف معها لأنها ابنة بلدك، لا شيء أكثر من ذلك.

جوى

٢٠ أكتوبر ٢٠١٦

رغم اعتراضي على فكرة السفر، رغم انفعالاتي، الا
انني وجدت امي لا تبالي لرأيي، وجدتها مستبدة، خليفة لأ
بي، تريد الرحيل والهرب بنا بعيداً عن الجميع،
اخبرتنا ان يصعب تربية فتاتان في وطن كهذا بمفردنا،
تحاول اقتلاع جذوري من هذا البلد،
تحاول اخراجي من المياه التي خُلقت بها،
بمساعدة اقاربنا قامت ببيع منزلنا،
كيف يمكنهم بيع أماكن تحمل ذاكرة أطول منا،
الم يكفهم بيت جدي وحديقته تلك التي ذهبت للغرباء؟
كانت امي تقودنا كخراف، تفرض سيطرتها علينا،
تحاول ان تتذوق طعم السلطة،
نسيت كيف يكون شعور العبد، قمنا بـ
الحجز على الطيران العراقي المتجه لإسطنبول،
كان على كل فرد منا ان يحزم امتعته، ثيابه، ذكرياته،

دموعه، وعالمه ويطويها في حقيبة على شرط ان لا
يكون وزنها ثقيل والا
سندفع غرامة! ابتسمت بسخرية وانا ألقي نظرة أخيرة عل
ى غرفتي، ماذا يا جوى ما الأسوأ؟ لقد ودعنا الا
غلى من تلك الجدران وقطع الأ
ثاث! حزينة انتِ على مكان بينما هناك اشخاص دفنوا تحت
التراب، واخرين هاجروا ولن يعودوا،
هل سيفوق حزنكِ تلك الاحزان؟
نظرت لسريري الذي ضمني لأعوام،
و سادتي تلك التي ثملت بدموعي،
غطائي الذي خنقت به نفسي فترات،
مرآتي الصديقة المخلصة،
كل قطعة اثاث تضم بداخلها سر،
تحمل ذكرى. خرجت من الغرفة لأسير تجاه غرفة جدتي،
ذاك السرير الذي نقلته من منزلها بعد موت جدي،
الذي حملهما لأكثر من أربعة عقود،
مكتبة جدي التي تقف في الزاوية، ستتغطى تلك الكتب بـ
التراب، تنسى، او ربما يهتم أحد بها فيأويها. نزلت للأسفل،
دخلت لغرفة المعيشة، هنا كنا نتشاجر، نضحك، نصرخ،
ونرقص،
هذه الجدران تحمل كم هائل من الحكايات لتسردها للساك
نين الجدد، ماذا لو كان للجدران فم تتحدث به،
ماذا ان افرغت ما في جوفها عن الساكنين،
ماذا كانت ستخبرهم عني؟
خرجت للخارج كان الجميع يضع الحقائب داخل السيارة الت
ي ستقلنا للمطار، رأيت جدتي تبكي ناظرة للمنزل،
غطت فمها وانفها بكفها تحبس شهقاتها، نظرت للحديقة،
للمزروعات التي ستذبل، للنخلة التي تسكن حديقتنا،

اتذكرها منذ ان كانت فسيلة،
كبرت امامنا وأصبحت فارعة الطول، خرجت للشارع،
كان هناك أولاد يتجهون للمدارس، ورجال لعلمهم،
في هذا الشارع لعبت، ضحك ودرت، وقفت انظر للمنزل،
نعم اعترف انني كنت اعتبره جحيماً،
لكن حتى الجحيم في وطني جنة، من ق
ال انني سأجد الدفء والانتماء بعيداً عن منزلي هذا؟
تساءلت ان كنت سأرى هذا المنزل مجدداً،
هل سأعود في يوم لهذا المكان بل وان عدت هل سأكون ا
نا ذات الشخص عند تركي له؟
المشكلة اننا نحن فقط من نتغير، تبقى الاماكن ذاتها،
تحمل ذكرياتنا، رائحتها، تبقى وفية لنا،
لكن ما كنا نعيشه فيها يتغير عند عودتنا لها، لا ضحكاتنا، و
لا دموعنا، المشكلة بنا ليس في الاماكن.
انطلقت بنا السيارة متجهة لمطار بغداد الدولي،
قبل كل شارع عبرنا به، ضممت الهواء، سجدت للسماء،
للضجة، للزحام، لصوت الباعة، للنخيل، لدجلة، للمساجد و
الكنائس. هل سأعود في يوم لهذه المدينة ام انني سأتعفن
بعيداً عنها؟
وجدت دموعي تغسل وجهي وانا أرى بغداد حزينة،
ماذا لو عند وصولنا للمطار تغير امي رأييها وتخبرنا اننا سن
عود للبيت، سنبقى في الوطن، وان مُتنا على ارضه فلا
بأس بذلك، لكنني على معرفة ان لا
شيء سيحدث من هذا القبيل،
كما تخيلت عندما حان موعد طائرة عبد الله،
صورت لنفسي مشهداً من احد الأفلام
عندها يعلق البطل فكرة السفر من رأسه قبل ركوبه الطائر
ة ويعود ليقبل حبيبته، ويُكتب على الشا شة النهاية،

لكن لم يحدث أي شيء في ذاك اليوم، بل راقبت السماء لأ
رى أي طائرة حملت حبيبي على ظهرها،
بل وبجنون ذهب لمنزله بعد ساعة من موعد اقلاع
الطائرة لأن مخيلتي كانت يومها تسع الكون بأكمله،
كان المنزل مُغلق، يبكي فجلست على عتبته وبكينا معاً،
ببساطة، وها انا اسافر ببساطة!
ابتسمت بسخرية لفكرة سخيفة ايضاً،
ماذا لو ان ابي مات قبل سفره؟ كنت سأكون زوجته الان،
كنت سأبقى هنا. (لو) أكره هذه الكلمة اللعينة.
كنت أكره امي قبل وفاة ابي، والان بت أكرهها أكثر،
كانت ابتسامتها في المطار تستفزني،
ترقص على قبور وفائنا لهذا البلد،
تشتمه ونحن مازلنا على اعتابه،
لكنني لم أكن املك طاقة لخوض أي شيء معها،
جوى لم تعد جوى القديمة،
بل انكسرت مراراً حتى فقدت كل ما يُمكن كسره.
كان مقعد الطائرة بـ
النسبة الي كذلك الكرسي الكهربائي الذي يعدمون به المذن
بين، لم اجلس بجانب امي، تركت نجمة تجاورها،
جاورت جدتي، كانت يدها تواسيني،
وضعت رأسي على كتفها،
تجمعت الدموع في عيني وانا اشعر بتحرك عجلات
الطائرة،
ضحكت وسط بكائي ساخرة: من كان سيصدق اننا سنهاج
ر هكذا؟
برضا قالت جدتي: احمدي الله على كل شيء،
وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم.
مسحت انفي بمنديل لأعلق: ونعم بالله.

- دعاء المسافر مستجاب، ادعو الله.
ابتسمت بحزن،
لقد رح ذاك الرجل الذي كنت اذكر اسمه في كل دعاء، ورحلت معه جميع الامنيات، وان نويت ان ادعو الله ان يسعدني أي سعادة هذه التي تضمني من دونه؟
شدت جدتي على يدي كأنها شعرت بي، قالت لي: الله كبير
ابتسمت لأقترب واقبل رأسها، فارقت الطائرة الأرض لتحلق في السماء، متجهة لأرض حظيت بوجوده، فرقتنا بغداد، وضمتنا إسطنبول، شتتنا الوطن، وجمعتنا الغربة.
ما هذه الحياة الغريبة!

الفصل السادس والعشرون

عبدالله

١٥ ديسمبر ٢٠١٦

رسالة بُعثت الي من جوى على (الفيسبوك) قلبت حالي وغيرته، بل لونت يومي، وساعاتي (مرحبا، انا في إسطنبول مع عائلتي، ارغب برؤيتك قبل، ممم اسمع عندما اراك سأخبرك بكل شيء، ابعث لي عنوانك)،
قرأت الرسالة مرة ومرتان حتى ثملت من حروفها،

ابتسمت وانا أتذكر،
ضربات قلبي بدأت تتسارع وانا اقف في شرفة شقتي الجديدة اراقب الشارع،
كل سيارة اجري مرت به كنت اكاد ان اقفز من الدور الرابع لأنظر من بداخلها، لتخيب ظنوني،
حتى رأيت سيارة اجرة تقف امام العمارة لتترجل منها هي، اتسعت ابتسامتي وجريت للداخل،
خرجت من شقتي ونزلت عبر السلالم بسرعة،
اختصرت كل درجتين مع بعضهما لأ
تخلص من هذه المسافة، الى ان وصلت للدور الأرضي، كانت للتو تهم بالدخول،
توقفت في مكاني انظر اليها كأنني اراها للمرة الاولى،
اتسعت ابتسامتي وانا أرى عيناها الذابلتان، وجهها، شعرها، شفتيها، قبلت عيني كل شيء بها،
احتضنها قلبي قبلي،
اقتربت منها بخطوات بطيئة كأنني امام سراب أخاف الاقتراب وتتلاشى،
فتحت هي ذراعيها بينما دموعها بدأت تجري على خديها،
اقتربت بسرعة لأحتضنها واحملها بين ذراعي،
ضمتني بقوة وهي تعتصر قميصي،
بكيت وانا اقبل كل خصلة في شعرها، بينما هي انتحبت،
انزلتها على الأرض لأمسك بوجهها بكلتا يدي، قبلت جبينها، شعرها وجنتيها، شفتيها، ودموعها.
قالت وسط بكائها: وكأنني الان بُعثت من الموت.
دفنت رأسها في صدري، اريد إدخالها بين أضلعي، هي بالفعل تسكنني،
شبكت اصابعي بين اصابعها لنصعد لشقتي،
لم اشعر بأي تعب اثناء صعودنا تلك السلالم،

وجدنا أنفسنا في مكان جديد سنترك فيه ذكريات،
دخلت وهي تتفحص المكان، ابتسمت وهي تدور بـ
القرب مني معلقة: نفس التصميم.
لم اغير شيء، فما زلت أكره الجدران، ما زلت أفضل النوم
والاكل في مكان واحد، لكنها توقفت بـ
القرب من السرير تنظر للجدار،
حدقت بدهشة لصورها معلقة جميعها بعشوائية تتجمع ع
لي ذاك الجدار، صور عددها هائل التقطت لها دون ان تعلم،
ضحكت وهي تضع يدها على فمها، التفت الي و
الدموع في عينياها اقتربت مني فأمسكت وجهها بيدي لأ
قبلها، اشتقت لهذا الطعم، لملمس شفتيها،
للغرق بهذه النشوة، للسقوط بحرية، لأن اثمل،
ابتعدت عن شفتيها لأقترب من رقبتها، طبعت قبلا
تي على عنقها الحريري، لأشعر بجريان الدم في شراييِنها،
همست بلسان ثقيل وجسد مُخدر: كدت اموت في غيابكِ
رفعت رأسي لأقابلها مسحت على وجهها قائلا
ً: حدثيني عن كل شيء مررتِ به، كل شيء.
حضرت لها شاي بالأعشاب الذي فضلته دائماً،
كانت هي مستلقية على الاريكة تحدق في السقف،
تخبرني عن كل شيء، كآنها في جلسة مع طبيب نفسي،
اقتربت حاملا ً كوبي الشاي،
جلست انا على حافة الطاولة الخشبية التي تقابل الاريكة،
نهضت قليلا ً لتصبح في وضعية الجلوس، ناولتها الكوب
، بدأت هي تدور بسبابتها على حافته،
رفعت كآسي في الهواء بنصر قائلا: اذن يمكننا ان نتزوج ا
لان!
عقدت حاجبيها لتسألني: كيف؟
اجبتها ببساطة: والدكِ مات، ما الذي يمنعنا الان؟

اجابتني وهي تقطب حاجبيها: ماذا عن عائلتي و سفرهم؟
مطيب شفتي ببرود: ما شأننا؟ ليفعلوا ما يشاؤون.
وضعت الكوب على الطاولة لتقل: لا يمكنني،
بت انا المسؤولة عنهم،
كيف اتخلى عنهم في هذه الظروف.
ابتسمت وانا أعجز عن فهم ما قالته، فتحت عيني لأ
علق: منذ متى اصبحتِ تكترثين لشأن أحد؟
اجابتني بجدية: منذ ان مات ابي.
رفعت رأسي للوراء بجزع، نهضت لأجلس بجانبها على الا
ريكة واضع قدميها على فخذي قلت لها: امكِ وجدتكِ موج
ودتان، يمكنهما تحمل مسؤولية أي شيء، لم انتِ؟
بعصبية ردت: لن ادع امي تدمر اختي وأخي.
بدأ غضبي يتضاعف لكنني بالكاد أحاول السيطرة عليه،
جززت على اسناني لأ
علق: اذن ستصبحين راهبة في سبيل الحفاظ على عائلتكِ
؟ ماذا عنا نحن؟ ماذا عني؟
ابتسمت بسخرية لتجيبني: ماذا؟ لم يحدث لك شيء،
كأنني لم ازرك، وكأنك بقيت تعتقد انني في العراق،
كما حدث في الماضي.
رفعت حاجبي بصدمة، منذ متى أصبحت هكذا؟
ما الذي دهاها لتكون بهذا البرود؟
لماذا لم يعد يؤثر بها شيء؟
اغمضت عيني أحاول تنظيم انفاسي،
سحبت قدميها من فوقي لتنهض قائلة: علي الذهاب.
اوقفتها وانا اجرها من ذراعها لأوبخها: ما الذي تفعلينه؟
لم اتيتِ من الأساس ان كنتِ ستتركينني؟
لم اصبحتِ هكذا؟ أجيبيني.
دفعتني عنها لتصرخ: منذ ان رحلت انت،

وبعدها تغيرت حياتي،
منذ ان استولت امي السلطة من ابي، منذ تركي لوطني،
كل شيء كسرني، لم اعد اقوى، لم اعد انفع لأي شيء.
جادلتها بقهر: ترين نفسكِ تنفعين لأن
تساندي اخوتكِ أكثر من نفسكِ؟
اشارت بيدها بتعب: لا أريدهما ان يصبحا مثلي.
- من اخبركِ انكِ سيئة؟ الا
ترين نفسكِ بعد كل ما مررتِ به ما زلتِ تقفين! ثم انكِ ه
كذا تدمرين نفسكِ
سخرت مني قائلة: انت من تتحدث عن تمدير النفس ههه،
إسطنبول قد غيرتك.
- بل إسطنبول افقدتكِ عقلك.
بحثت وهي تدور حول نفسها عن حقيبتها، حتي رأتها على
الأرض، سرت بسرعة تجاه الباب امنعها،
مددت يدي امسك بمقبض الباب لأ
صرخ بها: ستهلكون ان سلكتم البحر هاربين.
احتد صوتها لتجيبني: ليس قراري،
تعلم انني طوال حياتي لم اتخذ قراراً بمفردي.
اقتربت لأ
مسك بوجهها بيدي أحاول ان اقنع ما تبقى منها: خذيه الان،
هذه الفرصة الوحيدة لنا،
ارأيتِ كيف شاء القدر وجمعنا من جديد بهذه الاهوال!
ابتسمت: الان بت تؤمن بالقدر؟
- امنت بكِ
اقتربت مني لترفع نفسها وتقبل وجنتي،
قائلة بصوت هامس: احبك.
شعرت بيدها تمتد لتفتح مقبض الباب،
ادارته لتخرج من شقتي بينما انا أقف مذهول،

جوي التي كانت تشد الوثاق لنبقى معاً هي الان
قطعت كل ما يربط بيننا لترحل.

روح

الحاضر

التفت اليه بعد ان انهيت قصتي لأختمها له بغرقنا،
وموت الجميع، كان هو يجلس على الا
ريكة بينما انا امامه على الكرسي الذي يجاور النافذة،
نهض من كرسيه وهو يبتسم بأسى لي،
اقترب فأدرت رأسي تجاه النافذة من جديد،
شعرت بيده على كتفي يضغط عليه، ق
ال لي بنبرة هادئة: سنبدأ من جديد، تخلصنا الان
من ثقل كبير كان يدفن قلبك، التفت اليه لأ
رفع رأسي ليكمل هو: بالمناسبة انتِ شخص كتوم جداً،

هذه أحد الأسباب ايضاً، لم تحدثي أحد عن حزنك
علقت ساخرة: هل تراها قصة تستحق؟
- الجميع يستحق.
حركت رأسي نافية، لا حياتي مملة، انا لست مثلها،
مددت يدي لأمسك سلسلتي، خلعتها عني لأرفعها اليه،
ابتسم وهو يأخذها يمعن النظر بها، قلت وانا انظر للأ
رض بشرود: ظننت ان اسمي جوى،
لكن اسم الحقيقي نجمة.
انحني هو كالقرفصاء ليقابلني قائلا : اعلم يا نجمة.
بلعت غصة بداخلي لأخبره بحزن: جوى ماتت مع الجميع،
كانت تبتسم لأخر لحظة، ابتسامتها هي اخر شيء رأيته.
مد يده ليمسك بيدي، مسحها بلطف، حاول ان يلاطفني قائ
لا : سنلعب لعبة.
سألته باستغراب: لعبة!
نهض من مكانه وهو يفتح ذراعيه: ستكونين انتِ استاذتي،
سأخبرك بكل شيء،
سأحلل ما حدث كله وانتِ من ستقيمين.
عدت بظهري للوراء لأحرك رأسي بإيجاب،
بدأ يحرك يديه وهو يشرح لي بحماس: انتِ وجوى تربيتما ف
ي عائلة قاسية، كثرة ضغطهم عليكما،
انتجت جوى المتمردة، وانتِ التي تخشى التجارب حتى، لأ
ن جوى انسلتت من بين قبضة و
الديكِ فقد احكما القيود حولكِ كي لا تصبحي مثلها.
قلت وانا أرمش عدة مرات: اجل.
أكمل مشيراً: كلاكما مررتما بنفس التجارب تقريباً، لكن ولأ
ن
لكل منكما شخصية فمن الطبيعي اختلف وقع أي شيء ت
تعرضان له، مممم، سأحاول ان اوضح، تلك الشجارات بين

والدكِ ووالدتكِ كانت تؤثر على جوى لأ
نها تخوض هذا الشيء معهم باندفاع،
واثرت بشكل كبير عليكِ ايضاً،
اقترب مني ليردف بتركيز: في العادة عندما نشاهد فيلماً نك
ترث لما يتعرض لها البطل فقط، سواء حادث او أي مصيبة،
نركز على مشاعره، تصرفاته،
ننسى ان هناك افراد حلت عليهم ذات المصيبة،
كانوا جميعهم في مشهد واحد، لكنهم منسيون، او،
صمت ليتنهد وكأنه يفكر،
حرك يده في الهواء دون ان ينطق بكلمة،
لكنه أضاف: كنتِ موجودة في كل حدث تعرضت له جوى،
منذ الطفولة،
وعندما تمردت شاهدتها وهي تضرب فسبب هذا لكِ رهبة
من حتى الاعتراض على شيء،
عندما كانت تتشاجر مع عبد الله وترينها تبكي، ممم،
سار ليجلس على الا
ريكة التي امامي ليسند مرفقيه على فخذيه ليعود للحديث
: عندما كانت تضرب، او حتى عندما تحطمت احلامها بـ
الزواج منه، بالإ
ضافة الى وجودكِ مع يا سمين عند موت خطيبها.
مسحت وجهي بكفاي، اعدت خصلات
شعري خلف اذني سألني: هل تعبتِ؟
تنهدت لأجيبه: لا، أكمل.
- منذ وفاة جدكِ، وانتِ تعانين،
مع كل سوء مسكِ كانت تظهر بوادر الاكتئاب،
اخبرتني عن نومكِ، فقدان شهيتكِ، ذاك الألم في الرأس و
الم العظام، لكن مع الأسف المجتمع لا
يصدق ان للطب النفسي دور، لذلك لجأت و

الدتك لشيخ الى ان تفاقم كل شيء لدرجة انك انعزلت ء
ن الجميع واصابك البرود في الآونة الأخيرة.
اعدت رأسي للوراء لأسند على ظهر الكرسي،
نظرت للسقف بتعب،
هل كنت سأكون مختلفة ان وجدت من قبل أحدهم يحل ب
بساطة تلك العقد التي تشابكت داخلي؟
سمعته يسألني: ما رأيك ان نكمل غداً؟
لم اجبه بل انفاسي العميقة اجابته، شعرت به قريب مني،
قلت وعيني ما زالت مغمضة: لا تذهب.
- سأبقى.
فتحت عيني لأراه يبتسم، سار تجاه الا
ريكة مرة أخرى ليستلقي عليه يتظاهر النوم معلقاً بمزاح:
سأنام هنا الليلة.
ابتسمت له بينما انا بقيت جالسة على مقعدي، عدت لأ
غمض عيني مبتسمة هذه المرة.

جوى

٢١ فبراير ٢٠١٧

خلال
فترة اقامتنا في بودروم وبسبب الظروف التي نحن مُقبلي
ن عليها،
تعرفنا علي عائلة سورية فروا من حلب ليلجئوا الى تركيا،
مصيرهم كمصيرنا، ينون الهرب عبر البحر،
كانت اسرتهم تتألف من اب وام وثلاث
أطفال لم يتجاوز اكبرهم الثامنة، كان الأطفال جميلين بحق
، وجد اخي في هذه المحنة أصدقاء يلعب معهم،
يُلهونه عن ما نمر نحن به، لأول مرة اشعر انني لا
املك قوة لمواجهة شيء، اجدني عاجزة عن الرفض،
عن الوقوف ضد الجميع، عن العودة اليه،

أرى نفسي مقيدة معهم،
يسحبونني كما يشاؤون لنواجه مصيراً محتوماً،
وكأنهم لم يسمعوا عن اولئك الذين غرقوا قبلنا،
لم اترك له لا عنوان ولا
رقم هاتف بعد ذاك اللقاء فبقي هو في اسطنبول،
كان سيحاول ايقافي لكن يداي لا
تستطيعا ان تمسكان بأي شيء، حتى قرار مهم كهذا!
كانت برودة الجو قارصة، بدون حقائب، بدون ذكريات،
كما نحن وقفنا امام القارب المطاطي الصغير،
أكد لنا الرجل الذي اتفق مع الجميع انه لا
شيء يدعونا للخوف، كان عددنا كبراً يصل للثلاثين فرداً،
جميعهم كانوا متألفين من نساء وأطفال، يشبهوننا،
هاربين من الموت على ارضهم. البحر كان مخيفاً في هذا الـ
ـوقت من المتأخر ليلا
ً، بلعت ريقي بخوف وانا أراهم واحداً تلو الا
خر يركبون القارب، التفت للخلف لليابسة،
جوى عليكِ العودة، هذا جنون خلفكِ تقف الحياة،
ينتظركِ حبيب مستعد لأن يقدم حياته قرابناً لكِ،
عودي ودعيهم، لهم حياتهم، لقد تجرعتِ المر طوال حياتكِ،
كفاكِ الان. صوت اخي ناداني وجدتي يدعواني لأن
اركب معهم، بقيت اراقبهم بحيرة،
لجدتي التي اضطرت لمسايرة امي لأ
نها لم تعد تملك شيئاً يربطها في هذه الحياة سوانا، اخي،
نجمة البائسة التي فارقت الفرح منذ زمن،
ابتسمت لهم وركبت معهم.
انطلق بنا القارب ليفارق اليابسة،
نظرت للمسافة التي تتضاعف بيننا وبينها،
فارقنا مرسى الحياة تاركين ذكريات نقشت على جلدونا لا

ا في ذاكرتنا ايضاً. جدتي كانت تقرأ القران وتسبح، نظرت لأ
مي وهي صامتة تراقب ما يدور من حولها، تلك الا
مواج التي تبدأت تثور، قلت لها معاتبة: هل انتِ سعيدة الا
ن؟
رمقتني بنظرة غاضبة لتجبني: انا افعل ما هو الأفضل لكم.
ضحكت بسخرية: هذا هو الأفضل؟
أتجدين الفرار على هذا القارب أفضل من جلوسنا في منزل
نا امام الدفاية نشرب الشاي لنستمع لصوت المطر وهو يس
قي حديقتنا.
صرت بي: يكفي.
الجميع التفت الينا،
نظراتهم كانت مستنكرة الجدال في هذا التوقيت،
مع توترهم وخوفهم، أحاطت جدتي كتفي لتواسيني،
وضعت رأسي على كتفها،
تدحرجت دمعة من عيني قلت بصوت منخفض: ليتني مُ
ت هناك.
الامواج كانت تزداد عنفها اثناء حملها لقاربنا،
كان الفجر للتو قد بزغ، لكن البحر كان أشرس من مما نظن
،
هواء بارد محمل بقساوة السنين التي مرت علينا ضرب و
جوهنا، شعرت بارتعاش جسد جدتي الضعيف، مددت يدي
لأفرك يديها المتجمدتان، حاولت ان اجبر شفتي لتبتسم لها،
علقت مازحة: عندما نصل اريدكِ ان تحضري لنا الحساء الذ
ي كنتِ تطهينه لنا في الشتاء، كان يُدفئنا.
ابتسمت لي بغصة لتقل: هذه هي جوى التي عهدتها من قب
ل.
نطق اخي الخائف ليسأل نجمة برعب وهو يسمع صوت بك
اء الأطفال يعلو أكثر: هل سنموت؟

نظرت نجمة له في حيرة، هي نفسها لا تعلم الإجابة،
تريد ان يطمئنها أحد، مددت يدي لأ
مسح علي شعره معلقة: لا،
بل سنصل و سنعيش كما يجب ان نعيش.
رفعت رأسي لأنظر لها، ابتسمت لأطمئنها،
لكن لم اكن قادرة على السيطرة حدث بعد ذلك،
موجة قوية قلبت قاربنا لتقلب حياتنا، او تُنهيها.

الفصل السابع والعشرون

محمد
الحاضر

ساعدتني احدى الممرضات على حمل الأدوات و
الصناديق التي احضرتها، دخلت لغرفة نجمة بهدوء،
ظننت انها نائمة لكنني وجدتها تجلس على الكرسي القريب من النافذة، التفت الي عند دخولي فابتسمت لها،
نهضت من مكانها بينما انا طلبت من الممرضة ان تترك الاغراض في منتصف الغرفة حيث توقفت انا،
اقتربت مني لتسألني بصوتها الهادئ: ما كل هذه الأشياء؟
اجبتها وانا انحني لأفتح الاكياس،
أخرجت من كيس كبير علب للألوان ناولتهم إياها،
اخذتها وهي تنظر لهم، بينما انا أخرجت لوحة مغلفة،
نزعت الغلاف عنها ورميته ارضاً،
أخرجت المسند الخشبي ونصبته جانباً،

وضعت عليه اللوحة الممتلئة بـ
الكتابة. اقتربت هي منها لتنحني تحاول تفحصها،
علقت وانا مقترباً من اللوحة: كتبت عليها كل شيء سيء
مريتي به، كل شعور رافقك، كل ذكرى تركت اثراً بك،
جمعتها على هذه اللوحة.
نقلت نظرها من اللوحة لتصوبها الي فسألتني: سنحرقها؟
ابتسمت وانا اسير لأقترب من كيس على الأرض،
أخرجت علبة بها لون اسود، فرشاة كبيرة، ناولتها الفرشة لأ
علق: لا، ستدهنينها باللون الأسود،
على اعتبار انه جزء معتم من حياتك.
بقيت متوقفاً بجانبها بينما هي بدأت تدهنها باللون الأسود،
كانت يديها ترتعشان لكنها كانت تحاول ان تُسرع،
تتحاشى النظر لتلك الكلمات وهذا الشيء يُبشر بالخير،
انتهت من عملها وأصبحت اللوحة سوداء بالكامل،
وضعت علبة الألوان على الرض فصفقت لها بحماس: رائع،
لننتقل للمرحلة التالية من اللعبة.
بتساؤل حدقت بي، مددت يدي لأمسك بيها قائلاً: تعالي.
اخذتها برفق لنجلس على السجادة التي تتوسط الغرفة ار
ضاً، جلسنا على الأرض، فاقتربت لأ
خرج صندوق متوسط الحجم، لونه بني، وضعته بيننا على ا
لأرض لأفتحه عيناها الصقت بغطائه لترى ماذا يوجد بـ
الداخل، فتحته كان عبارة عن أوراق كثيرة مطوية،
سألتها: مستعدة لتعرفي ما هو الجزء الثاني من اللعبة؟
حركت رأسها بإيجاب، فأكملت: هذه عبارة عن جُمل،
او اسم لأشياء مررتِ بها في الماضي،
ستخبرينني عن هذه الذكرى، اشرت تجاه اللوحة،
سترسمين نجمة مقابل كل ذكرى، موافقة.
بقيت تفكر لثوانٍ بعدها اجابتني: موافقة.

حسناً هذه اللعبة تعتمد على احياء الذكريات الجميلة للمري
ض، لأن الذين يعانون من الا
كتئاب يجدون صعوبة في تذكر الذكريات السعيدة،
عقلهم الباطن لا يسترجع سوى كل شيء سيئ مروا به،
بل واحياناً تزداد نسبة شعورهم بالاضطهاد،
فيضخمون مما يحدث حولهم ولهم. نجمة لم تخبرني عن ا
لأشياء الجميلة التي كانت في حياتها، حتى جدها،
لم تخبرني مدى روعته، بل حدثتني عن فقدانه، عن الأ
لم الذي خلفه، هذا الاختبار سيفيدها جداً.
التقطت احدى الاوراق، فتحتها لأ
قرأ ما كتب عليها بصوت مسموع: مدرستي لم تكن سيئة
جداً.
نظرت لها لأطلب منها قائلا
ً: حدثيني عن شيء جميل كان في مدرستك.
اجابتني وهي تقطب حاجبيها: لا، لا، اذكر
رجوتها: حاولي ارجوك.
اغمضت عيناها لتزفر بتعب محاولةً ان ترى أماكن منيرة دا
خل العتمة التي اكلت ذاكرتها.

روح
الحاضر

جوى كانت تكبرني بعامين، ارتدنا ذات المدرسة حينها،
كانت هي في مرحلة أخرى،
لم أكن املك صديقات كما اعتدت على عكسها،
جميع فتيات المدرسة يعرفنها، كانت صاخبة جداً كعادتها،
كانت بشكل يومي تعاقب في الطابور الصباحي لمخالفتها
في الزي، وضع طلاء اظافر، او مضغها للعلكة،
رغم ذلك لم تكن تحزن،
كانت تلوح لي عندما تراني أقف في الصف الا
ول كطالبة ملتزمة بزيها وبالقوانين. في الفرصة كانت تأتي
لأخذي لأبقى معها، عند دخولها كانت تجعل جميع الا
بصار تتجمع نحوها،
صديقاتها يتبعنها لتبدو هي أكثر قوة و شراسة،
كانت تقف قرب طاولتي لتضع يدها علي خصرها عيناها ت
مر على جميع الوجوه لتسألني: هل تضايقكِ احداهن؟
كنت اضحك واكذب عليها،
لتهددهم جميعاً قائلة: ان فكرت احداكن وازعجت اختي س
أمزقها.
تضييق عيناها لتبث الرعب في أنفسهن،
اخرج برفقتها لتنفجر ضاحكة،
تقرص وجنتاي لتخبرني انه لن يمسني أحد بسوء ط
الما هي على قيد الحياة. كان (الحانوت) كما هو اسمه بـ
العراقي، او المكان الذي يبيع الطعام في المدارس،
كان يزدحم كثيراً بـ
الكاد يمكنه أحد الدخول و سط ذاك الزحام،

كل صديقة كان يخصص لها يوم لتشتري للآخريات،
حتى دفعتني جوى ذات مرة لأدخل بينهم،
كانت تشجعني ان افعهن بقوة لأ
صل لهدفي وهي تلك النافذة الحديدية التي يوجد خلفها ما
لذ وطاب.
نجلس على السلم لتتعالى الضحكات، واحياناً كنا نلعب بـ
الماء حتى تمر احدى الاداريات لتوبخنا.
جوى كانت تقول وان كانت المدرسة سيئة، ف
الصحبة يجعلونها أفضل مدرسة في العالم،
لم أرى مدى سوء المبنى او تصرفات المعلمات،
لم أكن أرى سوءً طوال تلك المرحلة،
بل كانت المدرسة حينها متنفسنا الوحيد،
كنا نلعب بها بصخب، نضحك بصوت مرتفع،
نتشاجر ونثور
توقفت عن السرد لأنظر له يبتسم،
قلت بضيق: هذا كل ما املكه من ذكريات عن المدرسة،
أعني ان ما كان يجعلها مميزة هو وجود جوى،
بعد تخرجها لم تكن كذلك.
نهض من مكانه ليمد يده لي فأمسكت بها،
نهضت قائلة: ماذا الان.
مد لي الفرشاة ليطلب مني ان الونها باللون الأبيض،
لونها واقتربت من اللوحة ليقل: ارسمي نجمة يا نجمة.
ابتسمت لأرسم نجمة في المنتصف، صغيرة.
انحنى ليلتقط ورقة أخرى فتحها ليقرأها: صباح بغداد.
بقيت انظر اليه صامتة، أحاول تذكر شيء جميل،
أضاف هو ليطلب مني: حدثيني كيف كنتِ تقضين الصباح
هناك؟ بـ
المناسبة اشتاق لسماع هذه التفاصيل عن العراق احن اليه

ا.
اخبرته وانا أحرك يدي: لا أتذكر موقفاً محدداً.
- صفي لي فقط كيف كان؟

بدأت أتذكر كيف كان الصباح، كان مختلفاً تدب الحياة فيه،
لا سيما عندما كنا انا وجوى نذهب للمبيت في بيت جدي،
كنا نستيقظ باكراً تقريباً عند الساعة الثامنة،
جدي كان نشيطاً يصلي الفجر ليقرأ القران،
حينها تكون جدتي قد ا ستيقظت هي ايضاً وبدأت تنجز اء
مال المنزل،
تذهب جوي لتساعدها في اعداد الفطور بينما انا وهو نخر
ج لنُحضر الخبز وال(قيمر العراقي)،
احدى البائعات تكون قد وزعت تلك الصواني الكبيرة امام
ها في احد الشوارع ليقف الناس صفاً حاملين علب فارغة ا
حضروها معهم،
كنا نحضر ايضاً (صمون عراقي) كنت أأكل تلك الحواف الت
ي به تكون ساخنة و شهية جداً، يحي جدي المارين و
الجيران،
نعود للمنزل تكون جوى قد فرشت مفرش كبير في الحديقة
ة ووضعت كل الطعام،
بينما كنت اقطف بعض ازهار الجوري لأ
ضعها في كوب ماء تزين المائدة البسيطة،
صوت فيروز الذي يؤنسنا، ضحكات جدي وجدتي،
أصوات الباعة المتجولين في الخارج،
احدهم يشتري أشياء قديمة، وعربة تبيع الخضار
بينما الصباح في منزلنا كان مختلف،
فأبي لم يكن بهذا النشاط في الصباح وامي كانت تهمشنا
لتسرع في تحضير الفطور له خوفاً من غضبه،

وحدها جوى من كانت تزرع الزهور وسط القمامة،
كانت تحضر فطور لثلاثتنا انا هي وأخي،
ثرسل اخي ليشتري لنا الخبز الساخن،
تفتح الستائر وتجعل الغرفة منيرة، مشعة،
تنصب الفطور على السجادة التي بين سريرها وسريري،
ننزوي نحن الثلاثة في هذه المسافة،
تقوم بتشغيل الرسوم المتحركة التي وعينا عليها، لنشاهدها.
كان للصباح طعم حينها، بل للحياة كلها.
انتهيت من سردي لأبعد الفرشاة عن اللوحة،
رأيت انني رسمت نجوم كثيرة،
ضحك وهو يراقبني ثانيا ذراعيه لصدره، تنهدت بتعب لأ
سأله: هل هذا يكفي؟
اجابني: لهذا اليوم اجل، يمكننا ان ثكمل غداً.
تركت الفرشاة والألوان جانباً، سرت تجاه النافذة لأ
نظر بعيداً للخارج، راقبت الناس، بدت لي هيئاتهم واضحة،
رمشت عدة مرات، التفت اليه لأعلق: يمكنني رؤية ملا
مح الناس.
نظر لي بصدمة،
اقترب من النافذة ليسألني: يمكنكِ ان تريهم؟
اجبته: اجل.
رفع كفاه امام صدره وهو مدهوش،
سألني: هل رأيتِ الممرضة التي دخلت معي صباحاً؟
حركت رأسي بإيجاب، ضيق عينيه ليطرح سؤالا ً
جديداً: ما كان لون شعرها؟
اجبته: اسود قصير
- منذ متي؟
- منذ فترة بسيطة.

سألني بتحدي: أي انكِ تستطيعين رؤية أي شخص؟
- اجل.
سار دون ان يخبرني بشيء، خرج من الغرفة لفترة،
بقيت انا متوقفة في مكاني اجهل ما يفكر به،
عاد بعد مدة كنت انا فيها جالسة على الأ
رض قرب صندوق الاوراق ذاك،
دخل مرة أخرى ليفتح الباب ويسأل مجدداً: أيمكنكِ ان تريني
ها؟
رفعت رأسي ليفتح هو الباب لتدخل جوى!
اتسعت عيناي بصدمة، فتحت فاهي وانا اراها، تبتسم و
الدموع تتجمع في عينيها، مازالت كما هي،
جميلة فقط قامت بقص شعرها،
لم تمت! لم تغرق! اقتربت هي مني لتنفجر باكية،
انحنيت الي لتحتضنني، بدأت تقبل شعري،
وتبكي بينما انا متصلبة، استنشقت رائحة عطرها،
صوت بكائها، ملمسها، هي حقيقة، ببطء احطت بخصرها لأ
حتضنها، بينما يدي تعتصر ثيابها،
وجدت الدموع تتساقط مني بغزارة،
وجدتني انتحب وجسدي يرتعش،
ابتعدت عني لتمسك وجهي بكلتا يديها تحاول تهدئتي: انا
اسفة، ا، سفة، لن اسمح ان يصيبكِ مكروه مجدداً، اعدكِ
رفعت يدي لألامس وجهها الناعم، وجنتيها الرطبتان، عينيها،
لم تمت!

الفصل الثامن والعشرون

جوى

ما حدث بالفعل

تخيلت حدوث أي شيء الا
ان ينقلب القارب بنا في عرض البحر،
فجأة وجدت نفسي ملقاة في المياه،
ارجت رأسي منه أحاول التقاط انفاسي، الا
مواج كانت تبعدني تريمين بعيداً كلما حاولت السباحة،
أصوات بكاء الأطفال وصراخ الكبار كان يقف حاجباً لألا
اسمع صوت عائلتي. قاومت لأسبح لكنني كنت ضد التيار
، حركتي بطيئة وقوتي ضئيلة.
دخلت لداخل المياه لأسبح، بداخلي كنت ادعو الله،
ارجوك كن معي، سبحت لأخرج رأسي بعد ان اختنقت،
سعلت بقوة، دموعي اختلطت مع ماء البحر،
قلت بنبرة باكية يائسة (يا رب) وكأن الله استجاب لنجدتي
، رأيت على مسافة قريبة مني نجمة،
لكنها كانت تقاوم الغرق، هي لا تعرف السباحة،
عدت للماء مرة أخرى بعد ان حبست كم من الا
وكسجين داخل رئتي، سبحت بقوة، لأ
رى جسدها مرتخي امامي،
بسرعة حاوطت يدي بخصرها لنخرج على السطح،
سعلت بقوة وانا اصرخ لأجعلها تستفيق،
كان الماء يحاول ابعادنا عن بعضنا،
لكنني بقوة امسك بها بينما هي غائبة عن الوعي تماماً،
حتى سمعنا صوت ابواق قادم من بعيد، رفعت نفسي لأ
لوح بذراعي للمركب الذي اتى لأجلنا. الى ان رأونا،

رموا الينا طوقي للنجاة، ورفعونا عبرهما، ساعدنا رجلان
من المنقذين عند صعودي للقارب،
رميت بجسدي على ارضه بعد تشنج عضلات،
قوتي خارت تماماً. رأيتهم يجرون الإسعافات الا
ولية لها لتتنفس، بينما حاولوا انهاضي،
لفوا جسدي بوشاح لكنني ورغماً عن انف المي نهضت،
حاولت ان اتحدث لكن انفاسي السريعة كانت توقفني،
اشرت تجاه البحر بذعر اطلب منهم انقاذ ما تبقى من عائلت
ي، اقتربت انا من نجمة لأمسك بيدها الباردة،
رفعت يدها لشفتي ارجوها ان تتمسك بالحياة،
رأيتهم يخرجون من البحر جثث لأطفال، هؤلاء الأ
طفال السوريين الذين تعرفنا عليهم! وقفت بسرعة لأ
جري تجاههم،
فارقا الحياة وهم لم يروها بعد! اخبرتني ابنتهم التي تبلغ ا
لخامسة من عمرها انها تنوي ان تصبح رسامة عندما تكبر!
حاولوا ابعادي ليغطوا أجسادهم الصغيرة، انحنيت لهم لأ
قبل جبهاتهم تبعاً، عدت للوراء وانا اضع يدي على فمي، لا
جوى ليس الان وقت الا
نهيار نقلت بصري تجاه الدفعة الجديدة التي اخرجوها من ا
لبحر، كانت امرأتان،
ورجل مازال على قيد الحياة. بقيت بجانب نجمة امسك ي
دها، ارجوها لتصحو، احتاج وجودها، احتاج لأحد بجانبي،
أصبحنا في منتصف النهار ولم يجدوا احداً من عائلتي! عا
د القارب بنا للبر وانا لم اعد كما كنت،
بقيت روحي في البحر مع جدتي وأخي. نقلوا فوراً نجمة م
ع الحالات الأخرى للمشفى اضطررت لمرافقتها بدلا
من انتظار أي خبر عقيم عنهم.
نشر في احدى الصحف التركية خبر هذه الحادثة (لقي 4 أ

شخاص مصرعهم، في حصيلة أولية،
نتيجة غرق قارب مطاطي، اليوم الخميس، بـ
القرب من سواحل منطقة بودروم، في ولاية موغلا
التركية المطلة على بحر إيجة..
وقال مسؤولون في الولاية، إن السلطات تلقّت بلا
غا بغرق القارب،
ما أدى إلى توجه فرق خفر السواحل للمنطقة،
حيث تمكنت من إنقاذ 4 أشخاص، وانتشال 4 جثث.
ولفت المسؤولون أن الناجين و
الغرقى لم يكونوا يرتدون سترات النجاة. ويعتقد المسؤولو
ن أن القارب كان يقل 31 شخصا من جنسيات العربية..
وما تزال عمليات البحث والإنقاذ متواصلة،
للعثور على 23 شخصا ممن كانوا على متن. القارب،
ويعتبرون حاليا في عداد المفقودين.).

ثقلت نجمة للمشفى المركزي في إسطنبول، انا طلبت ذلك
، كنت وحيدة، احتجت وجوده، تائهة في هذا المكان الغريب
،
بل وأصبحت مسؤولة عن حياة اختي. وجدت نفسي تائهة
في بلد غريب بالكاد اعرف لغته.
وقفت امام المرآة في الحمام الخاص لغرفة نجمة، نظرت لا
نعكاس صورتي عليها، لتلك البائسة، لم تكن تلك المرة الا
ولى التي اشاهد بها نفسي بهذا الضعف،
لتلك العينين الذابلتين، الوجه الشاحب،
لذاك السواد الذي أحاط بعيني. رفعت يدي اتلمس وجهي،
امتدت يدي لشعري، امسكت بإحدى خلاصته، بيدي الأ
خرى تناولت المقص الذي احضرته معي،
تدحرجت دمعة وجع من عيني لأ

أقص تلك الخصلة من المنتصف،
بدأ بكائي يزداد و شعري يسقط على الأ
رض ليستلقي عليه بلا روح. وضعت المقص في المغسلة
لأسند نفسي بيدي على الحوض، رفعت رأسي لأنظر للمرآة
، لشعري الذي بات يلامس رقبتي، هذه ليست جوى،
جوى قد غرقت في البحر،
تلك الساذجة التي كانت تبتسم رغم ما يصيبها من وجع
ماتت. وضعت يداي علي وجهي لأخبي ضعفي،
جلست على ارض الحمام الباردة، كان البكاء مختلفاً،
ابكي لصعفي، لأختي، لحظي، لغربتي،
لفقداني عائلتي ولوحدتي. لقد تعبت من تصنع القوة،
تعبت من إخفاء الامي، من رسم ابتسامات كاذبة،
من تحمل المسؤولية.
ضممت ساقي لصدري، احتضن نفسي،
احتاج لوجود أحدهم بجانبي، احتاج لأن
أغمض عيني ليعود كل شيء لسابق عهده،
حتى ان عدنا لذاك الوقت الذي يضربنا ابي به سأوافق،
كان لي بيت حينها، لي فراش يأويني عندما أحزن لا
مشردة بين كراسي الا
نتظار في المشفى. كان لنا جيران وأصدقاء. نهضت من مكا
ني لأخرج من الحمام، ألقيت نظرة أخيرة على نجمة لأ
خرج من غرفتها حاملة معطفي، خرجت من المشفى لأ
ستقل احدى سيارات الأجرة، كان الجو ممطراً،
كانت المدينة تبكي، او ربما هذا ما شعرت به، السنا نرى الأ
شياء بقلوبنا؟ قلبي كان حزيناً حينها، بل بائساً،
لم أستطع ان أرى أي مظاهر للبهجة في الطرقات،
اثناء توقف السيارة في احدى الإشارات الضوئية،
كانت عيني تحدق بالعابرين، بضحكاتهم،

أتساءل كيف يمكنهم الضحك هكذا؟ أحسدهم لأن
حياتهم ما تزال كما هي، لهم منزل، اسرة، وطن، ماضي،
ومستقبل. وصلت لوجهتي،
بقيت امام المبنى تحت المطر اراقبه،
حتى بيته هذا اشعر بغربة تجاهه. صعدت الدرجات بتثاقل،
افكر ما الذي سأجيبه ان سألني ماذا اصابنا؟
هل يسهل على المرء قول انه فقد عائلته،
ارواحهم معلقة في السماء،
ماتوا حتى بدون ان يصبح لهم قبر كسائر الموتى.
توقفت امام بابه التقط انفاسي، طرقت الباب لأ
مسح دموعي، تمنيت لوهلة ان لا يكون موجوداً، لكنه ك
المعتاد امنياتي لا تُجاب. فتح الباب فتوقف مصدوماً،
رشمت كثيراً لأمنع دموعي من الانهمار: لا
تسألني عن شيء.
وجدته باندفاع يدفن وجهي بصدره، احطته ذراعي لألا
مس شهره، اعتصرت قميصه لأبكي، انتحبت: ماتوا، غرقوا،
لم يبق، سوى نجمة في،
رفعت رأسي لأكمل: في غيبوبة.
مسح على شعري: شششش.
برفق أحاط بكتفي ليدخلني للداخل،
اوقفني ليتفحصني بينما انا هادئة،
خلع عني معطفي وهو يقول: لقد تبللتِ بالكامل.
وضعه جانباً،
امسك بيدي ليجلسني على كرسي منتفخ من القطن،
جثى على كربيته ليأخذ قدمي بين جحره، خلع عني حذائي
،
نهض ليحضر أشياء بينما انا بيت باردة كبرودة يداي اللتان
ترتعشان دون ان القي لها أي اهتمام. اتى ببطانية من الصو

ف لف جسدي بها، فرك يدي بيديه،
قلت بصعوبة: اريد ان انام.
نهضت لأسير تجاه السرير، استلقيت عليه لأ
شد الغطاء علي اكثر، ثنيت ساقي تجاه صدري،
اقترب هو ليجلس بجانبي، مسح بكفيه على وجهي، س
الت دموعي بهدوء كهدوئي،
انحني الي ليقبل جبيني هامشاً: انا بجانبك.
لم احرك ساكناً، استلقى بجانبي، وجهه قريب عند وجهي،
لكنني لم اكن معقه، كنت غارقة في البحر،
كل ليلة عندما استلقي أتذكر ما حدث، ما زلت اشعر ب
الماء وهو يدفعني، اشعر بالاختناق، صراخ الجميع لا يزال ع
القاً في اذني يأبى تركي. وضعت يداي على اذناي لأ
غمض عيني بقوة: صوت صراخ الأطفال وهم يغرقون لا
يفارقني.
وضع يده على اذناي ليؤكد لي: اشعر بما تشعرين،
صدقيني.
نهض من مكانه، بقيت انا اغلق اذناي وجسدي كله يرتعش،
كفوا عن الصراخ، اتى حاملا ً
هاتفه بقرب اذني قد قام بتشغيل القران: كنتِ ستفعلين
هكذا ان كنت مكانك.
هو حتي لا يريد الاعتراف بالله كيف يحضر لي القران لأ
ستمع له لأنسى المي؟ قربه مني لأ
زداد بكاءً عند سماعي له، بكيت طويلا ً
مع انبعاث صوت عبد الباسط حتى غفوت.
استيقظت صباحاً، شعرت انني ما زلت على سريره بالسرير
، كان مريحاً ودافئاً للغاية، رفعت رأسي قليلا ً لأنهض،
عيناي كانتا منتفختان للغاية، بـ
الكاد استطيع النظر بهما. كان هو جالساً في الشرفة،

حاولت النهوض لكنه التفت ورأني،
اتى ليجلس علي السرير بجانبي، بطرف سبابته لا
مس عيني اغمضتها بألم،
طمئنني: ستصبح بخير عليكِ فقط اخذ قسط من الراحة.
-لا، سأعود للمشفى.
- الا تقيمين في مكان ما؟
حركت رأسي نافية، أكملت: لا
يمكنني الذهاب لمكان اخر وترك نجمة.
- ستقيمين عندي.
نهضت من مكاني: لن افعل، انا سأتحسن،
بعدها سأحاول البحث عن عمل، لا
اعلم كم ستدوم فترة الغيوبة تلك.
نهض ليقف امامي: ما الذي حدث لكِ؟
منذ متى وانتِ تضعين بيننا حواجز؟
مسحت وجهي بكفي لأعلق: انا لست ملزمة منك، لا
تربط حياتك بي، بمشاكلي، بمستقبلي المجهول،
لم اعد اصلح لأي شيء الا ترى!
اقترب مني ليمسك بذراعي بنعومة: انا أرى انكِ تحتاجين
لأحد بجانبكِ، علي ان ابقى معكِ
بحدة قلت له: ماذا تريد مني؟ هاه؟ تتأمل ان نتزوج؟ لا
يا عزيزي لن نفعل،
ان استيقظت اختي لن اتركها بمفردها واسس حياة بل سأ
فني حياتي لأجلها،
عدت للبكاء بدموع جافة: كفاني انانية.
حاول تهدئتي: لن نتزوج، حسناً، لا تفكري بشيء الان
سوى ان نكون معاً، هذا بيتكِ، وانا عائلتكِ كلها، بل وطنكِ

الفصل التاسع والعشرون

محمد

الحاضر

خرجت برفقة نجمة للسير في الحديقة،
كانت هي صامتة بجانبي، تنظر للأرض اثناء سيرها،
يداها مرتخيتان، حركة جسدها هذه تنبئني انها ما ز
الت تعاني من الاكتئاب، بالرغم من ظهور جوى الا انهما لا
يجب ان يبقيا معاً على الأقل هذه الفترة،
جوى نفسها تحتاج للعلاج، ستذكر نجمة بالماضي،
بكل شيء مر عليهما،
لكنني عندما قررت ان اجعلها تقابل جوى كان الهدف ان تذ
كرها بالذكريات الجميلة.
اثناء سيري شعرت بيد نجمة تمسك بيدي،
ادرت رأسي تجاهها فقالت وهي ماتزال تنظر للأ
مام: اريد ان أبقى ممسكة بيديك.
ابتسمت: موافق لكن بشرط.
توقفت لتنظر الي فأكملت: أخبريني لم؟
دارت عيناها في المكان تبحث عن إجابة، بعد وهلة: ا شعر ب
الأمان، لا اعلم، أأخبرك بسر؟
ابتسمت لأقترب منها: أخبريني.
مطت شفتيها لتردف: ا شعر ان تلك الرحلة لنبحث عن سر
ظهوري، ما مررنا به كان شيء مختلف، جديد،
انا لم اخض مغامرة في حياتي مطلقاً.
سألتها لأجعلها تتحدث أكثر عن هذا الجانب: لماذا؟

لم تجربي.
رفعت كتفيها: كنت أخاف، شيء كان يمنعني.
- ربما والديك؟
- هما سبب في ذلك ايضاً،
لكنني أخاف من خوض أي تجربة.
- لم؟
اخذت نفساً عميقاً: خوفي من الفشل،
او الوقوع في الخطأ وربما، أأأأ، الخوف من المجهول.
سرت ممسكاً يدها لأعلق: ليست كل التجارب تأتينا بـ الفشل،
وان فشلنا فيكفي اننا خضنا شيء جديد اكتسبنا منه خبرة .
اضافت هي: اتعلم، كنت اغلق جميع الأبواب المؤدية لقلبي ، لا اسمح حتى للرجال بمحادثتي،
اتجنبهم دوماً بشتى الطرق، كنت اريد ان أحب.
صممت تنظر جانباً لتتذكر ماضيها لتردف: لكنني خفت من ان اتعلق بأحدهم وافشل، أريد ان يكون رجلي الا ول هو حبيبي، زوجي، وكل شيء، لا اريد لأي رجل ان يدخل حياتي قبله.
كم هي بريئة وكأنها فتاة مراهقة من تتحدث، لا انسة تبلغ الواحد والعشرون، قهقهت: هههه لا، يمكنك التحكم بهذا، اختاري شخصاً منا سباً.
- لا يمكننا ان نختار من نحب.
- لكن يمكننا تمييز ان كان هو منا سب لنا ام لا.
- لا، عندما نقع في الحب لا نرى العيوب، نحبه بسيئاته قبل حسناته.
ضيقت عيني لأقل بمزاح: ما هذا يا انسة؟ تملكين كل هذه الخبرة؟

ابتسمت هي لأول مرة لتقل: لا، هذه وجهة نظري.
اشرت اليها قائلا : عليكِ دوماً فعل هذا،
الدفاع عن وجهة نظركِ، لا تسيري مع الاخرين،
احتفظي برأيكِ الخاص ولا تنسي ان تصرحي به.
توقفت لتنظر الي بحزن: اتعلم اننا، في الماضي،
كان يُقال لنا ان كلام من أكبر منا هو الصائب دوماً،
لذلك لم يكن لنا الحق في ابداء آرائنا.
- الان انتِ روح، ولدتِ من جديد، بأفكار و شخصية مختلفة.

جوى
الحاضر

ج
السة في الشرفة اسند رأسي على مرفقي الذي استقر عل
ى السور، اراقب العالم، ما زال مستمراً بينما انا هنا ع
القة بين الماضي والحاضر، اعجز عن لعق جراحي و
النهوض لأبدأ من جديد، بالرغم من انني في شقته الا
انني اشعر بغربة رهيبة،
اليس من المفترض ان يكون حبه كافياً؟ بداخلي كلام
كثير يصعب البوح به لأحد وان كان هو،
احتاج لجدي او جدتي ليدلاني عن الصواب،
احتاج ليد جدتي لتعبث بشعري وتقرأ القران علي. مقيمة
هنا بلا منزل، وطن او عمل، مجرد عال عليه،
ملزم هو بي باسم الحب الذي بيننا لكن الى متي؟
رن هاتفي لينتشلني من هذه الدوامة،
ببرود التقطته من على الطاولة لأنظر لهوية المتصل،

دكتور محمد، اجبته بفضول: هل حدث شيء لنجمة؟
جاءني صوته الهادئ: ههه، لا اهدئي،
انا في إسطنبول أيمكنك رؤيتك؟
- بالطبع، ابعث لي العنوان و سآتي.
خرجت على عجلة من الشقة، لم اهتم لمظهري،
ارتديت الثياب التي وقعت عيني عليها بدون تنسيق او ربما كي. اتجهت للمشفى المركزي حيث ارسل طلب لقائي هناك. خائفة من سماع أي شيء عن حالة نجمة،
ماذا ان ساءت حالتها؟
اخذت نفساً عميقاً وانا مرتادة سيارة الأجرة،
رن هاتفي الذي اقتناه عبد الله لي ايضاً،
الم اقل انني أصبحت عال على الجميع!
اجبته ببرود: مرحبا.
جاءني صوته الذي لم يعد بداخلي شيء: اين انتِ؟
عدت لم اجدكِ
- اتصل الطبيب وطلب رؤيتي بخصوص نجمة.
- سآتي اذن.
باندفاع قلت: لا، لا، لا داع لقدومك.
بقي هو صامت لوهلة،
ثم علق: ان احتجتِ شيء اتصلي بي.
لم اتفوه ببته كلمة بل انهيت المكالمة فوراً،
اعدت رأسي للوراء لأغمض عيني، جوى تماسكي فقط.
واخيراً وصلت للمشفى،
سلكت الطريق المؤدي لمكتبه كما دلني هو،
كانت ضربات قلبي تتسارع مع اقترابي من المكتب،
حتى وصلت لأطرق الباب الموارب،
ابتسم لينهض هو من خلف مكتبه، دخلت لأ
غلق الباب خلفي، شعرت ان وجهي قد احتقن اكثر،

اقتربت من الكرسي الذي يقف بـ
القرب من مكتبه سألته وانا اجلس: هل هناك اخبار سيئة؟
سار تجاه الطاولة التي تقف جانب الحائط الذي يقابلني ليحـ
ـض قهوة قائلا : اخبرتكِ ان لا تخافي، لا شيء سيء.
تنهدت وانا اغمض عيني،
شددت قبضة يدي على مرفق كرسيي،
التفت الي ليسير تجاهي مقرباً كوب القهوة لي: تفضلي.
اخذته منه ويدي ترتعش، شعرت بـ
الكأس وهو يتراقص بين يدي،
سألني وهو يجلس على الكرسي الذي يقابلني: أنتِ بخير؟
وضعت الكوب جانباً وانا انظر اليه لوهلة،
ثم انفجرت باكية اغطي وجهي بكلتا يدي.

محمد

الحاضر

نهضت من مكاني فور بكائها، سكبت لها الماء في كأس لأ
قترب منها: اهدئي ارجوكِ
التقطته مني وهي ترتعش و
الماء يكاد ان ينسكب من الكأس،
شربته كله دفعة واحدة ويداها ما تزال ترجف. منذ وقت ط
ويل علمت ان جوي ليست بخير،

بل ما تمر به يكاد ان يكون اضعاف قساوة مما مرت به نج
مة، لكنها تحاول الصمود، لا تعلم ان كثرة إخفاء الالام
هو نوع من أنواع السقوط وجلد الذات.
علقت: اعتقد انه حان دورك لتتحدثِ
مسحت وجهها بكلا كفيها لتعيدهما للوراء،
لشعرها: انا تائهة، رمشت عدة مرات لتكمل: ء
القة في مكان، لم اعد كالسابق، هو بجانبي لكنني لا
اشعر بشيء معه كما كنت، بل لا يمكنني الإ
حساس بأي شيء.
ترمش كثيراً اثناء حديثها،
تمر بضغط نفسي اثناء بوحها بما تشعر به،
تفرك يدها اليمين بيدها اليسار،
تحاول ان تجعل جانبها العلقي او المجرد من المشاعر هو
المسيطر عليها. أكملت هي لتركز بصرها خلفي للا
شيء: لكن اعتقد ان ما اشعر هو جيد،
اعني انني في النهاية سأتركه،
لن ابقي معه عند خروج نجمة، بل لن اتركها مطلقاً.
نظرها لشيء فارغ غيري،
يدل على انها تحاول اقناع نفسها بهذا الكلام، لا
احد غيرها. بل هي لا تكترث ان كنت سأصدق ام لا،
تريد أن تصدق هي نفسها.
اقتربت بصدري للأمام، أسندت مرفقي على فخذي لأ
شبك اصابعي قائلا ً: لندع نجمة على جنب الان،
هل وجودكِ مع عبد الله يضايقك؟
- اشعر انني ضعيفة معه،
تلك القوى التي كانت موقدة بداخلي انطفأت،
اشعر انني عبء عليه، انا لم اعد كالسابق،
اكره نفسي حتى كيف سيحبني هو؟

قلت بصدق: جوى انتِ اقوى مما تعتقدين، لأ
نكِ اعتدتِ ان تتصنعي القوة دوماً ومرورك بهذه الفترة الت
ي عجزت عن تكرار التمثيل، بدى لكِ الامر سيء للغاية،
لكنه الطبيعي، جميعنا بشر، نحتاج لأن نضعف، نحتاج لأن
نبكي، ننزوي لفترة، هذا شيء طبيعي،
أكملت وانا عود بظهري للوراء، الغير طبيعي ان كنتِ الى ا
لان صامدة.
رفعت رأسها للأ
على لتغمض عيناها لتقل بصوت منخفض: علي ان أكون ق
وية من اجل نجمة.
نهضت من مكاني لأ
سند مرفقي على ظهر كرسيي: انتِ تضغطين على نفسكِ،
دعي جراحكِ تلتئم،
ستسقطين فور أي مهب ريح يقابلكِ ان ا ستمريتِ
سرت تجاه مكتبي، لأ
جلس خلفه وابتسم معلقاً: ثم ان عليكِ ان تستريحي لفترة
لأنكِ مقبلة على مرحلة جديدة محمسة.
اخفضت رأسها لتنظر الي وتعلق بسخرية: محمسة! ههه.
ثنيت ذراعي لصدري لأدور قليلا
بكرسيي: لم اخبركِ عن سبب طلبي لرؤيتكِ؟
عقدت حاجبيها لتقل: اووه نسيت، اخبرني.
قلت بحماس: قمت بالتواصل مع الكثير من المؤسسات الا
نسانية والتي تخص اللاجئين.
- اجل؟
أكلمت بابتسامة واسعة: تم تبني ح
التكما انتِ ونجمة من قبل منظمة اليونسكو، انتِ بـ
الذات ستمثلين العراق.
اتسعت عيناها بصدمة، رأيت الاف من الأ

أسئلة تتجمع في وجهها فحاولت ان أوضح اكثر: اولا
ً، لم اختاروكِ؟ لأنك قمتِ بإنقاذ اختكِ، فتاة في الرابع و
العشرون تمر بهذه المصاعب وما ز
الت مستمرة فهو شيء خارق.
غطت فمها بكلتا يديها بشكل عامودي،
حاولت ان تنظم أنفا سها فأردفت انا: ولأن
نجمة أصيبت بمرض نادر بسبب الضغوطات التي تعرضت
لها في العراق وهنا.
رفعت يداها لتقل: مهلا ً، دعني ا ستوعب ما الذي يحدث.
- سأمثل بلدي؟
- ونجمة سيتكفلون هم بها كل شيء تعليمها،
وجميع متطلباتها، وانتِ كذلك.
تدحرجت الدموع من عيناها، يصعب عليها التصديق،
اعلم جيداً ان حملا ً ثقيلا ً قد أزيل من على ظهرها،
اضفت انا بابتسامة: لذلك عليكِ ان تتعافي،
لتقفي على ناصية وتصبحي قدوة.
ابتسمت رغم دموعها، هي ونجمة تحتاجان وقت لتشفيا،
المشكلة اننا ثقلل من شأن آلامنا،
نظن ان كل كلمة سيئة نسمعها،
بكاء الساعة او الساعتان سيمضي،
الجروح الصغيرة تُشفى،
لكن الحقيقة ان كل ما سبق يترك اثر بداخلنا،
ينحت بمستقبلنا، بتصرفاتنا، ان لم نمنح حتى الأ
لم فرصة فلن نقضي عليه،
بل سيفر منا ليعود بشكل اكبر ووقع اوجع.
في النهاية نحن عبارة عن مشاعر، فرح، حزن، خوف وريبة،
أي شيء يؤثر بنا، وهذا ليس ضعفاً بل نعمة ربما، لأ
ننا نشعر لكن الأهم ان لا نترك هذا الألم يستوطننا.

جوى تعشق عبد الله بل تتنفسه، لكنها خائفة من خسارته،
تخاف عليه ومنه، ومن نفسها، تخاف ان تغرق بـ
العسل لتنسى نجمة، مع ان ما يحدث ليس ذنب احد.

ثلاثون

عبدالله

الحاضر

مضت اشهر طويلة،
كانت ثقيلة لكنها كانت كفيلة بجعل جوى تعود لعهدها الس
ابق لتدب فيها الحياة وبقوة، وكأنها ولدت من جديد،
ليعود الربيع، لتتورد وجنتيها،
عادت كأنها خُلقت من جديد. راقبتها وهي تضيئ الشموع
التي انتشرت في سطح المبنى،
راقبتها وانا اعقد اصابعي خلف عنقي بشغف،
سارت لتقوم بتشغيل اغنية لفيروز،
تعودت على سماع فيروز صباحاً ومساءً،
بل في كل وقت. اقتربت هي مني لتسند ذقنها على صدر
ي، أحاطت ذراعيها بخصري لتقل: كف عن التحديق بي.
مسحت وجهها بكفي لأ
خفض رأسي واقبلها ليرتفع بداخلي التروستجين. ابتعدت
قليلا ً اقاوم أنفاسها: اشتقت لجوى القديمة،
كان علي ان اراقبك اكثر

اخذت يدي بين يديها لتعلق: سأعود كما كنت، اعدك.
أحاطت ذراعي بخصرها لأديرها واجعل ظهرها يقابل صدري
، جسدينا يتمايلان متناغمان أكثر: المهم اننا معاً.
كانت الهواء منعشاً، تتخلله بعض البرود لكن قربها يُدفئني
، تمايلنا وكلانا يغمض عينه، كلانا صامتان،
سألتها: انتِ متحمسة للغد؟
اجابتني با سترخاء: خائفة.
ادرتها تجاهي لأ
خبرها: في الغد بعد المحاضرة سأعرض عليكِ عرضاً.
قهقهت هي لتضيق عيناها تتصنع الغباء،
كأنها لم تفهم: ما هو؟
- وكأنكِ لا تعرفين؟
- هههههه لم بعد المحاضرة؟
ميلت رأسي قليلا ً لأجيبها: اشعر انه الوقت المنا سب.
عضت شفتيها لتقل: ماذا تتوقع مني ان اجيب على عرض
ك؟
تصنعت التفكير: عندما كنا في بغداد وافقتِ حينها،
ولكن بعد ان اتيتِ لا سطنبول رفضتِ مراراً هههه.
- هههههههه والان؟
شبكت اصابعي بين اصابعها: اشعر هذه المرة انكِ ستوافق
ين.
ابتعدت عني لتدور حول نفسها وتبدأ الرقص ليتطاير اطرا
ف فستانها قائلة بحميمية: عليك دوماً الوثوق بإحسا سك.
اقتربت منها وهي تغويني اكثر لأ
رقص معها ونترك العالم للجميع لنغرق في عالمنا نحن.

روح

الحاضر

مرت أشهر وانا مقيمة في المصح،
لكنني لم اشعر قط انه مصح ولو لوهلة،
فكل العوامل التي تحيط بي مهيئة لراحتي،
بل وجدت به هدوءً اكثر من مما كنت في منزلي هناك. ولأ
ن احدى المؤسسات قد تبنت ح
التي انا وجوى فقد تم منحنا شقة، لم ازرها بعد، لكن جوى
خلال زياراتها لي كانت تحدثني عنها، كيف قامت بترتيبها،
كيف اختارت اثاثها،
وقد حضرت أشياء كثيرة لي ان تعافيت تماماً وخرجت سأ
جد شيئاً رائعاً.
يخبرني محمد انني اتعافى، لكنني احتاج وقت،
يصعب محو عشرون عاماً من الألم خلال اشهر،
وجوده مهم في حياتي، اجد نفسي معه اتحدث كثيراً،
اثرثر لساعات، أقوم بأشياء لم افعلها سابقاً،
حتى انني تعلمت الرسم،

في البداية طلب من ان ارسم ليعرف ما اشعر به من خلال
رسوماتي، لكنني بت في أوقات فراغي ارسم،
عندما اشعر بشيء غريب ارسم،
وجدت الرسم يداوي جروحي، وجدت في الألوان حياة،
في الفرشاة طرق جديدة اسلكها.
ارتديت فستان زهري قد احضره لي محمد لهذا اليوم بـ
التحديد، لأن
اليوم ستُلقي جوى أولى المحاضرات التي فيها ستمثل الع
راق، لتتحدث ايضاً بالسنة كل من مر بهذه التجربة.
نظرت للمرآة، كان الفستان يصل لركبتي، رقيق جداً،
اكمامه قصيرة وفضفاض من الأسفل، مددت يدي لألا
مس شعري، سمعت صوت طرق الباب لتفتح فالتفت لأ
رى محمد، وقفت في مكانه: اووووه تبدين جميلة جداً.
اكتفيت انا بالابتسامة، فاقترب حتى أصبح يقف خلفي،
رأيته غبر المرآة الطويلة التي اقف امامها،
سألني وهو ينظر الي عبر المرآة: أترغبين ان امشط لك ش
عرك.
التفت الي لأقل باندفاع: اجل.
احضر لي كرسياً لأجلس عليه، ق
ال وهو يهم بتسريح شعري: بـ
المناسبة اعرف كيف اجدل الشعر
قلت: جدتي كانت تجدله لي.
- اذن سأقوم انا بذلك.
بدأ يجدل شعري، بينما انا انظر اليه مستغرق بعمله،
أتساءل كيف لغرباء يمكنهم استيطان مساحة كبيرة فينا؟
نحن لم نخض شيئاً معاً، لم نعش طفولة برفقة بعض،
لم نكبر معاً،
لكن برغم ذلك أصبحوا اقرب من اخرين يحملون نفس جين

اتنا ودمائنا.
انتهى هو فنهضت لأ
نظر لشعري بابتسامة واسعة: انها جميلة جداً.
- أرأيتِ انني لست بطبيب نفسي جيد فقط!
- هههه انت كذلك.
خرجنا من المصح لأ
رافقه في سيارته متجهين للمكان الذي منه سنتطلق جوى
نحو الأفق، لأول مرة استمتعت بالنظر للناس، للخارج،
ارغب ان اخوض هذا معهم، ان ادخل بداخل هذه اللوحة،
رأيت الألوان، الأطفال، الحياة.
علقت وانا انظر عبر النافذة: ارغب ان أعود للحياة الطبيعية،
كما يفعل هؤلاء الناس.
التفت الي ثم عاد لينظر امامه وهو يقود السيارة: ستعودين،
جوى اخبرتني انكِ في طفولتكِ كنتِ تتمنين ان تعيشي في
سكن طلابي معها، كما في الأفلام.
التفت اليه وانا اعلق مبتسمة: اجل،
كنت اريد ان أعيش مثل (التوأمان) احد الرسوم المتحركة
عن اختان تعيشان هكذا.
- وهذه الفرصة ستكون رائعة لكما،
فقط ستكونين في شقة مع اختكِ لا سكن طلابي.
ارتخت اعصابي لكنني تذكرت شيئاً فسألته: ماذا عنك؟
ان تعافيت وخرج من.
صمت لأفكر،
لكنه اجابني: بل ربما ستريننني كثيراً. ربما بصفة طبيب نف
سي يلتقي بحالة على شكل جلسات،
ربما كصديق مع صديقة نخرج معاً نتسكع،
وربما شيء اخر من يدري؟

قطبت حاجبي لأسأل: ماذا تعني.
ابتسم بخجل ليقل: دع كل شيء لوقته اتفقنا!
عدت برأسي للوراء وقلت: موافقة.

جوى

وقفت في الكواليس،
خلف المسرح بينما يد احدى المساعدات تعبث لتضع لي
الميكروفون في قميصي، اخذت نفساً عميقاً،
ضربات قلبي تتسارع وانا مقبلة على هذا الحشد الكبير م
ن الناس الذي سيراني للمرة الاولى،
فتيات سيجدن تشابه كبير بين حياتي وحياتهن، لأ
جل نجمة لأجلهن، ولأجلي انا ايضاً سأقف،
سأبوح بكل شيء،
سأسلك هذا الطريق علي أكون بصيص امل لغيري، لأ
ضع أولى خطواتي لتحقيق النجاح لنفسي اولا ً
قبل الجميع.
قدمتني منسقة المحاضرة،
سمعت صوت تصفيق الجمهور وترحيبهم بي،
دارت عيني في المكان، مسرح كبير احمر، ناصية،
جمهور يجلس بترتيب تترقبني ابصارهم، نجمة ج
السة بجانب عبد الله ومحمد،
صور لي ان جميع من كانوا يكرهونني يجلسون هناك،

ومن تمنوا سقوطي ايضاً، من بينهم حتى ابي،
وايضاً تخيلت جدي وجدتي يجلسان ليفخرا بي،
صعدت السلم القصير لأنظم انفاسي،
واسير متجهة لمنتصف المسح، لأ
قف في المكان الذي استحق الوقوف به،
في المكان الذي مت واحيت مراراً حتى وصلت اليه.
ابتسمت لأعدائي ولأحبابي وبدأت:
مرحباً، اعتقد منذ قليل قد تم التعريف بي وباسمي،
لذلك لن اخوض في هذا، انا هنا لأن يجب ان يصل صوتي،
لفتاة تشبهني، لامرأة عانت، لمن فقد الا
مل وانطفأت روحه.
أكملت قائلة: انا فتاة لم يسعد احد بولادتي لأ
نني لم اكن ذكراً، ولأ
نني كنت الكبرى كان علي ان أكون قدوة لكنني لم اكن،
اشرت لنفسي لأعلق: انا سيئة، لا انكر ذلك،
بل متمردة في اعين الجميع،
لم اكن فتاة عادية جُل ما تتمناه زوج وبيت،
لم اكن اخجل من البوح بمشاعري، لم اطأطأ رأسي لأحد،
كنت دوماً الرأي المعارض، لذلك بعضهم نبذوني، منهم و
الداي، كانا يضيقان على اختي لكي لا تصبح مثلي.
حتى انني عانيت في مجتمعي، لأن صوتي كان ع
ال ارفض الرضوخ واصرخ،
ومنهم طبعاً من كان يرى صوتي عورة،
منهم حتى ابي يراني هاوية لسمعته و شرفه،
برغم كل هذه المؤثرات وايضاً ما تعرضنا له في العراق الا
انني لم اكن اشعر بالسوء.
سأعترف لكم بشيء، انا لم اعاني من بلدي،
بل عانيت خارجه، بما انني ايضاً هنا،

سأخبركم ان الصورة ليست سيئة جداً كما تروها من مكان
كم، ربما عليكم تغيير الزاوية،
وان كانت معتمة فهناك نجوم.
اشرت بيدي قائلة: وطني ليس افضل الأوطان،
هذه حقيقة ربما ايضاً هناك دراسات تعلن عن مدى سوئه،
لكن يبقى به شيء به لا يمكن لأبحاثهم تفسيره،
وهي ان جميع من يسكنه يملكون صبراً،
وايماناً غير طبيعي، يحتفلون، يتزوجون، ويرقصون،
يبنون منازلاً جديدة، ينجبون أطفالاً
، الحياة لم تقف به بل مستمرة، وهذا هو السر الغريب.
وجدت نفسي في فترة كانت اختي تتلقى العلاج
لمرض غريب لم اسمع عنه قط ويسمى (متلا
زمة كوتار) وجدتني اسقط، وكأن تأثير تلك الأ
رض علي قد نفذ مني، او لأنني بعيدة عنها، تشتت،
واستسلمت، لأنني في النهاية بشر، لي طاقة.
ابتسمت: تركت الامي تشفى لأعود كطير العنقاء،
ولدت من الرماد، بعد ان احترقت مراراً،
بدأت من جديد. لكن هذا لا
يعني انني سأكمل حياتي برفاهية، بنهاية سعيدة ابدية، لا
يوجد شيء كذلك،
بل سأحزن مراراً وان كنت في ارض تنعم بالسلام،
سأعاني بسبب الناس، لأن
الناس تكثر عيوبها في كل مكان وجميع المجتمعات.
وجهت كلا
مي للجميع قائلة: صدقوني السعادة ليست مرتبطة بمكان،
ولا بالأشخاص، بل ترتبط بنا، أينما نكون، بـ
التفاصيل الصغيرة، بفهمنا الصحيح للحياة.
اكدت قائلة: وكلي يقين، بالرغم من مرض مدينتي، الا

ا
ان هناك أناس يجدون السعادة في رشفة شاي اثناء جلوس
هم في منزلهم البسيط قرب المدفئة،
او سيرهم على ضفاف دجلة، يدهم تحتضن يد من يحبون.
اضفت قائلة: وهناك أناس هنا،
في مطعم راق جداً واجهته البسفور الا انهم غير سعداء،
بائسين.
ابتسمت لأضيف كلامي: السعادة بالنسبة لي،
بقرب حبيب بقي كما هو رغم ما مررنا به، وسعادتي الأ
كبر هو ان أرى اليوم (اختي) ومجرتي تتعافى امامي وتبت
سم بعينيها هاتان.
صمت قليلا ً لأخذ نفساً عميقاً ثم اعود للحديث موجهة ك
لامي للجميع: قد تجدون فيما تعرضت له الكثير من الالام
وتتساءلون كيف لها ان تتحدث عن السعادة وهي كذلك؟
أكملت: وانا أيضا تساءلت طوال حياتي لم انا الوحيدة التي
اقاسي؟ لم اعاني بهذه الطريقة،
بل ازدادت اسئلتي بعد حادثة الغرق،
لم انا تحديداً من غرق افراد عائلتها امام عينها؟
لماذا لم أمت؟
شعرت بالدموع تتجمع في عيني لأ
جيب: اليوم فقط عرفت الإجابة، وهي لأصبح بهذه الشجاعة
، لأقف هنا، لأكون بصيص النور لأحدهم،
العظماء لم يدولوا كذلك، كانوا يوماً اشخاص بائسين،
مروا باختبارات شكلت منهم.
ألقيت نظرة لنجمة كأنني اذكرها: جدي دوماً كان يقول،
ان الحديد يتعرض لحرارة عالية جداً لتشكله،
كان سيكون مجرد قطعة لا نفع لها لولا
ان تم صهره وطرقه مئات المرات الى ان أصبح له قيمة.

انهيت خطبتي: شكراً لكم، فخورة بوقوفي هنا، فخورة لأن جوى نضجت كثيراً،
فخورة بأختي التي تقاوم مرضها و ستعود للحياة من جديد ، شكراً.
اتسعت ابتسامتي فتجمعت الدموع في عيني،
جريت وانا اسمع صوت تصفيق الجمهور لي لأ
تجه لنجمة واحتضنها بقوة، شدت علي اكثر
ابتعدت عنها وانا أرى وجهها مضيئ فأمسكت بيداي وجهها الجميل قائلة: انتِ لستِ نجمة، انتِ مجرتي.

تمت بحمد الله
النهاية
٢- فبراير – ٢٠١٨
مع خالص حبي
فرح صبري